د. محمد طي

المهدي المنتظر (ع)

بين

الدين والفكر البشري

الغدير
بيروت - لبنان

المهدي المنتظر

بين الدين والفكر البشري

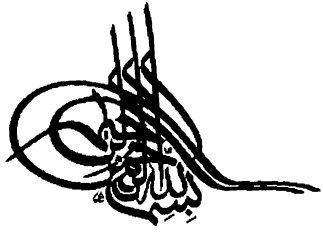

المهدي المنتظر (ع)

بين الدين والفكر البشري

د. محمد طي

شبكة كتب الشيعة

الغدير
بيروت - لبنان

shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

الغدير للدراسات والنشر
حارة حريك - بناية البنك اللبناني السويسري
هاتف ٦٤٤٦٦٢/٠٣-٥٥٨٢١٥/٠١-٢٧٣٦٠٤/٠١
ص.ب ٥٠/٢٤ - بيروت - لبنان
E-mail: algadeer@ inco. com.lb

■ جميع حقوق الطبع محفوظة ■
لمركز الغدير للدراسات الإسلامية
ولا يحق لأي شخص، أو مؤسسة، أو جهة، إعادة
طبع الكتاب أو ترجمته إلا بترخيص من النّاشر

الطبعة الاولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

كلمة المركز

يَعِدِ الله، سبحانه وتعالى، عباده الصَّالحين بأن يرثوا الأرض ويجعلهم أئمةً فيها، وذلك في قوله: ﴿ولقد كَتَبْنَا في الزَّبُور، من بعد الذِّكر، أنَّ الأرض يرثُها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء/ ١٠٥] وقوله: ﴿ونريدُ أن نمنَّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمَّةً ونجعلهم الوارثين﴾ [القصص/ ٥].

ووراثة عباد الله الصَّالحين الأرض تهدف إلى أن يملأ الذين استُضعفوا في الأرض هذه الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً، ويُقيّض لهم ذلك بخروج رجلٍ من عترة النبي ﷺ، ومن أهل بيته، ليقودهم إلى تحقيقه، فممَّا جاء في الحديث الشريف، في هذا الصدد: «.. ثم يخرج رجل من عترتي..» وفي تعبير آخر: «من أهل بيتي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

ويعيّن الحديث الشريف هذا الرجل الذي يُبعث إماماً لعباد الله الصَّالحين الوارثين، فيقول: إنه رجل «من ولدي اسمه اسمي»، وتفيد الأحاديث أن النبي ﷺ سئل: من أي ولدك؟ قال: «من ولدي هذا»، وضرب بيده على الحسين عليه السلام.

من هذه النُّصوص انطلقت فكرة خروج الإمام المهدي المنتظر (عج)...، وهو يخرج ليحيي سنن الدِّين الحنيف التي أُميتَتْ، وليقيم دولة الحق والعدل. وهو، بهذا المعنى، مخلِّص «بيد - كما يقول محيي الدين بن عربي - الظلم وأهله.. ويظهر من الدِّين ما هو الدِّين عليه في نفسه، ما لو كان رسول الله ﷺ لحكم به... يفرح به عامَّة المسلمين أكثر من خواصِّهم يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلهي».

فالإمام المهدي عليه السلام، إذاً، هو المخلِّص الذي يتوق إلى خروجه النَّاس، والمستضعفون منهم بخاصة، ليحقِّق، في يوم موعود، خلاص البشريَّة من الظُّلم والعناء الطويلين. والشُّعور بهذا اليوم الغيبي لم يقتصر، كما يقول الشهيد السيد محمد باقر الصدر، «على المؤمنين دينيّاً بالغيب، بل امتدَّ إلى غيرهم، أيضاً، وانعكس حتى على أشدّ الأيديولوجيات رفضاً للغيب...».

وإن يكن الشعور بضرورة خلاص البشريَّة من الظُّلم والشُّرور مشتركاً بين البشر، وإن تكن التجارب البشرية على اختلافها لم تقم نظاماً يحقِّق ذلك، فإنَّ هناك نظاماً مذخوراً في علم الغيب هو النظام الحق الموعودُ تحقُّقُه بخروج الإمام المهدي عليه السلام إماماً يقود عباد الله الصالحين إلى وراثة الأرض وتحقيق خلاص أهلها.

في سبيل بيان هذه القضية ـ قضيَّة خلاص البشريَّة وقيام نظام الحقّ والعدالة، من مختلف جوانبها، كان هذا الكتاب الذي يبحث، أوَّلاً، في فكرة المهدي المنتظر ـ المخلِّص في الفكرين: الديني والوضعي، وثانياً في تحديد هويَّة المخلِّص، وهو ـ كما يفيد البحث ـ الإمام المهدي عليه السلام، وثالثاً، في ولادة الإمام المهدي عليه السلام وحياته، ورابعاً في الظروف التي تهيِّئ للظهور ـ الثورة، وخامساً في شرائط قيام الإمام، وسادساً في ظهوره وإقامة دولته.

يحدِّد المؤلف قضايا البحث ومسائله، في كل فصل، ويعرض الآراء المتعدِّدة بشأن كلٍّ منها، ويناقشها، ويخلص إلى رأي يؤيده بالأدلَّة المقنعة، ويؤدِّي ذلك بلغة سهلة التناول...، نرجو أن نكون قد وفّقنا بتقديم هذا الكتاب إلى قرائنا الأعزّاء إلى ما يحبُّه الله ويرضاه، وهو الموفِّق والهادي لكلِّ خير.

مركز الغدير للدراسات الإسلامية

بيروت

المقدمة

شكّلت فكرة الخلاص من الظلم هاجساً للجنس البشري منذ أقدم الأزمنة حتّى اليوم. ورأى بعض الناس أن لا عدالة في الكون، إذ أن الظالم لا ينال دائماً جزاء ما اقترفت يداه أمام أعين من ظلموا، بل هو على العكس أحياناً قد يزداد تحكّماً من جهة وتنعّماً من جهة أخرى، فيما هو يستحقّ أن توضع الأغلال في يديه أو يضرب عنقه أحياناً.

ولهذا فإن أعداداً هائلة من الناس تتحوّل إلى عبيد راضخين مستسلمين لإرادة القويّ بل ومساعدين وأعواناً له، ضدّ من يتحرّكون لمقاومة الظلم.

وفي الإسلام قام الانقسام بين فريقين: الأوّل يتعبّد بالاستسلام للحاكم أيّاً كان حكمه، على أساس أن تلك إرادة الله، ولا يجوز التصدّي لها. ولو حاولنا أن نسحب هذا المفهوم على المستوى العام يمسي ممنوعاً علينا أن نتحرّك لتغيير أي أمر واقع، لأنّ الأمر الواقع إرادة الله تعالى والتصدّي له تصدّ لإرادة الله.

وقد تغافل هؤلاء عن واجب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي إنما تمارس للتغيير، وليس للحفاظ على ما هو قائم.

أما الثاني فيدعو إلى إقامة حكم الله في الأرض كواجب على المسلمين، بوصفهم الأمّة التي تلقّت رسالة السماء الخاتمة، وكلّفت بنشرها بين شعوب الأرض ليكون الدين في الناس، كما هو عند الله، الإسلام.

ولمّا كان الله عزّ وجلّ عادلاً ورحيماً، فقد أوعد بمعاقبة الظالم من جهة، وهو لا بدّ معاقبه في الدنيا أو الآخرة أو في الاثنتين معاً، فإذا أخّر العذاب في الدنيا أو أجّل إلى الآخرة، فلا نراه، فعلينا ألا نقنط بل نعدّ الأمر واقعاً حتماً.

ومن جهة ثانية فقد وعد الله بني آدم بإقامة دولة الحقّ والعدل، وقد جاء هذا الوعد في مختلف الرسالات السماوية.

غير أنّه لمّا طال الأمر على المؤمنين عاد بعضهم إلى التشكيك، فانضمّ إلى جموع الكافرين بالغيب، إلا أنّ ما تناساه هؤلاء المشكّكون والكافرون وحتّى نسبة عالية من المؤمنين أنّ خلاص البشريّة مشروط بأمر أساسيّ، وهو وجود الجنود المستعدّين للجهاد في سبيل إقامة حكم الله في الأرض، ذلك أنّ أولياء الله خُذلوا بعد أن حاولوا إقامة هذا الحكم مراراً وكان منهم الأنبياء والصالحون، وكان آخرهم عليّ بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين عليهم السلام.

وبعد هذا، عمد الإنسان إلى البحث عن مخارج لما هو فيه من الظلم، فوضعت نظريّات متعدّدة متباينة تحاول تبيان طريق الخلاص، أو تبّط الهمم، على أساس الرضى والاستسلام. وقد برهن بعضها على ضرورة إقامة الحكم العادل على أنقاض الأنظمة الظالمة ولكن بدون تدخّل إلهي، وكانت في مقدّمة النظريات النظرية الماركسيّة التي حاولت إثبات أنّ الطبقة العاملة ستقود خلاص البشريّة، وإنّ إقامة المجتمع الخالي من الطبقات والمؤسّس على المساواة، إضافة إلى انتشار العلم وتطوّر التكنولوجيا، سوف تؤول جميعاً إلى إقامة مجتمع تتفتّح فيه شخصيّة الإنسان، لأن المعوقات أمام نموها تزول، وذلك بعد توفّر البحبوحة وتمكّن كل إنسان من أن ينال حاجاته بعد أن يقوم بالعمل الذي تؤهّله له قابليّاته.

ومن هنا فإنّ الفكر الإنسانيّ الحائر يعود فيلتقي من حيث لا يدري مع ما يعد الله به البشريّة. ولإلقاء الضوء على هذه المسائل كانت هذه المحاولة، ولكنّنا نعترف أنها ليست الأولى في بابها، لأن المؤلّفات حول خلاص البشرية تبلغ في حدود ما نعرف، المئات، وفي الإسلام تعرف المكتبة عدداً هائلاً من المحاولات التي لم تترك شيئاً إلاّ تناولته.

إلا أن ما نطمح إليه هو أن نوفّق إلى تتبّع فكرة المخلّص المنتظر الذي بشّر به العهد القديم من بين المخلصين الذين بشّر بهم والذي بشّر به العهد

الجديد، ثم محاولة التوفيق بينها وبين المصادر الإسلاميّة، لأنّ هناك مخلّصاً مستقبلياً واحداً ولا يمكن أن يتعدّد. وقد التزمنا هذه الخطّة في فصول الكتاب جميعاً.

أما أبحاث هذا الكتاب فتتركّز:

في الفصل الأوّل حول حتميّة المخلّص المنتظر في الفكر الدينيّ والبشريّ.

وفي الفصلين: الثاني والثالث حول تحديد هويّة هذا المخلّص حيث يتأكد كون المهديّ عليه السلام هو هذا المخلّص، وقد تمّ الرد على المشكّكين بقدر ما وفّقنا الله تعالى إليه.

وفي الفصلين: الرابع والخامس حول الظروف المهيّئة للثورة، سواء منها ما حمله الفكر الدينيّ أو الفكر البشريّ.

وفي الفصل السادس حول ظهور المخلّص ـ الإمام ومعاركه وانتصاراته.

والله الموفق

الفصل الأول: فكرة المهدي المنتظر - المخلّص

يبحث الإنسان بشكل دائب ومستمر عن الحقيقة. والحقيقة هي ذلك المثال الذي يشدّ العقل البشري نحوه، فيندفع على الطرق التي يعتقد أنها توصل إليه، وهكذا فهو يعمل على بلوغ الغاية، كما يعمل على رفع كفاءة الوسيلة، وذلك في آن معاً.

ولكن العمل الإنساني عبر العصور، أثبت للإنسان أن الطريق طويل إلى درجة لا يمكن تصوّرها، بحيث أن ما يظهر منها في زمن معين يصبح جزءاً، بسيطاً أحياناً، مما يظهر في زمن لاحق، من هنا كان الركون إلى مقولة نسبية الحقيقة، التي تجعلها حقائق متعدّدة ومتنوّعة تعدّد وتنوع النشاط الفكري الإنساني.

غير أن الحقيقة ليست دائماً في حالة انتظار أن يصل الإنسان إليها، فهي ليست دائماً منفعلة بل تكون فاعلة أحياناً، بحيث تنتقل إلى الإنسان دون أن يصل إليها بالتفكير المنطقي بأي وجه من وجوهه. ولما كانت تصل مجزّأة فنفضل أن نطلق على الأجزاء مصطلح المعارف.

وهكذا فإن المعارف تدرك إما بواسطة العقل الإنساني المعتمد على معطيات أولية مختلف في طرق تحصيلها، أو على نتائج التجربة والاستقراء، وإما بواسطة الكشف المعتمد على عامل غير إنساني، كما في حال الرسالات السماوية أو، كما يؤكد بعضهم، في حال طرق الكشف العرفانية والصوفية، أو العوامل التي تندرج تحت ما يسمى بـ «علم ما وراء النفس» Parapsychologie.

دور العقل:

يقوم العقل بدورين رئيسيين في عملية تحصيل المعارف، فهو إما أن يستنبطها من خلال معطيات أولية مغروزة فيه، متوافق عليها أو قابلة لأن

يتوافق عليها، وإما بواسطة الاستقراء اعتماداً على ما يقدمه الواقع من معطيات تتأثر بها أولاً أدوات الحس، وهي المعطيات ذات التجلي المادي.

عمليات الاستنباط:

تعتمد عمليات الاستنباط على بديهيات أولية يسلم بها العقل عادة، ليقيم بناءً معرفياً معيناً وكي لا يضل العقل، فقد عمد الفلاسفة منذ أرسطو إلى وضع علم خاص لطرائق التفكير سمّي «علم المنطق»، الذي بدأ مع «المنطق الصوري» ثم اتخذ محتويات مختلفة.

ولكن العقل على الرغم من قدراته وأهميته، لم يستطع دائماً أن يتوصل بهذه الطريقة إلى حقائق ثابتة يسلّم بها الجميع، فبقيت المعلومات التي يدركها محدودة وقابلة للنقض. وإن كان توصل إلى حقائق ثابتة أحياناً فهي حقائق أولية بسيطة. ولعل الكم الأساسي من المعارف أتى من طريق آخر، طريق الاستقراء.

عمليات الاستقراء:

هذه العمليات تعتمد جمع المعارف الجزئية ومقارنتها وتحديد أوجه التشابه في خصائصها لاستخلاص القواعد الكلية الأشمل. فهي إذاً تنطلق من الملاحظة أساساً، فإذا وجدت الملاحظة أن أمراً يتكرر كلما حصلت مقدمات معينة، فيقرر الإنسان عندها تلازم هذا الأمر مع تلك المقدمات.

غير أن نقطة الضعف في القواعد المبنية على الملاحظة تكمن في كون أي معطى جديد يخالف القاعدة ينسفها من الأساس. من هنا تبقى المعارف المستمدة من الاستقراء مشاريع يعاد النظر فيها كلما جدّ جديد على صعيدها، فهي غير مطلقة ولا ثابتة.

وهكذا فإن العقل الإنساني لا يستطيع إدراك الحقائق إلاّ بشكل جزئي، وغير أكيد في غالب الأحيان، وإن كان هذا لا يعني الاستغناء عنه والاستعاضة بشيء آخر.

ونحن عندما نقول إنه لا يدرك الحقائق إلاّ بشكل جزئي، نود ألا نقلل من أهمية هذا «الجزئي»، فهو جزئي بالنسبة إلى هذا الكون اللامتناهي وما يحمله من أسرار، من هنا يكون هذا «الجزئي» عظيماً بقدر تسخير الذرة لأغراض الإنسان وبقدر الوصول إلى الكواكب. إلاّ أنّ الجزئي على عظمته يبقى جزئياً.

أما كونه غير أكيد، فيعني أنه لا يُطمأنّ إليه بالمطلق، ولكن هذا النوع من اللاإطمئنان، لا يعني انعدام أية قيمة له، لأن الركون النسبي إليه يحقق نتائج هامة، ككل ما حققته الإنسانية في تاريخها الطويل، وإن كان هذا الذي تحقق يبقى موضوعاً للتطوير والمراجعة باستمرار.

ومن هنا ولما كان العقل الإنساني، غير قادر على اكتشاف كل الحقائق، فإنه يمسي من غير حقه أن ينكر ما لا يدركه، ويعدّه غير موجود أو غير صحيح، وكل ما من حقه أن يفعله في هذه الحالة، أن يتمسك مؤقتاً باللاأدرية، حتى تكشف له الأمور. فيحكم عند ذلك بالصحة أو البطلان.

دور الكشف: (المعرفة الفاعلة):

وهذا الدور يقوم على تلقي المعرفة، ليس من طريق الوسائل العقلية، بل من طريق انكشاف هذه المعرفة لمن اختصهم الله بالنبوة أو الرسالة، أو لمن يسعى إليها بالرياضة والمجاهدة كالصوفيين والعرفانيين على وجه العموم.

أما الأنبياء فيلقي الله إليهم المعرفة بواسطة ملاك من ملائكته فينقلونها إلى الناس، وهي معرفة واعية واضحة. وأما الصوفيون وسائر العرفانيين فيقولون إن المعرفة تنكشف لهم انكشافاً، وهم في الغالب لا يستطيعون نقلها، فيقتصر موقفهم على التلذّذ بها.

وهكذا فإن العقل يستعيد دوراً معيناً هنا يتمثل بالكشف عن أحوال النبوة لتلقي المعرفة من طريقها، لا لاتخاذ موقف من هذه المعرفة، قبولاً أو إنكاراً،

بل للتسليم بها. لأن إقامة العقل الإنساني نفسه حكماً في مسائل الوحي الإلهي، يعني أنه يتجاوز إمكاناته ويتنطح إلى أمور ليس من حقه التصدي لها.

فدور العقل إذاً في هذه الحالة يقتصر على التأكد من حقيقة نبوة هذا الشخص أو ذاك، ومن حقيقة صدور المعلومات عنه، فإذا ما تأكد من ذلك، أصبحت هذه المعلومات حقائق ثابتة ونهائية، ثم يستعيد دوره في التحليل للاستنباط استناداً إلى هذه المعلومات.

وإذا كنا اليوم لا نشهد أية نبوة حاضرة بل أخباراً عن نبوات سابقة وقرائن عليها، فإن هذه الأخبار تصبح بمثابة شهادات يجب الاستيثاق منها بدراسة أحوال من شهدوا بها، كما تصبح القرائن معطيات يجب معالجتها للوصول إلى المعلومات. وهكذا تصبح مرويّات من عاشروا الأنبياء بعد تمحيص صحة صدورها وصدقية رواتها معطيات لا يمكن للعقل أن يدحضها على أساس معطياته الخاصة، كما تصبح الكتب السماوية قرائن ثابتة يجب الركون إليها.

الموقف الرافض للمعرفة الفاعلة:

إن الموقف الذي يرفض التصديق بحصول النبوة، أو على الأقل ببعض ما صدر عنها مما لم يعتد على مثله، هو موقف غير مبرّر، بل هو موقف عقائدي يرفض هذه الأمور دون أية محاولة للتحقّق منها انطلاقاً من حقيقة عجز العقل البشري عن معرفة كل شيء.

فقد عمدت نزعة من هذه الصنف إلى القول إن فكرة الألوهية ناجمة عن رعب الإنسان وإحساسه بالضعف أمام قوى الطبيعة الجبّارة، وقد صدر هذا الرأي دون الاستناد إلاّ إلى الظنون، وهو لا يعدو كونه فرضية تلقفها العديد من الدارسين ليبرّروا إلحادهم.

إن ما تشكو منه هذه النظرية من الناحية العلمية، هو كونها لا تقوم على استنباط ولا على استقراء، ولم يثبت مؤيدوها أي سند تاريخي لها، وكل ما

يمكن عقلياً تجاهها هو القول بأنها ممكنة مبدئياً وإلى أن يثبت العكس، لا إنها حقيقة مطلقة. على أنها لا تجيب على سؤالين مركزيين:

الأول: ألم يكن بالإمكان أن تكون ردة العقل على ظواهر الطبيعة غير مستندة إلى فكرة الألوهية، وإذا كانت فكرة عزو الروح والإرادة إلى الظواهر الطبيعية وما يُتصور أنها نجمت عنه، فهل هذا يبرّر عزو فكرة الخلق وخاصة خلق الإنسان إلى خالق معين.

الثاني: إذا كانت فكرة عزو القوة الخارقة لظواهر الطبيعة المخيفة وبالتالي تصور فكرة وجود خالق للكون والإنسان، نتيجة لذلك، كلها ناجمة عن الخوف من هذه القوى والعجز عن مواجهتها، بشكل عام، ألم يكن ممكناً أن يشذ أي شعب من شعوب الأرض، حتى تلك المعزولة إلى الأمس القريب كشعوب استراليا الأصلية أو شعوب أميركا القديمة ويتفتق ذهنه عن رد من نوع آخر؟

إن هذه المواقف هي مواقف متأثرة بالفكر الإلحادي الغربي عن وعي أو عن غير وعي، وهي لا تخدم الحقيقة لا من قريب ولا من بعيد. علماً بأن الفكر الغربي نفسه يقف حائراً أمام ظواهر غير عادية، كظاهرة ماء «لورد Lourdes» في فرنسا، الذي يشفي بعض الناس من أمراض مستعصية، في حين لا يشفي بعضهم الآخر من نفس الأمراض، وما كان من هذا الفكر إلا أن تذرع باللاأدرية حيناً أو بالرفض المطلق للتصديق، دون أية محاولة للتحري عن صحة ما يجري.

بين الإمامة وإعادة إنتاج الدين

عندما تطرح عقيدة في مجتمع معين فإن هذا المجتمع يظهّرها بطريقة خاصة متأثرة بأوضاعه ومفاهيمه وعقائده، بحيث تأتي نسخة جديدة قد تختلف عن الأصلية لا في كثير من التفاصيل وحسب بل وحتى في الخطوط الرئيسيّة. كما تختلف عن النسخ التي تظهر في المجتمعات الأخرى وفي ظل الحضارات الأخرى، وهذا ما حل بالعقيدة الماركسية الاشتراكية التي أخذت في روسيا

ومن ثم في الاتحاد السوفياتي منحى معيناً اختلف عن المنحى الذي اتخذته في الصين أو في كوبا، كما اختلفت التفاصيل حتى بين بلد أوروبي وآخر رغم التقارب الثقافي.

والعقيدة في المجال الذي نعاينه لا بد من أن تكون نسبية وتاريخية، تأتي لترد على تحدٍ معين، ثم تنتشر في الأمم التي تواجه التحدي نفسه، ومع ذلك فهي تتخذ مسارات متباينة تختلف بين قوم وقوم، فكيف إذا كانت الأفكار التي تحملها أفكاراً مطلقة مصدرها إلهي غير مرتبطة بظروف معينة أو تاريخ معين؟

لقد قدّمت لنا الأديان البرهان الواضح على ما نقول. فلو أخذنا اليهودية مثلاً، لوجدناها اليوم ديناً يتناسب وأوضاع فريق من الناس بشكل عام. فيما تتباين مفاهيمه الجزئية بين بيئة وأخرى، فهو في النسخة العامّة يناسب مفاهيم عنصريّة انغلاقية، فيتحوّل «يهوه» إلى إلٰه خاص باليهود، ليس لأنه الله الواحد الأحد الذي آمن به بنو إسرائيل، بل لأنه إلٰه عنصري متحالف معهم على الخير والشر ضد الآخرين.

وإذا أخذنا المسيحية نجد أنها جعلت الألوهية ثالوثاً على غرار ما كان سائداً في الحضارات التي انتشرت فيها في البداية كالمصرية والرافدية واليونانية.

فإذا أخذنا الديانات المصرية نجد الثواليث المكون كل منها من الأب والأم والابن:

فثالوث ميتيليس يتكون من:

١ ـ أوزيريس، إلٰه الحضب، الأب.

٢ ـ إيزيس، الإلٰهة السماوية، الأم.

٣ ـ حورس، الباز، الذي أصبح حورس الابن.

وثالوث ممفيس يتكون من:

١ ـ بتاح، الخالق، الأب.

٢ ـ سخمت، الإلهة اللبوءة، الأم.
٣ ـ نفرتون الإله اللوتس الصغير، الإبن

وثالوث الفانتين يتكون من:

١ ـ خنوم، الإله الخزّاف.
٢ ـ ساتت إلهة الشلالات.
٣ ـ أنوخت إلهة الشلالات الأخرى.

وثالوث طيبة الكبير المكون من آمون ومُوت وخونسو وثالوث العصر الأدنى الذي ساد في دنديرا ويتكون من حورس من أدفو، وحاطور وأيهي من أدفو، وكذلك الثالوث المكوّن من حورس وحاطور وابنهما حارسمتوس[١].

وإذا أخذنا ديانات ما بين النهرين نجد أن الآلهة كانوا يشكلون أسراً: آن، الإله وأنيني، الإلهة. وكانوا يشكلون ثواليث كالثالوث الكبير المكوّن من:

١ ـ آنو، إله السماء.
٢ ـ أنليل، إله الأرض.
٣ ـ انكي إله المياه[٢].

وهنا نجد نمطين من الألوهية العائلية والثالوث غير العائلي.

أما في اليونان القديمة، فإننا نجد، على غرار بلاد الرافدين، أسراً إلهية وتزاوجاً واتحاداً بين الآلهة في كل حاضرة وقد تختلف الأسماء، إذ تقول الأساطير إن الإله زفس هيباتوس، إله الأعالي اتحد مع بوزيدون الأيلوزي فوُلدت ارتميس والحصان، وهذا ما يسهّل فهم وحدانية الأقانيم الثلاثة في المسيحية، وهناك أسطورة تقول أن أتميس عاشت مع أبيها بوزيدون. وقد تزوج بوزيدون بعد أن سيطر على كل الضفاف الشرقية مع الإلهة الأم[٣].

---

(١) Maxime Gorce et Raoul Mortier, Histoire générale des réligions, librairie Aristide Quillet, Paris 1948. t.1 P 247.

(٢) op. cit. P 384.

(٣) op. cit. T. 11 P 61.

وهكذا نجد أن القبائل اليهودية حورت الدين اليهودي، وفهمت الله على شكل إله قبلي خاص لا يقبل الشعوب الأخرى.

كما نجد الأمم التي اعتنقت المسيحية فهمت الألوهية على غرار ما كان سائداً من مفاهيم إلهية فيها. وبهذا أعاد اليهود والمسيحيون إنتاج دينيهما على ضوء ثقافاتهما وحضاراتهما، ثم تفرعت المذاهب التي كان أساسها الحضارات والثقافات الفرعية. فهل نجا الإسلام من هذه السنة؟

إن الإسلام تعرّض لما تعرّضت له الديانات السابقة، مصداقاً لنبؤة الرسول ﷺ بأن هذه الأمة ستحذو حذو الأمم السابقة «حذو القذة بالقذة» أو «حذو النعل بالنعل»[1]. ففي السقيفة استخدم زعماء قريش القيم القبلية، إذ يقول أبو بكر في ردّه على خطيب الأنصار: «أما بعد فما ذكرتم فيكم من خير فأنتم أهله، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلاّ لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً»[2].

وهكذا فقد حاجّ أبو بكر الأنصار الذين حموا الإسلام وقاتلوا أعداءه وقدّموا الشهداء بلا حساب، بحجة قبليّة، جعلت من قريش، ومعظم رجالها ممن قاتلوا الرسول ﷺ ودعوته، هي المستحقة للخلافة، لا بأمر إلهي، بل لأن العرب، والأكثرية الساحقة منهم أسلمت بعدما يئست من التغلّب على الرسول ﷺ، أو هي أرغمت على الإسلام، لأن العرب هؤلاء لا يعرفون هذا الأمر إلاّ «لهذا الحي من قريش».

ثم إن عمر الذي يدافع في السقيفة عن أحقية أبي بكر، يتمسك بالمفهوم القبلي نفسه، فيقول، رداً على خطيب الأنصار: «والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت

(١) يراجع سنن الترمذي، كتاب الإيمان الباب ١٨ من حديث عبدالله بن عمرو ومسند أحمد: ٤/ ١٢٥ من حديث شدّاد بن أوس.

(٢) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي، المكتبة العصرية، لبنان ١٩٨٩، ص ٧٨. وراجع كذلك تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي، ج٢، ص ٤٤٦.

النبوة فيهم ووليُّ أمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين. من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته، إلاّ مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة[1]. وهو مدل بباطل ومتجانف لاثم ومتورط في هلكة لأنه ينازع عشيرة محمد ﷺ سلطانه، لا لأنه مخالف للقرآن والسنة.

ثم أن عمر لم يطمئنّ إلى النصر في بيعة أبي بكر إلاّ عندما أقبلت قبيلة أسلم[2].

وهكذا فقد جرى تجاهل السابقين الأوّلين إلى الإسلام ممن ذاقوا الأمرّين، وحسمت قريش، ببعض أفخاذها، وكأن الإسلام غنيمة قبلية.

ولكن الأمر تفاقم مع ولاية عثمان، فقد عارض هذه الولاية عدد من كبار الصحابة، وكان منهم عمار بن ياسر، الذي كان يرى أحقية علي عليه السلام، فلام قريشاً على اختيار عثمان، فأجابه، ومن المنطلق القبلي الجاهلي نفسه، هاشم ابن الوليد بن المغيرة، بقوله: «يا ابن سمية، لقد عدوت طورك وما عرفت قدرك. ما أنت وما رأت قريش لأنفسها، أنك لست في شيء من أمرها وإمارتها، فتنحَّ عنها. وتكلّمت قريش بأجمعها فصاحوا بعمار وانتهروه[3]. وهكذا فإن عماراً، الذي قاسى ما قاساه، على أيدي قريش نفسها عندما آمن وكانوا كفاراً، يعدو طوره إذا أعطى رأيه في خلافة المسلمين، التي جعلتها قريش إمارة لها وإمرة.

وما إن ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان حتى أثارها قبلية غير مستترة، فبدأت الحساسيات تتأجج لتنفجر حرباً بين القيسية واليمنية[4] وعادت مفاهيم الجاهلية لتتلبس لبوس الإسلام.

---

(١) تاريخ الطبري، دار المعارف، ط٤، ج٣، ص ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص ٥٣٠ وما بعدها. راجع كذلك في سائر كتب التاريخ مشاكل الصراع القبلي لا سيما بعد وفاة يزيد بن معاوية بين القيسية واليمنية الذي توج بمعركة مرج راهط.

وهكذا فقد أعادت القبلية القرشية إنتاج الإسلام، وهي عصبيّة جاهلية كان الرسول ﷺ أمر بتجاوزها والتخلي عنها، وذلك في حديث شريف يقول: «من قُتل تحت راية عمّيّة يدعو عصبية [أو ينصر عصبية] فقتلته جاهلية»[1].

ضرورة الإمام

هل أن إعادة إنتاج الأديان كانت الحل الوحيد أمام أتباعها؟

إننا نعتقد، وهذا ما أثبتته التجربة، أن الدين إذا ترك للناس أمره، فلا بدّ من يشوّهوه ويصبغوه بصبغتهم الثقافية. أما إذا ائتمن عليه رجال اصطفاهم الله تعالى، فعندها فقط يمكن أن يحفظ. ومن هنا كانت ضرورة الإمامة لتصون الدين من التحريف. وهذا ما أمر الله رسوله بأن يبيّنه لأمته، وإلاّ فإنها ستحذو خطى من كان قبلها حذو القذة بالقذة.

إلا أن الأئمة كانوا معروفين حتى ما بعد منتصف القرن الثالث الهجري بقليل، فهل انقطعت السلسلة؟

إن انقطاعها ضياع للدين لا يرضاه الله تعالى، ولكن سلوك البشر قد يكون سبباً في ضلال أنفسهم. وهذا ما حصل فكانت غيبة الإمام، التي سنتناولها لكشف ظروفها ولنبين كيف ستنتهي، بعد تحديد شخص هذا الإمام، معتمدين معطيات العقل والعلوم البشرية إلى جانب المعطيات الدينية.

فكرة المخلص المنتظر:

سادت هذه الفكرة وما زالت لدى كل الأديان المعروفة، وبشكل خاص الأديان السماوية نتيجة لإخبار أصحاب الرسالات السماوية بها. وقد عمد أصحاب الفكر الرافض للمسائل الغيبية إلى رفضها دون تمحيص وادّعوا أنها ناجمة عن بسيكولوجيا القهر، التي تدفع الإنسان المحبط إلى إفراز قوى

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة الباب ٥٧، راجع كذلك مسند أحمد ٣٠٦/٢ و٤٨٨، وسنن النسائي تحريم/٢٨.

التحصين النفسي التي تمنعه من الاستسلام واليأس، على غرار ما يفرزه الجسم عندما يتعرّض لعدوان ميكروبي أو فيروسي.

إن هذا الرد يصح بشروط:

أولها: أن يثبت أن النفس ردت فعلاً، لدى الشعوب المقهورة بهذه الطريقة، وهذا الثبوت يجب أن يحصل من طريق التجربة والمعاينة والشهادة. فإذا ما تحقق ذلك فإنه يطرح إمكانية كون الفكرة ناتجة عن بسيكولوجيا القهر، دون أن ينفي الإمكانيات الأخرى.

ثانياً: أن يثبت عدم صحة حقيقة المخلّص المنتظر كإمكانية واقعية أو احتمالية إلى جانب الأولى في حال صحتها.

ثالثاً: إن الفكرة لم تسد فقط لدى الشعوب المقهورة، بل هي وجدت لدى الشعوب المنتصرة كذلك، كالمسلمين أيام الرسول ﷺ، واليهود أيام داود كما ورد في الكثير من المزامير.

غير أن الرفض لم يقتصر على هذا الفريق من الناس، بل هو تعداه إلى بعض المفكرين المسلمين الذين يتجاهلون الأحاديث الواردة حول المهدي المنتظر أو يشككون فيها على أساس أن الفكرة ذات منشأ مذهبي، ولكن هؤلاء لم يقوموا بدراسة حقيقية لهذه الأحاديث ويثبتوا عدم صحتها وحقيقة أصلها المذهبي.

وكان من الرافضين كل من العلامة ابن خلدون من القدماء وأحمد أمين ورشيد رضا والدكتور عبد الرحمن بدوي في العصور الحديثة وغيرهم ممن تأثروا بالفكر الغربي الذي روجه «غولدسهير» و «فلون».

موقف المتجاهلين، نموذج د. عبد الرحمن بدوي:

لقد تجاهل هذا الفريق أحاديث الرسول ﷺ، أو هو ربما لم يؤمن بها، فلذلك هو رفض الفكرة بشكل متعسّف، وينتمي إلى هذا الفريق الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي يرى أن كعب الأحبار هو الذي حمل فكرة المهدي

المنتظر إلى المسلمين، وذلك اعتماداً على بيت من الشعر ورد على لسان كثير عزة، دونما انتباه إلى الأحاديث الواردة والمنسوبة إلى النبي ﷺ، تلك الأحاديث التي لم يكلف الدكتور بدوي نفسه عناء دراستها بالطرق العلمية، سواء التي اعتمدها الرواة المسلمون والفقهاء، أو التي يمكن لأي عاقل أن يعتمدها.

يقول كثيّر عزة:

هو المهديُّ خبّرَناه كعب أخو الأحبار في الحقب الخوالي

فيستنتج الباحث من هذا البيت «أن كعب الأحبار اليهودي الأصل هو الذي بثّ فكرة المهدي في الإسلام». ويضيف: «وإذا كان كعب الأحبار المتوفى سنة ٣٢هـ. هو الذي بثّ فكرة المهدي في الإسلام، فسيجعلنا هذا نرتفع بظهور الفكرة في الإسلام إلى قبل سنة ٣٤هـ أي أوائل خلافة عثمان». إلا أن الكاتب يعترف أن ما زعم من قول كعب الأحبار غير محدّد، الأمر الذي لا يسمح له بالاسترسال في هذا المجال. فهو يقول: «لكن عدم تحديد ما قاله كعب الأحبار بالضبط لا يسمح لنا بمزيد من التوسع في هذا الفرض»، ثم يسترسل مع الفرضيات فيقول: «ولربما كان حديثه عاماً عن فكرة المهدي دون أن يربطها بشخص بعينه»، ولذلك فهو يتحفظ قائلاً: فمن الأحوط أن نقول إنها أصبحت عقيدة دينية بالمعنى الإصطلاحي، ابتداء من حركة الكيسانية التي تزعمها المختار بن عبيد (المتوفي سنة ٦٧هـ. أي حوالي سنة ٦٠هـ)[1].

وما يمكن أخذه على الدكتور بدوي هو أنه افترض أن كعب الأحبار هو صاحب فكرة المهدي في الإسلام بناء على شعر كثير عزة، الذي لا يعني أن كعباً هو الذي جاء بالفكرة، والذي يحتمل أنه أكّدها مثلاً، ولعل ما يؤكد هذا الأمر أن المنسوب إلى كعب من أحاديث حول المهدي هو إيضاحات وردت بمناسبة بعض الأحاديث النبوية الشريفة، أو أحاديث ثانوية لا أهمية لها. فقد

(١) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٣، ج٢، ص ٧١ وما بعدها.

أسند إليه حديث عن فتن ثلاث، وحديث عن فتن أربع، وحديث عن أن اسم المهدي اسم نبي أو هو محمد، أو أن نجماً سيطلع من المشرق، أو أن أحب البلاد إلى الله الشام، أو أن المهدي يقاتل الروم، أو أنه يهدي إلى أمر خفي، أو أن المهدي يخرج إلى بلاد الروم وخاصة إلى القسطنطينية، أو أن أهل السماء والأرض والطيور يصلون على المهدي، وبعض الأحاديث حول ملك بمصر وآخر في الشام، وأحاديث حول بني العباس، وحول المسيح، أو حديث اقتتال حول الفرات من أجل كنز. وهي أحاديث لم ينفرد بذكرها كعب الأحبار، وهي من بين حوالي خمسمائة وستين حديثاً منسوبة إلى الرسول ﷺ درسها العلماء ووجدوا فيها الصحيح والحسن والمقبول والضعيف. وكل ذلك مما لم يقم له الدكتور بدوي أي وزن، بل راح يطلق الفرضيات ويصدقها دون أي دليل يمكن الركون إليه، وهي الآفة التي أفسدت الكثير من المواقف حول الأمور الغيبية، فأدت، إلى رفضها بشكل متعسف.

موقف ابن خلدون:

يستعرض ابن خلدون عدداً من الأحاديث الواردة في المهدي ويضعّفها جميعاً[1] ويستنتج قائلاً: «فهذه جملة الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت، لم يخلص منها من النقد إلاّ القليل أو أقل منه»[2].

وحتى يقضي على هذا «القليل أو الأقل منه»، يعود ابن خلدون إلى نظريته في العصبية، ليؤكد أن الفاطميين وحتى الطالبيين قد تبدّدوا ولن تقوم لهم عصبية تجمعهم ليؤسسوا دولة في يوم من الأيام. «والحق الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه. وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أريناك هناك. وعصبية الفاطميين بل وقريش أجمع قد تلاشت من

(١) راجع ابن خلدون المقدمة، دار الفكر، ص ٢٤٦ ـ ٢٦١.
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥٥.

جميع الآفاق، ووجد أمم آخرون قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش، إلاّ ما بقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر متنشرون في تلك البلاد وغالبون عليها، وهم عصائب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم وآرائهم، يبلغون آلافاً من الكثرة، فإن صح ظهور هذا المهدي، فلا وجه لظهور دعوته إلاّ بأن يكون منهم، ويؤلف الله بين قلوبهم في أتباعه، حتى تتم له شوكة وعصبية وافية بإظهار كلمته وحمل الناس عليها. أما على غير هذا الوجه، مثل أن يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة، إلا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة»[1].

وهكذا فإن ابن خلدون يستند أساساً إلى نظريته في العصبية كعامل وحيد في إقامة الدول، ليفسر بواسطتها عدم إمكانية إقامة دولة للمهدي (عج) في آخر الزمان، إلا على أساسها.

والواقع أن نظرية العصبية نظرية كانت مقبولة حتى زمن ابن خلدون، وربما لزمن معين بعده. أما اليوم فلم يعد القبول بها ممكناً إلاّ في المجتمعات القبلية وهي مجتمعات لا تغطي الكرة الأرضية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن نظريته حتى ولو كان قدر لها أن تبقى نظرية صحيحة ومقبولة بشكل عام، فإن قضية الإمام المنتظر قضية لا يستبعد فيها خرق القوانين الطبيعية.

أما ما أثاره ابن خلدون من تشكيك في الأحاديث الواردة حول موضوع الإمام المهدي(عج)، فهو لا يستقيم أمام النظرة العلمية، فهو من جهة يشير إلى عدد كبير من الأحاديث، بلغت ثمانية وعشرين حديثاً، ثم يعمل معول النقد في أسانيدها، بطرق نقلية يسلم بها بما قاله كل عن الآخرين دون أية محاولة لتمحيص تلك الآراء ومعرفة جميع العوامل المحركة لها، متجاهلاً أن وفرة الأحاديث تجبر الضعيف منها.

(١) المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

وقد رد عدد من العلماء على ابن خلدون في مجال رفضه للأحاديث، فذهب بعضهم إلى أن أحاديث المهدي بلغت حد التواتر، وحكم المتواتر وطريقة معالجته ليسا كحكم أحاديث الآحاد ومعالجتها، إذ أنه في المتواتر لا يبحث عن الجرح والتعديل كما في أخبار الآحاد. وقد ذهب إلى هذا أبو الفيض الغماري في كتابه «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون»، إذ يقول: «ألا وأنّ في أعلامها الصريحة وأشراطها الثابتة الصحيحة ظهور الخليفة الأكبر والإمام العادل الأشهر... فقد تواترت بكون ظهوره من أشراط الساعة ومن شروطها، الأخبار وصحت عن رسول الله ﷺ في ذلك والآثار، ففي التذكرة للإمام القرطبي وفتح الباري الأمير الحفاظ العسقلاني نقلاً عن الحافظ أبي الحسين الآبري أنه قال ما نصه: ... تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ في المهدي وأنه من أهل بيته..

وممن نص على تواتر أحاديث المهدي أيضاً الحافظ شمس الدين السخاوي في فتح الغيث والحافظ جلال الدين السيوطي في الفوائد المتكاثرة...».

ويتابع الكاتب ذكر من شهدوا بالتواتر فيسمي كلاً من العلامة ابن حجر الهيثمي والمحدّث الزرقاني والقنوجي والشوكاني. ويستنتج من كل هذا أنه: «قد كثر في الناس اليوم من يخفى عليه هذا التواتر ويجهله ويبعده عن صراط العلم جهله ويضله من ينكر ظهور المهدي وينفيه ويقطع بضعف الأحاديث الواردة فيه مع جهله بأسباب التضعيف وعدم إدراكه معنى الحديث الضعيف وتصوره مبادئ هذا العلم الشريف وفراغ جرابه من أحاديث المهدي الغنية بتواترها عن البيان لحالها والتعريف. وإنما استناده في إنكاره مجرد ما ذكره ابن خلدون في بعض أحاديث من العلل المزورة المكذوبة ولمز به ثقات رواتها من التجريحات الملفقة المقلوبة، مع أن ابن خلدون ليس له في هذه الرحاب الواسعة مكان ولا ضرب له بنصيب ولا سهم في هذا الشأن ولا استوفى منه بمكيال ولا ميزان»[1].

(١) أبو الفيض الغماري المغربي، إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، مطبعة الترقي بدمشق الشام، ١٣٤٧، ص ٢٣٧.

وقد وصف ابن خلدون، الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة، بأنه من «الإخباريين الذين هم ليسوا من أهل الاختصاص»[1].

ولعل من أهم ما أخذه علماء الحديث على ابن خلدون كونه يستهل الفصل الذي يعقده حول المهدي (عج) بالقول: «إعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيّد الدين ويظهر العدل...»[2]، ثم يشكك في الأحاديث ويضعفها، وكان الأحرى به أن يعتبر الشهرة دليلاً على الصحة بوجه عام.

على أننا حتى نتصف ابن خلدون، نقول أنه لم ينفِ مسألة الإمام المهدي (عج) بالمطلق، بل هو ترك لها احتمالاً إذ يرى أنه يمكن أن يظهر بين أبناء الحسن والحسين وجعفر ممن كانوا ينتشرون «في مكة وينبع بالمدينة».

موقف أحمد أمين:

يقول أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام[3] منكراً قضية المهدي المنتظر: «وفكرة المهدي هذه لها أسباب سياسية، واجتماعية ودينية. ففي نظري أنها نبعت من الشيعة وكانوا هم البادئين باختراعها وذلك بعد خروج الخلافة من أيديهم» ويضيف: «واستغل هؤلاء القادة المهرة أفكار الجمهور الساذجة المتحمسة للدين والدعوة الإسلامية، فأتوهم من هذه الناحية الطاهرة، ووضعوا الأحاديث يروونها عن رسول الله ﷺ في ذلك، وأحكموا أسانيدها وأذاعوها، فصدقها الجمهور الطيب، وسكت رجال الشيعة لأنها في مصلحتهم». ويستنتج أحمد أمين من كل ذلك: «حديث المهدي هذا حديث خرافة، وقد ترتب عليه نتائج خطيرة في حياة المسلمين»، إذ «امتلأت عقول الناس بأحاديث تروى وقصص تقصّ، ونشأ باب

(١) مجلة الجامعة الإسلامية ذو القعدة، ١٣٨٨.
(٢) ابن خلدون، المقدمة، مذكور سابقاً، ص ٢٤٦.
(٣) أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١، ج٣ ص ٢٤١ ـ ٢٤٤.

كبير في كتب المسلمين اسمه الملاحم. . . وجعلت هذه الأشياء كلها أحاديث بعضها نسبوه إلى النبي ﷺ وبعضها إلى أئمة أهل البيت، وبعضها إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه، وهكذا. وكان لكل ذلك أثر سيء في تضليل عقول الناس وخضوعهم للأوهام، كما كان من أثر ذلك الثورات المتتالية في تاريخ المسلمين، ففي كل عصر يخرج داعٍ أو دعاة كلهم يزعم أنه المهدي المنتظر، ويلتف حوله طائفة من الناس. . وهذا كله من جراء نظرية خرافية هي نظرية المهدية، وهي نظرية لا تتفق وسنة الله في خلقه ولا تتفق والعقل الصحيح. . ».

هذا ويجاري أحمد أمين في تصوراته الشيخ عبدالله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعية في دولة قطر، الذي وضع رسالة بعنوان: «لا مهدي ينتظر بعد الرسول سيد البشر». وقد جاء فيها: «ومن المعلوم أن اعتقاد المهدي والقول بصحة خروجه يترتب عليه من المضار والمفاسد الكبار ومن إثارة الفتن وسفك دماء الأبرياء، ما يشهد بعظمته التاريخ المدروس والواقع المحسوس من كل ما يبرأ النبي ﷺ عن الإتيان به، إذ الدين كامل بدونه»[1].

إن أحمد أمين يطلق استنتاجاته وخواطره دون أن يبيّن لنا كيف أن الشيعة هم أساس فكرة المهدية، ودون أن يكلف نفسه مناقشة الأحاديث في إسنادها ومتونها، مكتفياً بشطحة قلم تطيح عشرات الأحاديث بل مئاتها بل آلافها، ويدعي أخيراً أنها تتناقض مع سنة الله في خلقه ومع العقل السليم.

أما قوله بأن النظرية اخترعها الشيعة فرد أهل السنة عليه هو في إثبات العشرات من أعلامهم لهذه الفكرة ولتفصيلاتها، بعدما أشبعوا الأحاديث دراسة تمحيصاً.

وأما ما ترتب على الفكرة من خروج الدعوات والدعاة كما ذكر أحمد أمين وابن المحمود، فهو أمور لا تسأل عنها الفكرة بل من استغلوها. ولو كان منطق أحمد أمين صحيحاً هنا لأوخذت فكرة النبوة بسبب خروج الأنبياء الكذبة.

---

(١) الرسالة، ص ٥.

وأما أخيراً كون النظرية لا تتفق وسنة الله في خلقه، فإن أحمد أمين لم يبين لنا ما هي سنة الله في خلقه، ولا كيف كانت فكرة المهدية مناقضة لها.

وما يرد به على أحمد أمين هنا، هو أن الله تعالى يقول: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ [القصص/ ٥] كما يقول جل من قائل: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء/ ١٠٥].

هذا وأن العقل الصحيح يقضي بأن الخير لا بدّ أن ينتصر في نهاية المطاف، وهذا ليس نابعاً من الرغبة أو العاطفة المركوزة في المستضعفين، بل نتاج لتحليل علمي يقول:

١ ـ إن الله الذي خلق الخلق وأمرهم باتباع الصراط المستقيم، لا بدّ من أن يقيم الحجة عليهم أخيراً بإمكانية قيام نظام تتجسّد فيه القيم الأخلاقية، حتى لا يتذرع أحد بكونها غير ممكنة التطبيق.

٢ ـ إن البشرية، لا بد لها، من أن تتحرك مهما طال الزمن، ضد كل ظلم وتخلف، وبذا فإن مسيرتها لا بد أن تصل إلى إقامة مجتمع العدل والوفرة. وما الانتكاسات التي تشهدها البشرية في هذا العصر أو ذاك، إلاّ مراحل مؤقتة في مسيرتها الطويلة. ذلك أن الظلم الذي يُتحمل حيناً من الزمن لا يمكن أن يُتحمل إلى الأبد، وإذا ما استسلمت له أجيال فلا بدّ أن تثور عليه أجيال أخرى، وإذا ما تحركت البشرية حيناً بطريقة خاطئة أو قاصرة، فهي لا بد من أن تكتشف، بعد حين هذا الخطأ والقصور لتبدأ مسيرة تصحيحه.

وأما فكرة أن الدين كامل بدونه، فالردّ عليها أن القائلين بظهور المهدي وضرورته لا يدّعون أنه سيكمل الدين، بل أنه سيصحح مسار المسلمين، ويعيد إلى الإسلام عزته ومنعته وينشره في الأرض ليظهر على الدين كله ولو كره المشركون.

موقف رشيد رضا:

يشكك رشيد رضا في «تفسير المنار»[1] بأحاديث المهدي بعد تشكيكه بأحاديث الدجال، ويرى أن التعارض في الأولى أقوى وأظهر والجمع بين الروايات عنه أعسر والمنكرون له أكثر والشبهة فيه أظهر، ولذلك لم يعتدّ الشيخان بشيء من رواياتها في صحيحيهما.. والشيعة.. يقولون أنه دخل السرداب في دار أبيه في مدينة سرّ من رأى... وله من العمر تسع سنين وأنه لا يزال في السرداب حياً وقد رفع إليه بعض علمائهم المتأخرون أسئلة شرعية في رقاع كانوا يلقونها، وزعموا أنهم كانوا يجدون فتاواه مدوّنة فيها».

أما حول اسم «المهدي» فقد «روي عن كعب الأحبار أنه قال: إنما سمّي بالمهدي لأنه يهدي إلى أمر خفي وسيخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية. وفي رواية أخرى عنه: إنما سمّي بالمهدي لأنه يهدي إلى أسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام ويدعو إليها اليهود، ويسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة ـ رواها أبو نعيم في كتاب الفتن وروي مثل ذلك عن عمرو الداني. وإنما هو مأخوذ من تضليلات كعب الأحبار».

وحول الخلاف بين الشيعة والعباسيين حول نسب المهدي، يقول المؤلف: «وسبب الخلاف أن الشيعة كانوا يسعون لجعل الخلافة في آل الرسول ﷺ من ذرية علي عليه السلام، ويضعون الأحاديث تمهيداً لذلك ففطن لهذا الأمر العباسيون فاستمالوا بعضهم. ورأى أبو مسلم الخراساني وعصبيته أن آل علي يغلب عليهم الزهد وأن بني العباس كبني أمية في الطمع في الملك، فعمل لهم توسلاً بهم إلى تحويل عصبية الخلافة إلى الفرس تمهيداً لإعادة المجوسية. وحينئذ وضعت أحاديث المهدي مشيرة إلى العباسيين مصرحة بشاراتهم السوداء.

---

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، مطبعة المنار بمصر، ط١، ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٨م، ج٩، ص ٤٩٩ ـ ٥٠٤.

ولما انقضى أمر بني العباس وكانت الأحاديث قد دوّنت، لم يسع القائلين بظهور المهدي إلاّ أن يقولوا: «إن الرايات السوداء هي غير رايات بني العباس. على أن خصومهم قد رووا في معارضتها روايات ناطقة بأن رايات المهدي تكون صفراء، وروايات في أن ظهوره من المغرب لا من المشرق».

ويستخلص محمد رشيد رضا بعض الاستنتاجات منها:

أن النبي لم يكن يعلم الغيب، وأن الله تعالى أعلمه ببعض الغيوب كفتنة قتل عثمان ويوم الجمل... أو كسؤاله الله أن لا يجعل بأس أمته بينهم، فأعلمه الله أنه لا يغير سنته. ثم أنه ﷺ كان يتمثل له بعض الأمور كرؤية الجنة والنار، وما رآه يوم الخندق من انفتاح قصور كسرى وقيصر، وما رآه وهو في بعض آطام المدينة من الفتن.

ويذهب المؤلف إلى القول أن الرسول لم يكن مكلّفاً بنقل تفسير بعض الأمور إلى جميع الناس لا سيما ما يتعلق بتأويل بعض الآيات.

ويضيف أن الأحاديث نقلت بالمعنى وأن الرواة زادوا فيها من عندهم، وهم أخذوا كل ما سمعوا من أي مسلم، صادقاً كان أو كاذباً، على أساس أن كل الصحابة عدول. وأخيراً فإنه يرى أن النبي كان يجهل بعض المغيبات، ويطرح فيها ظنه دون وحي كحديث ابن صائد.

ورداً على موقف رشيد رضا نستطيع القول: أن هذا الموقف لا يعتمد إلا على ظنون صاحبه، فهو لم يبين لنا انحصار الأحاديث بكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما، ولم يبن كيف ومتى وضع الشيعة الأحاديث ومن وضعها منهم، ومن الذي غيّر الأحاديث بعد انقضاء «أمر بني العباس».

ثم كيف حكم رشيد رضا على أن الله أبلغ رسوله ببعض المغيبات كفتنة قتل عثمان، وأنه سيجعل بأس أمته بينهم، وأنه تمثلت له بعض الأمور كرواية الجنة والنار وانفتاح قصور كسرى وقيصر، ولم يبلغه أي شيء بخصوص المهدي؟

فإذا كان الشيخ يقرّ بأن الله أعلم رسوله ببعض المغيبات فنحن نقول: ليس ما يمنع من أن يكون أبلغه الأمور المتعلقة بالمهدي لأهميتها، ذلك أن مسألة إقامة نظام إسلامي حقيقي بعد إفراغ الإسلام من كل محتواه السياسي وانحسار دولته لقرون متطاولة، ليست مسألة هامشية، وهي ليست أقل أهمية من فتنة يوم الجمل أو فتنة مقتل عثمان أو غيرها..

أمّا ما يدّعيه الشيخ رشيد رضا من كون الرسول ﷺ «كان يجهل بعض المغيّبات ويطرح فيها ظنّه دون وحي كحديث ابن صائد، فهو تشكيك بصدقيّة الرسول ﷺ يشجّع على الكفر بكل ما أتى به».

أما مسألة الشيعة وبني العباس، فإن الثابت أن الأحاديث موجودة بشهادة الرواة الذين رووها ويلغوا بها حدّ التواتر، وما فعله بنو العباس هو أنهم حاولوا تحقيقها، فحملوا الرايات السود وتحركوا بجيش كثيف ضد الأمويين، وأنهم أطلقوا اسم المهدي على أحد خلفائهم. ولكن ثبت أن هذه الثورة ليست ثورة المهدي، ولذلك عمدوا إلى محاولة استئصال الأئمة العلويين حتى لا يقوم المهدي وينهي دولتهم، حسب تصورهم.

وعلى كل حال فإن قضية المهدي وحسب الأحاديث قضية مرتبطة بتفشي الظلم وضرورة القضاء عليه بثورة شاملة.

ضروب الثورة العالمية:

إن الثورة العالمية ضد الظلم هي ثورة لم تدعُ إليها الأديان فقط، بل توصل إليها الفكر الإنساني من طريق معاينة أطوار التاريخ ودراسة سننه[1].

ففي اليونان القديمة، دعا السفسطائيون إلى إلغاء الامتيازات الاجتماعية لا في اليونان وحسب بل وعلى الصعيد العالمي، وعدّ الكلبيون تنظيمات الدولة مضادة للنظام الطبيعي للأشياء واستغربوا الفوارق الطبقية.

(١) راجع ماريا لويزا برنيري، Journey through Utopia ترجمة عطيات أبو السعود في عالم المعرفة وقد لخص الكتاب آراء كتاب الطوباريات منذ العصر اليوناني القديم حتى يومنا الحاضر. رقم ٢٢٥ عدد أيلول/ سبتمبر ١٩٩٧.

وحرص الرواقيون على الدعوة للتخلص من الدول والتنظيمات السياسية، وإقامة الحرية والمساواة الكاملة بين جميع البشر.

أما أفلاطون فدعا إلى تغيير جذري في النظام بحيث يكون على رأس الحكم فيلسوف.

وكل هذا ناجم عن المظالم الاجتماعية الصارخة التي عاينها المفكرون والمصلحون، فكان لا بدّ لهم من رسم النظام الموعود، على أن تحقيق هذا النظام لا يمكن أن يتم إلاّ بالثورة، سواء أكانت سلمية أم عنيفة. وقد جاهد النبي محمد ﷺ الكفار والمنافقين وخاض الحروب لتحرير الإنسانية وأوصى بالجهاد ضد الكفار والظالمين.

كما أكّد السيد المسيح، بحسب نسخ الإنجيل المتداولة إلى الثورة على الموروثات الاجتماعية إذا ما تعارضت مع التعاليم الإلهية، فقال: «لا تظنّوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأفرّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها» (متى: ١٠/ ٣٤ و٣٥).

وبعد مجيء المسيحية والإسلام، وبعد إقامة الدولة الإسلامية، يعود الفارابي إلى تأكيد أمور يراها الحل في مجال النظام السياسي، فيضع لرأس الدولة معايير تجعل منه نبياً أو إماماً يتلقى الوحي أو الإلهام.

وفي عصر النهضة الأوروبية دعا السير توماس مور (١٤٧٨ ـ ١٥٣٥) في «اليوتوبيا» إلى إلغاء الملكية الفردية، وإلى تقسيم عادل ومتساوٍ للسلع، لأن الملكية المطلقة تحصر السلع بين أيدي عدد قليل من الناس، فيما يكابد الآخرون الفقر والعوز. وهؤلاء الفقراء يستحقون ما يتمتع به الأغنياء، لأن الأغنياء جشعون وفاقدو الضمير ولا فائدة منهم للدولة، أما الفقراء فهم حسنو السلوك مهذبون وبسطاء وهم أكثر نفعاً للدولة بعملهم اليومي، منهم لأنفسهم.

كما دعا كامبانيلا (١٥٦٨ ـ ١٦٣٩) في «مدينة الشمس» إلى شراكة السكان في كل الأشياء في جماعة يقوم القضاة على إدارتها، على ألا يقتصر هذا الاشتراك على الغذاء بل ينسحب إلى المعرفة والمسرات وأوجه التشريف

والتكريم، بحيث لا يستطيع الإنسان التفرد بتملك أي شيء، لأن الأب الحريص على أن يهيء لابنه الثروة والشرف، إما أن يسعى للاستحواذ على الثروة العامة، وذلك إذا كان قوياً وجريئاً، وإما أن يصبح جشعاً ومنافقاً إذا كان ضعيفاً.

أما فالنتين أندريا (١٥٨٦ ـ ١٦٥٤) فهو يدعو أيضاً إلى إلغاء الملكية الخاصة، وإلى تمكين كل شخص من أن يتسلم كل ما يحتاج إليه من المعارض التي تحوي المنتجات الضرورية. وذلك في جمهورية يقوم الناس فيها بالعمل، وهو عمل غير مضنٍ ولكنه ينجز ما لا يقل عن إنجاز الآخرين بأعمالهم المرهقة، ويرى أن التفاضل يقوم على القوة والعبقرية والأخلاق القويمة والتقوى، التي تحظى بأكبر قسط من الاحترام.

وفي نفس السياق يدعو جيرارد ونستنلي (١٦٠٩ ـ ١٦٦٠) إلى حكومة كومنولت تحكم الأرض دون بيع أو شراء، وتمد الجميع من مقهورين وفقراء وضعاف بحاجاتهم من المواد الغذائية كما تمد غيرهم سواء بسواء، وتقيم السلام وتحول السيوف والرماح إلى مناجل، وتلغي كل أشكال العبودية والقهر، التي فرضها على البشرية الملوك والاقطاعيون والمحامون وملاك الأراضي ورجال الدين.

أما غبرييل دي فوانبي (١٦٣٠ ـ ١٦٩١) فيرسم مجتمعاً لا حكومة فيه، بل تتخذ القرارات فيه في المجالس المحلية لكل وحدة سكنية على حدة، ويوفّر الطعام بشكل جماعي، حيث يحمله مندوبو كل منطقة معهم إلى المؤتمر اليومي الذي يعقدونه مع مندوبي المناطق الأخرى.

ودعا أوين (١٧٧١ ـ ١٨٥٨) إلى إقامة تعاونيات زراعية تضم الواحدة منها ما معدله ثلاثماية شخص، يلتقون في جو من المساواة وينال كل منهم نصيباً محدداً من السلع المنتجة. وعلى التعاونيات أن تلتقي وتؤلف فيدرالية.

أما فورييه (١٧٧٢ ـ ١٨٣٠) فيعلن عدم ثقته بالحكومة، حتى ولو كانت مستنيرة، بل يرى ضرورة البحث عن راع ثري يستطيع تمويل إنشاء تعاونيات، وقد أقيم فعلاً على أساس أفكاره تجمعات (كوميونات) في كل من فرنسا وأميركا.

ولكن لوي بلانك (١٨١١ ـ ١٨٨٢) الذي عايش مآسي العمال بعد الثورة الصناعية، يطلب الإصلاح من الدولة التي يجب أن تقوم بدور المنظم الأعلى للإنتاج، فتقيم ورش العمل في فروع الصناعة المهمة وتتوسع فيها حتى تشمل البلاد بأسرها، فتصبح المالك الوحيد لوسائل الإنتاج حتى تتلاشى اللامساواة فتتلاشى الدولة.

إما إيتيين كابيه (١٧٨٨ ـ ١٨٥٦) فيرى أن الرذائل تعود إلى التنظيم السيء للمجتمع، وعلى رأس الرذائل تقوم اللامساواة. وهو يدعو إلى المشاعية القومية الكبرى في استهلاك الثروة، وعلى عكس بعض دعاة هذا التيار الذين يدعون إلى قلب الحكومة بالقوة (بابيف)، فإن كابيه يرى قلبها بالمناقشة والإقناع وقوة الرأي العام. هذا ويؤمن كابيه بأنه يجب أن تكون الملكية ورأس المال للشعب، وأن العمل يجب أن يكون إلزامياً. وأخيراً هو يرى أن السيادة للشعب وعليه وحده أن يضع عقده الاجتماعي.

وفي نفس الخط يرى إدوارد بيلامي (١٨٥٠ ـ ١٨٩٨) ضرورة تأميم الصناعة وتعبئة العمال، ويرى أن الطبقة المهمة هي الطبقة الإدارية، أما المالك الوحيد والرأسمالي الوحيد فهو الأمة، التي يجب أن تمتلك المدّخرات وتحرز الأرباح، أما الخيرات فيجب أن توزع مباشرة من المخازن الأهلية، دون إفساح المجال للتجارة.

ويطرح بيلامي تنظيماً لأفراد الشعب على أن يكونوا عمّالاً، فيؤدون الخدمة العسكرية، وفي هذه المرحلة يقومون بالأعمال القذرة، وهذا يستمر ثلاث سنوات، ولا يستطيع الرجل اختيار مهنته بحرية إلاّ بعد سن الخامسة والأربعين.

هذا ويدعو بيلامي إلى المساواة في المشاركة في ثروة الأمة، بصرف النظر عن العمل، لأن المكافأة تكون بألقاب الشرف والامتيازات والمناصب الرفيعة تمنح للمتفوقين في أعمالهم دون تمييز بين الرجال والنساء.

أما وليام موريس (١٨٣٤ ـ ١٨٩٦) فيرى أن القوة الكبرى الدافعة إلى التغيير هي التوق إلى الحرية والمساواة، لذا فيجب العودة إلى الماضي والتعلم من العصر الوسيط، حيث كانت تقوم مجتمعات صغيرة توفر الصداقة والعلاقات الحميمة، أما الأسواق فتقوم في المدينة على إنتاج الطوائف الرقية. وتكون السلطة سلطة غير مجهولة لدولة مركزية.

ويرى وليام موريس أن السعادة الإنسانية إنما تقوم على العمل.

وفي نفس الخط الاشتراكي يرى ويلز (١٨٦٦ ـ ١٩٤٤) أن الحرية الفردية في مكان وسط بين الاشتراكية الليبرالية، وأن الواجب لا يفرض فقط توفير المأكل والملبس والنظام والضمان الصحي، بل ويفرض حماية المبادرة الفردية.

ويقترح ويلز إقامة الدولة العالمية بحيث تكون المالك الوحيد للأرض مع الحكومات والمجالس المحلية، على غرار نظام الملكية العقارية في العهد الفيودالي. والدولة تؤجر الأرض للأفراد والشركات لمدة لا تزيد عن خمسين سنة. وكذلك مصادر الطاقة يجب أن تضع الدولة عليها اليد وتوزعها، كما تنظم العمل وتدير المنتجات الطبيعية.

ويسمح ويلز بأن يتملك الإنسان ثمرات كدحه وبراعته، وأن يتاجر دون طغيان على حريات الآخرين. ويعدّ ويلز المال نعمة إذا أحسن استخدامه، كما يرى العمل ضرورة حتمية.

ويعطي ويلز الدولة حق تنظيم النسل وتسجيل تحركات السكان والتخلص من ذوي العاهات والمستويات المتدنية بنفيهم إلى جزر وراء المحيط.

ويرى ويلز أنه يجب أن يكون أصحاب السلطة والمناقب من الساموراي (النبلاء المتطوعين).

أما الملكية الخاصة فيجب ألا تتجاوز الأشياء الشخصية، كما يجب أن يحل العمل المبدع محل الملكية الفردية.

وهكذا فلا يبقى من ضرورة للشرطة ولا السجون، ولا يبقى في المجتمع مجانين ولا ضعاف عقول ولا معاقون. كما لا تبقى ضرورة لإقامة البرلمانات ولا للعمل السياسي ولا لتكديس الثروات.

أما تيودور هرتسكا فيرى هو الآخر أن تكون الأرض ورأس المال وسائر وسائل الإنتاج للدولة، وأن يكون لكل السكان حق متساوٍ في الأرض المشتركة وفي وسائل الإنتاج التي توفرها الدولة، كما يرى ضرورة رعاية كبار السن والمرضى، وأن توزع الأجور تبعاً لقيمة العمل.

إن هاجس تيودور هرتسكا كان ضرورة التوفيق بين الرأسمالية الجماعية والحرية الفردية، وضرورة الاستغناء عن المصلحة دون الوقوع في التحكم الشيوعي، وبذا لا يستطيع أي عائق أن يقف في طريق النظام الاجتماعي الحر.

وسنتناول كارل ماركس والماركسية اللينية على حدة بعد نهاية هذا العرض.

ولم يكن أصحاب هذه الحلول كلهم من الاشتراكيين والمساواتيين، إذ أن منهم من يرى إجراء إصلاحات من ضمن نظام الملكية الفردية ومن أهمهم:

سان سيمون (١٧٦٠ ـ ١٨٢٥) الذي يدعو إلى النظام البرجوازي، ويرى أن الجزء الحيوي من المجتمع يتألف من رجال المصارف ورجال الأعمال عموماً، لا من السياسيين وموظفي الدولة والكهنة، ويطالب أن تتحول فرنسا كلها إلى مصنع. إنه يرى أن تحل حكومة المديرين محل حكومة السياسيين. ويقترح أن يتولى السلطة التنفيذية مجلس نواب مؤلف من ممثلي رجال التجارة والصناعة والزراعة، وهؤلاء الممثلون يبتون باقتراحات تشريعية يعرضها عليهم مجلسان مؤلفان من العلماء والفنانين والمهندسين.

ويرى سان سيمون أن الشعب كسول وسلبي ويجب أن يسقط من الحساب لدى بحث أي مشكلة.

أما اللورد ليتون (١٨٠٣ ـ ١٨٧٣) فيدعو إلى حكم الفرد الخيّر الذي تنتخبه الجماعة لمدى الحياة، على أن تكون سلطاته محدودة، دون جيش أو حكومة قوة أو محاكم جنائية، لأن الجرائم تزول وكذلك الفقر.

ويرى اللورد ليتون أن الملكية لا يجب أن تكون متساوية، وعلى كل أن يقنع بمستوى حياته. ويدعو إلى استخدام مكثف للآلات وللروبوت. وهو يرى كما يرى فورييه إن الأعمال القذرة، كتنظيف الحظائر، يجب أن يقوم بها الأولاد وذلك عند الساعة الثالثة صباحاً.

ومن أجل منع الصراع يجب أن يكون الجميع مدججين بالسلاح.

ماركس،أنجلز، الماركسية ـ اللينينية:

رأت الماركسية ضرورة الثورة العالمية لتحقيق أهداف الاشتراكية، التي تعتبرها الطريق إلى القضاء على كل أنواع الظلم المتمثل قبل كل شيء، بالاستغلال على الصعيد الاقتصادي، معتبرة أن الملكية الفردية هي أساس قيام نظام الاستغلال المذكور. فقد كان الناس يعيشون في ظل مشاعية بدائية لا استغلال فيها، لأنه لا فائض عما يحتاج الإنسان للقيام بأوده، ولما تطورت أدوات الإنتاج باكتشاف بعض المعادن أصبح تحقيق شيء من الفائض ممكناً. ومن هنا انقسم المجتمع إلى طبقتين، طبقة تكدح لتنتج وطبقة تنتزع فائض الإنتاج.

ولكي تحمي الطبقة المستغلة استغلالها وتديمه أقامت الدولة بقواها القمعية ومحاكمها وسجونها.

ولكن نظام الاستغلال المذكور لم يبق جامداً على الحالة التي قام عليها، وهي حالة انقسام المجتمع إلى أسياد وعبيد، بل هو تطور إلى الإمام، أي باتجاه التخفيف عن كاهل الطبقة المستغلة، بقوة الثورة، فأخلى مجتمع الرقيق الساحة للمجتمع الاقطاعي، الذي أخلاها هو الآخر للمجتمع الرأسمالي في بعض البلدان، وهذا المجتمع يجب أن يخلي الساحة للمجتمع الشيوعي، وستكون مقدمته المجتمع الاشتراكي الذي يحقق زوال الطبقية ويقضي على كل

أشكال استغلال الإنسان للإنسان، ويمحو الفوارق الاجتماعية بين المدينة والريف، وبين العمل اليدوي وغير اليدوي، ويوفر لكل حاجاته ويسمح له بالعمل كما يشتهي «من كل حسب طاقته وقابلياته ولكل حسب حاجاته».

إن الثورة الاشتراكية إذاً ثورة حتمية من وجهة نظر الماركسية، والدافع إليها سيكون «التناقضات الاجتماعية»: التناقض بين طبقة العمال (البروليتاريا) وطبقة أرباب العمل. والتناقض بين جماعية الإنتاج، حيث تقوم مجموعات العمال بالعمل، وفردية الملكية، إلى غيرها من أنواع التناقضات، التي لا بد أن تتفاقم مع مرور الوقت في المجتمع الرأسمالي، فبقدر ما تتطور الرأسمالية، يتزايد غنى الرأسماليين الكبار في حين يتفاقم قمع الطبقة العاملة ومقاومتها، تلك الطبقة التي ستكون منظمة أكثر فأكثر ومجهزة نتيجة لآلية الإنتاج الرأسمالي[1] وهكذا فإن «الأزمات ومراحل الركود تزيد أيضاً من خضوع العمل المأجور تجاه رأس المال وتقود بسرعة أكبر نحو الافقار النسبي، وأحياناً المطلق، للطبقة العاملة»[2]. وهذه الأزمات وهي أزمات اقتصادية دورية «هي المرض الملازم بالولادة للنظام الرأسمالي. والأزمة العامّة تتميّز من الأزمات الأولى بكونها تضرب مجمل الرأسمالية نظاماً اجتماعياً... إنها ليست صدفة ولا مرحلة من مراحل تعرج التاريخ، ولا نتيجة لخطأ ارتكبه القادة البرجوازيون، لكنها حالة لا يمكن الفكاك منها، وهي منطقية في عصر انحدار الرأسمالية وتفككها... إن عصر الأزمة العامة هو عنصر إفلاس الرأسمالية التي ستحل الاشتراكية محلها»[3]. على أن الثورة التي ستقودها الطبقة العاملة «المظفرة»، لن تكون لا مبالية تجاه مسألة التحرر الوطني، «فهي لا تستطيع التوصل إلى ذوبان الأمم إلاّ بالمرور بمرحلة انتقالية من التحرير الكامل لكل الأمم المضطهدة»[4].

(١) ماركس، رأس المال، الكتاب الأول المجلد الثالث، ط ١٩٥٧ الروسية، ص ٢٠٥.
(٢) لينين، المؤلفات الكاملة، المجلد ٢٩، ص ٩٧.
(٣) أسس الماركسية اللينية، بالفرنسية، ص ٤٣٦.
(٤) المرجع نفسه، ص ٦٠٤.

هذا وقد تنبأ آباء الماركسية بأن أي حرب مستقبلية لن تكون إلاّ حرباً عالمية بسبب التطور الصناعي، وهذه الحرب ستكون «لا سابق لقسوتها ويستحيل إطلاقاً التكهن بمآلها»[1].

وهكذا فإن «واقع انفصال بلدان متزايدة من النظام الرأسمالي، وضعف مواقع الامبريالية (التي رأى فيها لينين أعلى مراحل الرأسمالية وبالتالي مرحلة ما قبل الثورة العالمية)، وازدياد حدة التناقضات داخل هذه الامبريالية مع تنامي الرأسمالية الاحتكارية للدولة، وتزايد العسكرية واللااستقرار الداخلي والتعفن المتمادي للاقتصاد الرأسمالي، الذي يتمظهر بالعجز المتزايد عن الاستخدام الكامل لقوى الإنتاج (نمو بطئ لوتائر الإنتاج، أزمات دورية، عمالة ناقصة للقدرات الإنتاجية، بطالة مزمنة)، وتنامي الصراع بين العمل والرأسمال، وتفاقم التناقضات داخل الاقتصاد العالمي، والاستقواء المنقطع النظير للرجعية السياسية على طول الخط، والتنكر للحريات البرجوازية، وإقامة أنظمة فاشية في كثير من البلدان، والأزمة العميقة للسياسة والايديولوجيا البرجوازية، تلك هي مظاهر الأزمة العامة، للرأسمالية التي ستفضي بشكل حتمي إلى الثورة.

وهكذا فإننا نرى أن الفكر الإنساني يرى حتمية الثورة على المستوى العالمي من أجل القضاء على ما يراه مظالم بحق الإنسان، وهو بهذا يلتقي مع فكرة الثورة العالمية المهدوية التي تنتظرها الأديان جميعاً تحت تسميات مختلفة، لا الدين الإسلامية وحده كما سنرى.

المخلّص في التوراة:

حفل العهد القديم المتداول بأنباء المخلصين. وحتى يمكن تحديد شخصياتهم، لا بد من معرفة أوصافهم ومهماتهم، لأن الالتباسات قائمة، فبعضهم يرى اليهود أنه لم يأت بعد، فيما يعتبر المسيحيون أنه أتى، لكن الذي أتى في نظر المسيحيين لا ينطبق عليه الكثير من الأوصاف، ولم يقم بكل ما

(١) ماركس وانجلو المختارات، ج٤، ص ١١٤. برناج الحزب الشيوعي السوفياتي الذي أقره المؤتمر الثاني والعشرين، ص ٢٩ و٣٠.

هو مناط به، من هنا فإنهم يقولون أنه سيعود ليقوم بما لم يقم به. وهنا يصطدم الرأي بالمأثورات الإسلامية التي تلتقي مع رأي التوراة فنرى أنفسنا مضطرين للأخذ بها. لأن مصادر الإنجيل، هي الأخرى لا تنطبق بسهولة على الرأي المسيحي كما سنرى فيما بعد.

لقد ورد في التوراة التي بين أيدينا أقوال تؤكد مجيء مخلّص للبشرية.. وقد بلغت النبؤات في هذا المجال المئات، وسنختار هنا بعضاً من أكثرها وضوحاً. فقد جاء في المزامير: مزمور ٧٢: «اللهم أعطِ أحكامك للملك وبرّك لابن الملك، يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق. تحمل الجبال سلاماً للشعب والأحكام بالبر (بمفعول عدلك) يقضي لمساكين الشعب، يخلص بني البائسين ويسحق الظالم، يخشونك ما دامت الشمس وقدام القمر إلى دور فدور، ينزل مثل المطر على الجزاز ومثل الغيوث (كالأمواج) الذارفة على الأرض، يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض. أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب... ويسجد له كل الملوك.. لأنه يجيء الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له.. يكون اسمه إلى الدهر، قدام الشمس يمتد اسمه كل أمم الأرض يطوبونه، مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده ومبارك اسم مجده إلى الدهر...».

مزمور ١١٠: أقسم الرب ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق. الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً، يدين بين أمم الأرض.

وملكي صادق هو الذي بارك إبراهيم وقدم له إبراهيم العشر من غنائمه[1].

كما جاء في سفر أشعياء:

الإصحاح ٩/٦ و٧: «لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً (محترماً مقدراً) مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس

(١) راجع: تكوين، ١٤/١٩ و٢٠.

السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود على مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا.

ولأن الكرسي سيبقى إلى الأبد، فهو لا يمكن أن يكون في مملكة لليهود. واستخدام اسم داود هنا لا بد أن يكون رمزياً، فهو إما أن يعني «ذا الأيد» كما في القرآن، أي القوي، أو ذا الودّ أو أي شيء آخر ولا مانع من أن يكون النبي محمد ﷺ.

أما أن يدعى إلهاً قديراً أباً أبدياً، فهذا على ما نظن من التحريف.

أما المشير، فهو يعني الذي يشير أو يهدي.

وجاء في سفر دانيال:

الإصحاح ١٢/ ١ ـ ٣: «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت ينجي شعبك، كل من يوجد مكتوباً في السفر. وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي».

وجاء في سفر حبقوق: ٢/ ٢ و٣) فأجابني الرب وقال اكتب الرؤيا وأنقشها على الألواح لكي يركض قارئها. (لتقرأ بسهولة) لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد (أي حدد ميعادها) وفي النهاية (ستسير إلى أجلها) تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر (يتحقق بالتأكيد).

وهذا المخلص ليس مختصاً باليهود بل بالبشرية بدليل أن حكمه سيستمر إلى الأبد من جهة. وبدليل ما ورد في العهد القديم نفسه من أن الله تخلّى عن اليهود إلى الأبد كما جاء في سفر أرميا، الإصحاح السابع عشر الذي يقول: خطيئة يهوذا مكتوبة بقلم من حديد... يا جبلي في الحقل اجعل ثروتك، كل خزائنك للنهب ومرتفعاتك للخطية في كل تخومك، وتتبرأ وبنفسك عن ميراثك الذي أعطيتك إياه وأجعلك تخدم أعداءك في أرض لم تعرفها، لأنكم أضرمتم ناراً بغضبي تتقد إلى الأبد».

كما يقول في الإصحاح التالي: «فالآن كلم رجال يهوذا وسكان أورشليم قائلاً: هكذا قال الرب: ها أنذا مصدر عليكم شراً وقاصداً عليكم قصداً (معداً لكم مشروعاً) فارجعوا، كل واحد عن طريق الرديء وأصلحوا طرقكم وأعمالكم. فقالوا: باطل، لأننا نسعى وراء أفكارنا وكل واحد يعمل حسب عناد قلبه الرديء، لذلك هكذا قال الرب: اسألوا بين الأمم، من سمع كهذه، ما يقشعرّ منه جداً عملت عذراء إسرائيل. هل يخلو صخر حقلي من ثلج لبنان (هل يترك ثلج لبنان صخرة حقولي) أو هل تنشف المياه المتفجرة الباردة الجارية. لأن شعبي قد نسيني، بخّروا للباطل، وقد أعثروهم في طرقهم، في السبل القديمة ليسلكوا في شُعَب، في طريق غير مسهّل. لتجعل أرضهم خراباً وصفيراً أبدياً. كل مار فيها يدهش وينفض رأسه (يهز رأسه) كريح شرقية أبدّدهم أمام العدو. أريهم القفا (أدير لهم ظهري) لا الوجه في يوم مصيبتهم».

هذا ويصرح الكتاب المقدس باستبدال بني إسرائيل بغيرهم: «... أغاظوني بأباطيلهم فأنا أغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية أغيظهم»[1] ـ ويرد في مكان آخر: «أصغيت إلى الذين لم يسألوا وجدت من الذين لم يطلبوني. قلت ها أنذا ها أنذا لأمة لم تسم باسمي»[2].

وإذا كان اليهود لن تقوم لهم قائمة، فلا بد أن يرسل المخلص إلى شعوب أخرى.

المخلص في الإنجيل:

كما حفل العهد الجديد بالنبوؤات حول مخلص آخر الزمان ومنها مثلاً: في خطاب للسيد المسيح عليه السلام ورد: «فكونوا أنتم إذاً مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان (أي يأتي في ساعة لا تتوقعون مجيئه فيها) لوقا ١٢/ ٤٠.

(١) تثنية، ٣٢/ ٢٠.
(٢) اشعياء، ٦٥/ ١ و٢.

كما جاء: «... فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله» متى/ ١٦/ ٢٧ و٢٨.

وجاء: «... لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد. لأنه بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يبطئ». الرسالة إلى العبرانيين ١٠/ ٣٦ و٣٧.

وجاء في رؤيا القديس يوحنا اللاهوتي: «ورأيت الوحش وملوك الأرض وجيوشهم فاحتشدوا ليحاربوا هذا الفارس (الابن الصادق) وجيشه، فقبض على الوحش وعلى النبي المسيح الدجال وطرح كلاهما في بحيرة النار» الرؤيا ١٩/ ١٩ ـ ٢١.

كما جاء في إنجيل لوقا: «ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصى السماء إلى أقصاها. متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب» لوقا ٢١.

وإذا كانت الإشارات هنا إلى ابن الإنسان، وإذا كان «ابن الإنسان» دائماً هو المسيح. فإن مجيء المسيح مقرون بمجيء المهدي المنتظر لا في الآثار الإسلامية فحسب، بل وأيضاً في العهد القديم حيث ورد في سفر دانيال: «كنت أرى في رؤى الليل وأنا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى «القديم الأيام» فقربوه قدامه. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض، وهكذا فإن المسيح إذا كان هو ابن الإنسان فسيكون هناك شخص آخر معه هو «القديم الأيام» الذي يرى بعض العلماء أنه هو المهدي المنتظر[1].

(١) راجع: سعيد أيوب، عقيدة المسيح الدجال، دار الهادي، بيروت ١٩٩١، ص ١٠١ و١٠٢.

المخلص في الإسلام:

تفرد الآثار الإسلامية حيّزاً واسعاً جداً للمخلص، بحيث بلغت الأحاديث والآيات في هذا الخصوص الآلاف، وسنبدأ بالآيات القرآنية ونمر بأحاديث الرسول ﷺ وصولاً إلى أحاديث الأئمة ثم بآراء المتصوفين.

في القرآن:

فسر عدد كبير من الآيات القرآنية على أنها خاصة بخلاص الإنسانية وذلك من طريق الوعد بنصر المظلومين أو معاقبة الظالمين، وينشر الدين الحق وانتصاره ومنها:

في نصرة الدين الحق:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [التوبة/ ٣٣] [الصف/ ٩].

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ [الفتح/ ٢٨].

ولما كان الدين الحق لم ينتصر على الدين كله، وكان المشركون لا يزالون متمسكين بأديانهم، لذلك فإن تأويل هذه الآيات لم يأت بعد، بل سيأتي في المستقبل.

في هزيمة الظالمين:

﴿فلما أحسّوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون﴾ [الأنبياء/ ١٢ و١٣].

﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾ [السجدة/ ٢٩].

﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ [سبأ/ ٥١].

ولما كانت هذه الأمور لم تتحقق تاريخياً في حروب الرسول ﷺ ولم يحمل التاريخ أنها تحققت في الحروب اللاحقة من حروب الفتح، لذلك فهي لا بد أن تدل على أحداث مستقبلية.

في نصر الأنبياء والمستضعفين:

﴿لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء/ ١٠٥].

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور/ ٥٥].

﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ [القصص/ ٥].

ولما كان المؤمنون في هذه الأمة قد ظلموا ولم يرثوا الأرض، فلا بد أن يكون تأويل هذه الآيات مستأخراً.

في السنة المطهرة:

وردت الأحاديث الشريفة العديدة حول المهدي الذي يظهر بعد أن يعم الجور والظلم لينشر لواء العدل والخير والبحبوحة، كما توالت الأحاديث حول حتمية هذا الظهور.

فمن الأحاديث التي تتناول الظلم والفرج الآتي بعده:

«لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، قال: ثم يخرج رجل من عترتي، أو من أهل بيتي، يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»[1].

(١) راجع من بين عدد كبير من المراجع: مسند أحمد بن حنبل، ٣/٣٦، ٥٢، ٧٠. سنن أبي داود: =

«لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي، أجلى أقنى، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً، يكون سبع سنين»[1].

«تملأ الأرض ظلماً وجوراً ثم يخرج رجل من عترتي يملك سبعاً أو تسعاً فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً»[2].

«لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»[3].

«لو لم يبق من الدنيا إلاّ ليلة تملك فيها رجل من أهل بيت النبي ﷺ»[4].

«لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي اسمه اسمي» فقام سلمان الفارسي(ر) فقال: يا رسول الله، من أي ولدك؟ قال: من ولدي هذا وضرب بيده على الحسين»[5].

هذا وهناك حديث شريف أثار الكثير من الجدل وهو يقول: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة، كلهم من قريش».

= مهدي ١. مسند أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، دمشق، ٢/ ٢٧٤. صحيح ابن حبان، ٨/ ٢٩٠ و٢٩١. الحاكم، المستدرك، ٤/ ٥٥٧..

(١) راجع أحمد، ٣/ ١٧. أبو يعلى، ٢/ ٣٦٧. ابن حبان، ٨/ ٢٩١. أبو نعيم: أخبار أصفهان، ١/ ٨٤، الجويني: فرائد السمطين، ٢/ ٣٢٦. كنز العمال، ١٤/ ٢٧٠. الاسطنبولي: رامز الأحاديث ص ٤٧٧. السيوطي: الدر المنثور، ٦/ ٥٧. المقدس السلمي عقد الدرر ص ٣٥.

(٢) مسند أحمد، ٣/ ٧٠. الحاكم: ٤/ ٥٥٨. عقد الدرر ص ١٦. فرائد السمطين، ٢/ ٣٢٢ و٥٧٣..

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ١٥/ ١٩٨، مسند أحمد، ١/ ٩٩. أبو داود، ٤/ ١٠٧، أبو زيد البلخي: البدء والتاريخ، ٢/ ١٨١. ملاحم ابن المنادي ص ٤١. البيهقي: الاعتقاد ص ١٧٣. عقد الدرر، ١/ ١٨. ابن كثير، الفتن، ١/ ٣٧.

(٤) ابن حبان، ٧/ ٥٧٦. ابن المنادي، ص ٤١. الطبراني الكبير، ١٠/ ١٦١. ابن حجر، الصواعق ص ١٦٣. كنز العمال، ١٤/ ٢٦٩.

(٥) الطبراني، الأوسط، عقد الدرر، ص ٢٤. فرائد السمطين، ٢/ ٣٢٥ و٣٢٦.

وقد جرت محاولات عديدة لمعرفة هؤلاء الخلفاء وطرحت احتمالات لتعدادهم، فلم يتفق إلاّ على الخلفاء الراشدين الأربعة يضاف إليهم عمر بن عبد العزيز والمهدي العباسي، أما الباقون فهم مجال خلاف كبير جداً.

وهكذا فإن الحديث لا ينطبق إلاّ على أئمة أهل البيت الاثني عشر بحيث يكون الثاني عشر هو المهدي المنتظر[1].

وفي إشارة رمزية إلى هذا الأمر ورد في رؤيا القديس يوحنا، وهي الرؤيا التنبؤية الأساسية في العهد الجديد: «ظهرت امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً، وهي حبلى تصرخ متخمضة متوجعة لتلد. وظهرت آية أخرى في السماء، هوذا تنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى رؤوسه سبعة تيجان وذنبه يجر ثلث نجوم السماء، فطرحها إلى الأرض. والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت. فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصاً من حديد، واختُطف ولدها إلى الله وإلى عرشه. والمرأة هربت إلى البرية حيث لها موضع معد من الله لكي يعدلها هناك ألفاً ومئتين وستين يوماً» الرؤيا ١/ ١ ـ ٦.

---

(١) راجع صحيح مسلم، أمارة ٥، ٧ ـ ١٠ وسنن أبي داود، مهدي ومسند أحمد بن حنبل، ١/ ٣٩٨ ٤٠٦ و٥/ ٨٦ ـ ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٨، ٩٩ ـ ١٠١، ١٠٦، ١٠٧.

يراجع في إيضاحه: الجويني، فرائد السمطين، بيروت ١٣٩٨، ج٢ ص ٣١٣ و٣٢٩. وكذلك القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، مطبعة اختر، اسطنبول ١٣٠١، ج١، ص ٢٥٨.

راجع كذلك العلياني ص ١٠٥ و١٨٠. وتاريخ البخاري، ج١، ص ٤٤٦، وج٨، ص ٤١٠. الترمذي، ٤/ ٥٠١، الطبراني الكبير، ١٠/ ١٩٥، الأوسط، ١/ ٤٧٤. أخبار أصبهان، ٢/ ١٦٧. دلائل النبوة، ٦/ ٣٢٤. سنن البيهقي، ٨/ ١٤٣ و١٤٤ ومصابيح البغوي، ٤/ ١٣٧، وتهذيب أبي عساكر، ١/ ٤٤٥ و٤٤٦، وفتن ابن كثير، ١/ ١٧، فرائد السمطين، ٢/ ١٤٧ ـ ١٤٩، ابن خلدون المقدمة ص ٢٥٨، والحاوي للسيوطي، ٢/ ٨٥، تاريخ الخلفاء، ص ٩، وصواعق ابن حجر، ص ٢٠، كنز العمال، ٦/ ٤٩. عون المعبود، ١١/ ٣٦١ و٣٦٢ و٣٦٩. أبو يعلي، ٨/ ٤٤٨. الحاكم المستدرك، ٤/ ٥٠١. عقيدة أهل السنة، ص ٢٢.

ألا يمكن اعتبار المرأة الزهراء والاثني عشر الأئمة أو الخلفاء الذين ذكرهم الحديث الشريف، وأن الابن الذي أراد التنين ابتلاعه هو المهدي المنتظر عليه السلام وأن اختطافه يعني غيبته التي سنأتي على تبيانها فيما بعد؟

احاديث ائمة أهل البيت عليهم السلام والصحابة:

لقد ورد عن الإمام علي عليه السلام عشرات الأحاديث في المهدي المنتظر نورد منها ما يلي:

قال عن ابنه الحسين عليه السلام: «أن ابني هذا سيد.. وسيخرج الله من صلبه رجلاً باسم نبيكم يشبهه في الخلق والخُلق، يخرج على حين غفلة من الناس، وإماتة للحق وإظهار للجور، والله لو لم يخرج لضربت عنقه، يفرح بخروجه أهل السماوات وسكانها»[1].

وقال عليه السلام: «يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان... إذا هزّ رأيته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب»[2].

«ليخرجن رجل من ولدي عن اقتراب الساعة حتى تموت قلوب المؤمنين كما تموت الأبدان، لما لحقهم من الضر والشدة في الجوع والقتل، وتواتر الفتن والملاحم العظام وإماتة السنن وإحياء البدع وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيحيي الله بـ (المهدي).. السنن التي قد أميتت ويسر بعدله وبركته قلوب المؤمنين»[3].

وقال محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: «كأني بدينكم هذا لا يزال متضخضخاً يفحص بدمه ثم لا يردّه عليكم إلاّ رجل منا أهل البيت»[4].

---

(١) راجع أبو داود، ١٠٨/٤ عقد الدرر، ص ٢٣. مشكاة المصابيح، ٢٦/٣. الدر المنثور، ٥٨/٦. لوائح السفاريني، ٤/٢.

(٢) حلية الأبرار، ج٢، ص ٥٨٢. الخرائج، ١١٤٩/٣ وما بعد. أعلام الورى، ص ٤٣٤.

(٣) ملاحم ابن المنادي، ص ٩١، كنز العمال، ٥٩١/١٤.

(٤) غيبة النعماني، ص ٢٣٨. حلية الأبرار، ٦٤٤/٢.

وقال الإمام جعفر الصادق: «يظهر صاحبنا، وهو من صلب هذا (وأومأ بيده إلى موسى بن جعفر عليه السلام) فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً وتصفو له الدنيا»[1].

وقال الإمام علي الهادي بن محمد بن موسى الرضى عليه السلام: «إن الإمام بعدي الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[2].

هذا وقد وردت أحاديث المهدي على لسان عدد كبير من الصحابة والأئمة الآخرين كالحسين بن علي عليه السلام وابن عباس وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وأم سلمة وأم حبيبة وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبدالله وسلمان الفارسي وأبو هريرة وأنس بن مالك وعمار بن ياسر وعوف بن مالك وثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وقرّة بن إياس وعلي الهلالي وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن الحارث بن حمزة وعمران بن حصين وأبو الطفيل وجابر الصدفي وغيرهم الكثير[3].

وقد نقل الأحاديث عدد كبير من علماء المسلمين في مختلف العصور من السنة والشيعة ومن أهم محدثي وحفاظ السنة:

الآبري في معاني الوفا ـ والحافظ ابن الإسكافي ـ والحارث بن أبي أسامة في المسند ـ والشيخ ناصر الدين الألباني ـ وخير الدين الألوسي في غالية المواعظ ـ والباروردي ـ والبرزنجي في الإشاعة ـ والبزار في المسند ـ ومصطفى البكري في الهدية الندية ـ ومحمد البليسي في العطر الوردي ـ والبغوي في مصابيح السنة ـ والبيهقي في دلائل النبوة ـ والترمذي في السنن ـ

(١) غيبة الطوسي، ص ٢٨.

(٢) الشيخ الصدوق: كمال الدين، ص ٣٨٣. الخزاز القمي: كفاية الأثر، ص ٢٨٨. زين الدين العاملي النباطي الصراط المستقيم، ٢/ ٢٣١. هاشم البحراني: حلية الأبرار، ج٢، ص ٥١٠.

(٣) راجع عبد المحسن العباد، مجلة الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة، عدد ذي القعدة ١٣٨٨.

وسعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد ـ والثعلبي ـ وابن جرير في تهذيب الآثار ـ وابن أمير الجزري في جامع الأصول ـ وسبط بن الجوزي في تذكرة خواص الأمة ـ وابن القيم الجوزية في المنار المنيف ـ والحاكم في المستدرك ـ وابن حبان في مسنده ـ وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ـ وأبو حسن الحربي في الحربيات ـ ومحمد صديق حسن في حجج الكرامة ـ ومحمد الخضر حسين في مجلة التمدن الإسلامي ـ وشهاب الدين الحلواني في القطر الشهدي ـ ونعيم بن حماد في الفتن ـ والحماني في المسند ـ وحسن العدوي الحمزاوي في مشارق الأنوار ـ والحموئي في فرائد السمطين ـ وابن حنبل في المسند ـ وابن خزيمة في الصحيح ـ وأبو سليمان الخطابي في معالم السنن ـ والخطيب التبريزي في المتفق والمفترق وتأريخ بغداد والكفاية وتلخيص المتشابه ومشكاة المصابيح ـ وابن خلكان في وفيات الأعيان ـ وأبو بكر بن خيثمة في فوائد الأخبار ـ والدارقطني في الأفراد ـ والداني في السنن ـ وأبو داود في السنن ـ وأبو مسعود الدمشقي ـ والديلمي في مسند الفردوس ـ والذهبي في الميزان والتلخيص ـ والروياني في المسند ـ والزرقاني في شرح المواهب اللدنية ـ والسجاعي في حاشيته على ابن عقيل ـ والسخاوي في فتح المغيث ـ وابن سعد في الطبقات ـ والسفاريني في لوامع الأنوار ـ والحسن بن سفيان. والسمهودي ـ والسهيلي في شرح السير ـ وجلال الدين السيوطي في فيض القدير وعنق الزجاجة والكشف وإتمام الدراية والعرف الوردي والفوائد المتكاثرة ـ والشبلنجي في نور الأبصار ـ والشرقاوي ـ وابن شرويه في الفردوس ـ والشعراني في اليواقيت والجواهر ـ والشوكاني في التوضيح ـ وأبو بكر بن أبي شيبة في المصنف ـ وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ـ ومحمد بن الصبان في إسعاف الراغبين ـ وابن صديق في إبراز الوهم المكنون ـ والطبراني في الصغير والأوسط والكبير ـ والطبري في ذخائر العقبى ـ وابن طلحة في مطالب السؤول ـ وابن طولون الدمشقي في الأئمة الاثني عشر ـ والطيبي ـ وابن عدي ـ ومحمد بن إدريس العراقي في المهدي ـ والعزيزي ـ وابن عساكر في تاريخ دمشق ـ والعظيم آبادي في عون المعبود

ـ والعقيلي ـ والعلقمي في حاشية ابن ماجة ـ والعوالي ـ وأبو عوانة ـ وأبو علي الغساني ـ وملا علي القاري في مرقاة المفاتيح والمورد الوردي ـ والقرطبي في التذكرة ـ وأحمد الدمشقي القرماني في أخبار الدول وآثار الأول ـ والقسطلاني ـ والقضاعي في مسند الشهاب ـ والقنوجي في الإذاعة ـ والكناني في نظم المتناثر ـ وابن كثير في الفتن والملاحم ـ والكرماني ـ والكسائي ـ وأبو غنم الكوفي في الفتن ـ وابن ماجة في السنن ـ والماوردي ـ والمباركفوري في تحفة الأحوذي والمجدولي ـ وولي الله المحدث في قرة العيدين ـ والمرغني في فوائد الفكر ـ والمزي في الأطراف ـ ومسلم في صحيحه ـ والبلخي في البدء والتاريخ ـ والمقدسي ـ والمقري في السنن والمعاجم ـ والمناوي في الكبير وجواهر العقدين والملاحم وفيض الغدير ـ وابن منده في الفوائد وتاريخ أصبهان ـ والمنذري في تهذيب السنن ـ والمنيني في فتح المنان ـ وأبو الأعلى المودودي في البيانات ـ ومنصور علي ناصف في التاج الجامع للأصول ـ والنسائي في السنن ـ وأبو نعيم في الحلية ـ والنفراوي في حاشية الرسالة ـ والنوربشتي ـ والنووي في التقريب، وتدريب الراوي والدر المنثور ـ وابن الهمام في المصنف ـ والمتقي الهندي في كنز العمال ـ والهيثمي في الزوائد والعرف الوردي وموارد الظمآن ـ والهيثمي في الصواعق المحرقة والفتاوى الحديثية ـ وابن الوردي في خريدة العجائب ـ وأبو يعلى الموصلي ـ والأمير اليماني ـ والشيخ عبدالله بن باز مفتي السعودية.

هذا بالإضافة إلى أن جميع علماء الشيعة منذ أقدم العصور حتى اليوم يعدون مسألة المهدي عليه السلام من المسلمات.

المهدي عند المتصوفة:

ونحن هنا نكتفي بما ورد على لسان محي الدين بن العربي في كتبه المختلفة، فهو يقول: «اعلم أيدنا الله أن خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد طوّل الله

ذلك اليوم حتى يلي هذا الخليفة من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة يواطئ اسمه اسم رسول الله ﷺ»[1].

ويقول: «يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن»[2]، كما يقول: المهدي «يقفو أثر رسول الله ﷺ ولا يخطئ، له ملك يسدده من حيث لا يراه، يحمل الكل ويقوي الضعيف في الحق ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق، يفعل ما يقول ويقول ما يعلم ويعلم ما يشهد»[3] ويضيف: «يبيد الظلم وأهله ويقيم الدين، ينفخ الروح في الإسلام، يعز الإسلام بعد ذله ويحيا بعد موته»[4] ثم يقول: «يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه، ما لو كان رسول الله ﷺ لحكم به... يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم، يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلهي»[5].

خلاصة

وهكذا فإن الأديان تلتقي، كما يلتقي معها العقل والكشف في ضرورة خلاص البشرية، على يد جهة تنسف المظالم وتقيم الحق وتوفّر البحبوحة للجميع، من طريق تفجير طاقات الأرض وتوزيع الأموال بشكل عادل. وقد علق السيد الشهيد محمد باقر الصدر على موضوع المهدي بقوله: «إن للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض تتحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير وهدفها النهائي، وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مر التاريخ استقرارها وطمأنينتها بعد عناء طويل. بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتد إلى غيرهم أيضاً وانعكس حتى على أشد الأيديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات، كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات،

(١) الفتوحات المكية ـ دار صادر ـ بيروت، م٣، ص ٣٢٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٢٧.

وآمنت بيوم موعود تصفّى فيه كل تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام. وهكذا نجد أن التجربة النفسية لهذا الشعور التي عايشتها الإنسانية على مر الزمن، من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الإنسان»[1].

هذا وأن الله تعالى يقيم الحجة على البشر، لا سيما على الحكام منهم، من طريق إقامة حكم العدالة والبحبوحة، كي لا يتذرع الحكام بعدم إمكانية إقامة هذا المجتمع على وجه الأرض، وهكذا يكون مثال حكم المهدي عليه السلام المثال الضروري الذي لا يمكن إلاّ أن يقوم بعد أن تجرّب النظريات المختلفة أنظمتها على وجه كوكبنا، ويقتنع الناس بواسطة تلك التجارب أن هناك نظاماً مذخوراً في علم الغيب، هو النظام الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(١) بحث حول المهدي، دار التعارف، ١٩٩٢، ص ٧ و٨.

الفصل الثاني: من هو المخلّص المنتظر؟

يثور الخلاف بشكل واسع جداً حول شخصية المخلّص المنتظر بين مختلف الأديان والنظريات، إلا أن هناك اتفاقاً على أنه سوف يقيم مجتمع العدالة والخير والبحبوحة، فالنظرية الماركسية ترى أن هذه الأمور ستتحقق على أيدي البروليتاريا، واليهود على يدي المسيح الذي لم يأت بعد، والمسيحيون على أيدي المسيح العائد. . .

المخلّص الماركسي: البروليتاريا:

يرى كارل ماركس وفريدريك أنجلز أن مخلص البشرية من التناقضات والاستغلال هو الطبقة العاملة التي ستلغي وجود الطبقات في المجتمع وتقيم مجتمع الوفرة والبحبوحة الذي سينال فيه كل إنسان كل ما يحتاجه، ويبذل فيه طاقته بالشكل الذي يلذّ له.

أما كيف ستتوصل البروليتاريا إلى الحكم فإن ذلك سيمر عبر مسيرة طويلة.

ففي البدء كانت تسود في المجتمعات البشرية شيوعية بدائية، يتشارك فيها جميع أفراد المجموعة في كل شيء، فيجنون ما تقدمه الطبيعة دون أي احتكار لأي فرد أو شريحة، وهم يتعاونون على صيد الحيوانات الكبيرة، وذلك بأدوات بدائية من الخشب أو الحجر.

ولكن مع تطور أدوات الإنتاج إلى الأدوات المعدنية، تزداد الإنتاجية، فيحصل كل فرد على شيء من الفائض، لم يكن يحصل عليه سابقاً بأدواته المتخلّفة، وهنا تبدأ طبقة جديدة بالانفصال عن جسم المنتجين لتستأثر بالفائض، ذلك أن الإنسان إذا كان لا يمكن أن يستغني وتحت أي ظرف عن ضرورياته الأولية بشكل دائم، فهو تحت التهديد يمكن أن يتنازل عن الفائض.

أما الطبقة التي تنشأ في هذه الحالة والتي سوف تعيش على الفائض، فهي طبقة مالكي الرقيق التي تجعل المنتجين عبيداً لها. ولكن العلاقة التي تقوم بين الطبقة الجديدة المستغِلة والطبقة المستغَلة وهي علاقة الاستعباد، تتحوّل مع الزمن إلى كابح في وجه تطوّر أدوات الإنتاج، لأن العبد الذي سيعي الاستبداد والعسف شيئاً فشيئاً، سوف يكتشف أن تطور الأداة ومن ثم تطوّر الإنتاج لن يفيده شيئاً، بل سوف يعود بالنفع على مستغِليه فقط. وهكذا وبعد تطوّر محدود قد وصل إلى حالة الإعاقة، لا بد أن تنشب الثورة وتنسف مرتكزات مجتمع الرقيق لتقيم على أنقاضه مجتمعاً جديداً، أكثر تقدمية، أي أكثر مؤاتاة للطبقة الدنيا، سواء على صعيد معيشتها أو على صعيد حرياتها، وهذا النظام الذي سيتولّد من رحم النظام الرقي هو نظام الملكية العقارية الكبرى (المسمى في الشرق: النظام الاقطاعي).

وقد ساد النظام الاقطاعي حتى الثورة الصناعية، حيث بدأ يتحوّل إلى عائق في وجه تطوّر الآلة وفي وجه تلبية متطلباتها، من طريق ربط الفلاحين بالأرض ومنعهم من التحوّل إلى عمال صناعيين، ومن طريق إقامة الحواجز بين أجزاء البلد الواحد وإعاقة حركة تنقّل السلع، الأمر الذي يؤدي إلى ثورة تقضي على المعوقات وتفتح السبيل واسعاً من جديد أمام التطوّر الاقتصادي، الذي سيحصل في ظل علاقات إنتاج جديدة، تقوم على حرية العمل وعدم الارتباط بالأرض ونسف الحدود داخل الدولة ومركزتها. هذا النظام هو النظام الرأسمالي.

غير أن النظام الجديد ترافقه تناقضات كفيلة على المدى الطويل بتقويضه. من هذه التناقضات، استغلال الطبقة البرجوازية للطبقة العاملة (البروليتاريا) وما يرافق ذلك من تناقضات، كالتناقض بين جماعية العمل وفردية الربح، والتناقض بين العمل اليدوي والعمل الفكري، والتناقض بين المدينة والريف..

والتناقضات المشار إليها لا سيّما التناقض الأساسي، لا بد من أن تعيق في مرحلة معينة قوى الإنتاج عن الاستمرار في التطوّر، الأمر الذي يفسح في

المجال لثورة البروليتاريا ضد مستغلّيها، وهي آخر الثورات الاجتماعية، التي ستؤدي إلى إزالة طبقة البرجوازية من الوجود بإقامة «ديكتاتورية البروليتاريا»، أو على الأقل حكم البروليتاريا، التي ليس من مصلحتها إقامة حكم الاستغلال من جديد، بل ستقيم المجتمع الشيوعي الخالي من الطبقات والذي ستزول فيه التناقضات السابقة، ويقوم على أساس «من كل حسب قابلياته (وطاقته) ولكل حسب حاجته».

وهكذا إذاً تكون الطبقة العاملة هي المخلّص المنتظر للبشرية.

المخلص في التوراة:

يرد المخلص في التوراة على نطاق واسع، وهو حيناً من نسل داود، كما يرد في سفر أشعياء ١١/١ ـ ٥، حيث يقول: «... يخرج قضيب (غصن) من جذع يسّي (والد داود عليه السلام) وينبت غصن من أصوله (جذوره) ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب». وقد أتى عيسى بن مريم من هذا النسل لجهة أمه.

وهو حيناً من نسل يوسف.

ولكن هناك أوصاف لمخلّصين آخرين، لا تنطبق على شخصيات عرفت في التاريخ اليهودي وهي ستقيم الحكم العادل وتنتقم من الظالمين. ولما كنا بينا أن بني إسرائيل بسبب إفسادهم ونكثهم، قد حرمهم الله وتخلى عنهم إلى الأبد، من هنا كانت ضرورة البحث عن الشخصية أو الشخصيات الموعودة.

غير أن مفسّري التوراة يصرّون على القول إنّ هذه الشخصيات تمثّل المسيح عليه السلام، ونحن، إضافة إلى ما ذكرناه سابقاً من تخلي الله عن بني إسرائيل، نورد الأقوال ونناقشها:

فقد جاء في:

المزمور ٧٢: «اللهم أعطِ أحكامك للملك وبرّك لابن الملك، يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق. تحمل الجبال سلاماً للشعب والأكام بالبر،

يقضي لمساكين الشعب، ويخلّص بني البائسين ويسحق الظالم، يخشونك ما دامت الشمس وقدام القمر إلى دور فدور، ينزل مثل المطر على الجزاز (الحصيد) ومثل الغيوث الذرافة على الأرض، يشرق في أيامه الصدّيق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر، ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض.. أمامه تجثو أهل البرية، وأعداؤه يلحسون التراب... ويسجد له كل الملوك.. لأنه يجيء الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له.. يكون اسمه إلى الدهر، قدّام الشمس يمتد اسمه، كل أمم الأرض يطوبونه..».

فهل يمكن أن يكون هذا المسيح؟

إن المسيح لم يقم بشيء من هذا، ثم أن النبوّات بعودته في العهد الجديد لا تشير إلى أنه سيفعل هذه الأمور، علماً بأن العهد الجديد كان يجب أن يكون أكثر تفصيلاً من العهد القديم، لأنه الأحدث.

فيبقى أن يكون إما الرسول ﷺ وإما المهدي المنتظر.

ولكن الرسول لم يحكم بالطريقة الموصوفة، فيبقى أنها نبوّة بالمهدي، وسنتأكد من ذلك عند تناولنا لما سيفعله عليه السلام على ضوء المصادر الإسلامية.

المزمور ١١٠: «أقسم الرب ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق. الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً، يدين بين أمم الأرض».

وحتى يفهم النص، لا بد من معرفة ملكي صادق، أولاً:

يقول العهد القديم[1] أن ملكي صادق كان ملك شاليم وكان كاهناً لله العلي، وقال: «مبارك أبرام (ابراهيم) من الله العلي مالك السماوات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك. فأعطاه (إبراهيم) عُشراً من كل شيء».

(١) تكوين، ١٩/١٤.

إذاً كان إبراهيم أدنى مرتبة من ملكي صادق. فمن هوذا الذي سيكون في رتبة ملكي صادق؟ والذي يقول له الرب (١١٠/ ١ ـ ٣): «إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، يرسل الرب قضيب عزك من صهيون، تسلّط في وسط أعدائك، شعبك منتدب في يوم قوتك في زينة مقدّسة من رحم الفجر لك طل حداثتك (إن شبابك يأتيك كالندى)».

فهو سيستعيد شبابه، فهل استعاد أحد من ملوك بني إسرائيل أو أنبيائهم أو مخلصيهم شبابه؟ لم يحمل العهد القديم ما يشير إلى ذلك.

وهل هو سينطبق على المسيح. إن المسيح لم يدس أعداءه، ولا تقول المأثورات المسيحية ولا الإسلامية عنه ذلك، يبقى أن يكون إما الرسول محمد ﷺ وإما المهدي عليه السلام.

أما الرسول ﷺ فلم يستعد شبابه. وأما المهدي فهو في نظر فريق من المسلمين سيعود شاباً بعد أن يبلغ من العمر عتيّاً.

أشعياء ٦/٩ و٧: «لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً تكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أبا أبدياً رئيس السلام لنمو رياسته (لاتساع ملكه) وللسلام لا نهاية على كرسي (عرش) داود على مملكته ليثبّتها ويعضدها بالحق والبر (العدالة) من الآن إلى الأبد..».

وإذا كان لا بدّ لنا من إسقاط كلمتي إلهاً قديراً، لأنهما لا تصحان هنا في ديانة توحيدية، وإذا كان من يدعي الوهية المسيح عليه السلام لا يعتبره أباً، فهنا يسقط احتمال أن يكون المسيح عليه السلام وهو في كل حال لم يملك، فيبقى احتمال أن يكون شخصية أخرى، وهذه الشخصية إما أن تكون النبي محمد ﷺ أو المهدي عليه السلام.

ولكن احتمال أن يكون النبي ﷺ هو احتمال ضعيف، بسبب الأوصاف الواردة «اسمه عجيباً مشيراً أباً أبدياً»، فيبقى احتمال كونه المهدي عليه السلام.

فيكون تفسير ما ورد، أن الرسول يعطى ابناً، أما مسألة العجب فهي نابعة مما يحيط بولادة المهدي من غموض كما سنرى ولعل أهم ما يدفع إلى استبعاد أيّة شخصية من بني إسرائيل هو مسألة أبدية المملكة.

أمّا ورود اسم داود فهو لا يعني بأي شكل حصر الأمر ببني إسرائيل، فداود نبي، ومملكته يمكن أن يعضدها أي نبي أو عبد صالح من غير بني إسرائيل.

ثم أن كلمة داود، يمكن أن تؤخذ بمعناها، فقد تعني صاحب الود (المحبة) أو صاحب القوة أو أي معنى آخر.

دانيال ٧/ ٥ ـ ٢٢: «كنت أرى أنه وضعت عروش. وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة، نهر نار جرى وخرج من قدّامه. ألوف ألوف تخدمه (وعشرات الملايين) وقوف قدامه فجلس الدين (القضاة) وفتحت الأسفار..».

كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان أتى، وجاء القديم الأيام فقربوه قدامه. فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لا يزول، ملكوته ما لا ينقرض... حتى جاء القديم الأيام (بعد هزيمة القديسين) وأُعطي الدين لقديسي العلي وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة».

وفي ترجمة أخرى: «أن المسيح عيسى يأتي ليتسلم دُرج الكتاب (القيادة) من قديم الأيّام»[1] فمن هو «القديم الأيام» الذي سيقرّبون المسيح قدامه والذي سيأتي ويتسلم قديسو العلى الدين بمناسبة مجيئه (أو هو يسلمهم إياه).

إن الآثار الإسلامية تقول إن المسيح عليه السلام سيكون مساعداً للمهدي عليه السلام وسيستلم منه. ومن هنا فإن القديم الأيام سيكون في هذه الحالة المهدي عليه السلام.

---

(١) ايرنساید في تفسير سفر دانيال. نقله سعيد أيوب في عقيدة المسيح الدجال، دار الهادي، بيروت ١٩٩١، ص ١٠١ و١٠٢.

دانيال ١٢/ ١ ـ ٣: «في ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت، وفي ذلك الوقت ينجي شعبك، كل من يوجد مكتوباً في السفر، وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض. يستيقظ هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي».

وأول ملاحظة تطرح هنا هي مسألة استيقاظ الراقدين في تراب الأرض. فهل يعني هذا يوم البعث؟ إنه لا يبدو ذلك، لأن في البعث، يستيقظ كل الراقدين في تراب الأرض وليس كثيرون منهم. ولأن ميكائيل، وكما يدل عليه اسمه، وكما ورد في معراج الرسول، هو القيم على الكيل والميزان، أي القيم على العدل والقسط. ولأن في النص هنا لم يرو أن ميكائيل هو الملاك المعروف، فإذاً يبقى أنه من سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وهو المهدي عليه السلام.

ولعل الملفت أن هذا الرئيس العظيم يقوم (ولم يرد: يولد). ثم هو قائم لبني شعبه. فهل كان مجرد صدفة أن ترد في هذا المجال الألفاظ نفسها التي ستدلّ على ظهور الإمام المنتظر الذي سيقوم في زمن ضيق دون أن يكون ميلاده مقارباً لذلك الزمان، بل هو يكون غير ظاهر وغير مسموع الصوت.

المخلص في العهد الجديد:

يتناول العهد الجديد مسألة آخر الزمان ويذكر أن المسيح سيعود، ويسمّيه أحياناً ابن الإنسان، ولكن العهد الجديد يذكر إلى جانب المسيح شخصية أخرى، وهي شخصية الأمين الصادق، فقد ورد في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: «ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً بالعدل يحكم ويحارب، وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلاّ هو، وهو متسربل بثوب مغموس

بدم ويدعى اسمه كلمة الله، والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض ونقياً»[1].

ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ليصنعوا حرباً مع الجالس على الفرس ومع جنده، فقبض على الوحش والنبي الكذاب معه الصانع قدامه الآيات التي بها أضلّ الذين قبلوا اسمه الوحش والذين سجدوا لصورته وطرح الاثنان حيّين إلى بحيرة النار المتقدة بالكبريت. والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس، الخارج من فمه، وجميع الطيور شبعت من لحومهم».

فمن هو الصادق الأمين الراكب على الفرس الأبيض؟

هل هو يسوع المسيح؟ إن الكلام عن المسيح يسبق هذا المقطع، ثم أن يسوع عليه السلام يسمى أحياناً باسمه وأحياناً بابن الإنسان، فيبقى أن يكون النبي محمد صلى الله عليه وآله أو المهدي عليه السلام.

ولما كانت الآثار الإسلامية لا تتحدث عن قدوم للرسول صلى الله عليه وآله بهذا الشكل، لا عندما جاء أولاً ولا في آخر الزمان، فيبقى أنه المهدي عليه السلام لتطابق هذه الأوصاف مع بعض ما يرد في المصادر الإسلامية.

الخلاصة: يتبين مما ذكرناه أن الدين اليهودي كما المسيحي يشيران إلى الشخصية نفسها التي تشير إليها المصادر الإسلامية، وهي بالضرورة المهدي المنتظر.

المهدي المنتظر في الإسلام:

بعد أن ثبت لدينا أن المخلّص (أو المسيح أو المسيا) المنصوص عليه في الديانتين السماويتين هو نفسه المهدي الوارد في المصادر الإسلامية، تبرز أمامنا مشكلة تحديد شخصيته في هذه المصادر. ذلك أن الأغراض أدّت إلى نوع من التشويش في هذا الصدد، حيث وردت أحاديث تعد المهدي عيسى بن مريم أو هو من ولد العباس أو من ولد الحسن بن علي عليه السلام أو من ولد

(١) الإصحاح، ١٩/ ١١ وما بعدها.

الحسين عليه السلام ـ إضافة إلى بعض النظريات البائدة تقريباً التي عدت إحدى الشخصيات في زمانها المهدي.

النظريات التي تعلقت بشخصيات مضت:

هناك نظرية عدّت المهدي العباسي ١٢٦ ـ ١٦٩، محمد بن أبي جعفر المنصور، والد هارون الرشيد، المهدي المنتظر، ولكنه، وإن كان عهده تميز بشيء من السماحة ورد المظالم، إلاّ أنه لم يملأ الدنيا عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، ثم هو لم يظهر الإسلام في عهده على «الدين كله ولو كره المشركون» كما هو موعود به في زمن المهدي عليه السلام.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد حمل التاريخ ولع هذا الخليفة بحب القيان وسماع الغناء، وهو الذي أعجب بجارية اشتراها اسمها جوهر والتي أنشدها ذات يوم:

ألا يا جوهر القلب لقد زدت على الجوهر
فلا واللّه ما المهديّ أولى منك بالمنبر
فإن شئت ففي كفي فك خلع ابن أبي جعفر[1]

فهل يمكن لهذا أن يكون مخلّص البشرية وهو يرى أن الجارية أولى منه بالمنبر، والمنبر هو إما منبر المسجد الذي يخطب الخليفة من خلفه أو هو في أحسن الفروض منبر يستخدمه الخليفة بصفة كونه حاكماً وقائداً.

وهناك نظرية عدّت محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام المهدي المنتظر وادعت أنه احتجب في جبل رضوى، ولكن هذه النظرية زالت اليوم من الوجود، بعد أن لم تثبت، لأن محمد بن علي ليس من ولد النبي، والمهدي لا بدّ أن يكون من ولد النبي، ثم أنه لم يكن مقدّماً في نظر أبيه علي عليه السلام الذي كان يطلب إليه أن يضحي بنفسه في المعارك ويقدّم أخويه الحسن والحسين عليهما السلام على نفسه.

(١) راجع الجاحظ، البيان والتبيين، دار صعب، بيروت، ج٣، ص٥٥٦.

وهناك نظريات تعلقت ببعض الأئمة، كالإمام الصادق والإمام الكاظم عليهما السلام ولكن الإماميين أظهرا بطلانها بكل قوة.

وهناك نظريات نسبت المهدوية إلى بعض أبناء الإمام جعفر، غير الكاظم. ولكنها لم تثبت.

النظرية القائلة بأن المهدي هو عيسى بن مريم عليه السلام :

لقد ناقشنا المصادر المسيحية في هذا الصدد، وبيّنا أن المسيح سيكون إلى جانب المخلص الذي سيظهر بعد انتشار المظالم.

والآن نناقش هذه النظرية التي عادت لتتكرر على لسان بعض المسلمين ـ وهذه النظرية تتمسك بحديث يقول: «ولا مهدي إلا عيسى بن مريم»، فبالإضافة إلى تناقض هذا الحديث مع مئات الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله فإنه يشكو من ضعف في سنده. فقد ورد في المصادر كما يلي:

ـ في فتن ابن حماد[1]: «حدثنا الفضيل بن عياض، عن هشام عن الحسن أو حدثنا غير واحد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن» ـ أو «حدثنا هشام عن منصور عن الحسن..».

ـ في سنن ابن ماجه[2]: «حدّثنا يونس بن عبد الأعلى، حدّثنا محمّد بن إدريس الشافعي، حدّثني محمّد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله...».

وقد أخذ الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤١) عن ابن ماجة. كما أخذ عنه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١٦١) والداني ص ١٠٢ ومسند الشهاب (٢/ ٦٨)، والبيهقي في البعث والنشور (ص ٢٠٩ ـ ٢١١) وتاريخ بغداد (٤/ ٢٢٠) وميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٥) والقرطبي (٢/ ٧٠١) وابن كثير في الفتن

(١) نعيم بن حماد، الفتن، صورة عن نسخة مكتبة المتحف البريطاني، ص ١٠٣ كما ورد في معجم أحاديث المهدي، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، الجزء الأول، ص ٥٦٣.
(٢) ابن ماجة، السنن، فتن ٣٤.

(١/ ٤٤) وشرح المقاصد (١/ ٣٠٨) وابن حجر في الصواعق (١٦٤)، والقول المختصر (ص ٣)، وعرف السيوطي، الحاوي (٢/ ٨٥) وجمع الجوامع (١/ ٩٣١) وكنز العمال (١٤/ ٣٦٣)، وإسعاف الراغبين (٢/ ١٥١) والإذاعة (ص ١٣٥) والعطر الوردي (ص ٤٥) والمغربي (ص ٥٨٣) والعباد في عقيدة أهل السنة (ص ١٦).

وقد لاحظنا أن الحديث في فتن ابن حماد مرسل لم يصل إلى النبي ﷺ. أما حديث سنن ابن ماجة ففيه محمد بن خالد الجنَدي. وقد جاء في مسند الشهاب أن الجنَدي مجهول، وكذلك في البعث والنشور للبيهقي وفي تذكرة القرطبي... كما جاء في البعث والنشور أيضاً أن أبان بن صالح لم يسمع من الحسن البصري.

من هنا فإن الحديث متروك.

النظرية القائلة بأن المهدي من ولد العباس:

وقد ناقشنا نظرية أن المهدي عليه السلام هو المهدي العباسي، وأظهرنا بطلانها. إلا أن هناك أحاديث أخرى تستحق أن نتناولها هنا، ومنها حديث منسوب إلى أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب يقول: «إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي»[1].

إن هذا الحديث لن نتوقف عنده لأنه إذا صح، وهذا مستبعد، فلا يعدو أن يعدّد بعض خلفاء بني العباس ومنهم المهدي الذي أشرنا إليه سابقاً.

إلا أن هناك كلاماً أكثر صراحة في عدّ المهدي من بني العباس وهي:

١ ـ «يا عم النبي إن الله ابتدأ بي الإسلام وسيختمه بغلام من ولدك هو الذي يتقدم عيسى بن مريم».

(١) الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، مطابق لطبعة المكتبة السلفية ـ مكة المكرمة، ج١، ص ٦٣.

ـ في تاريخ بغداد[1]: «حدثنا أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن المظفر، حدثنا محمد بن مخلد بن حفص حدثنا محمد بن نوح بن سعيد بن دينار المؤذن، حدثني أبي، حدثنا عبد الصمد بن علي، عن أبيه، عن جده ابن عباس قال: كان رسول الله...».

ـ وفي تاريخ بغداد أيضاً[2]: «أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبدالله ابن مهدي، أخبرنا محمد بن مخلد الدوري، حدثنا أحمد بن الحجاج بن الصلت، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا خلف بن خليفة، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عمار بن ياسر قال: «بينا النبي ﷺ..».

ـ في تاريخ دمشق[3]: «أنبأنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان الرزاز، أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد بن ابراهيم بن شاذان أنا أبو محمد جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم الواسطي، أنا أبو العباس محمد بن يونس الكديمي البصري وأخبرنا أبو الفضل محمد بن إسماعيل الفضيلي، أنا أحمد بن محمد الخليلي، أنا علي بن أحمد بن محمد الخزاعي، أنا الهيثم بن كليب، أنا محمد بن يونس البصري، حدثني عبدالله بن سوار العنبري، أنا أبو الأشهب جعفر بن حيان، عن أبي رجاء العطاردي عن عبدالله بن عباس، حدثني أبي العباس بن عبد المطلب (عن رسول الله ﷺ)...

ـ وفي تاريخ دمشق أيضاً: «أخبرنا أبو القاسم بن الحصين، أنا محمد بن محمد قال: وثنا محمد بن إبراهيم، أنا محمد بن يونس القرشي، ثنا إبراهيم بن سعيد القرشي، أنا خلف بن خليفة، عن أبي هاشم، عن محمد بن الحنفية عن علي قال: لقي رسول الله ﷺ...».

---

(١) مذكور سابقاً، ٣/ ٣٢٣.

(٢) ٤/ ١١٧.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ـ دار الفكر، ج٤/ ١٢٦.

ـ وفي ذخائر العقبى[1] ورد مرسلاً ـ وكذلك في ميزان الاعتدال[2].

وقد نقلت الأحاديث عن هذه المصادر إلى العدد الكبير من الكتب الأخرى.

وقد علق الذهبي على رواية تاريخ بغداد فقال: «رواه عن محمد بن مخلد العطار فهو آفته، والعجب أن الخطيب ذكره في تاريخه ولم يضعفه، وكأنه سكت عنه لانتهاك حاله (أي لتأييده بني العباس أو خوفه منهم).

كما جاء في لوائح الأنوار[3]: «أن كون المهدي من ذريته ﷺ مما تواتر عنه ذلك، فلا يسوغ العدول ولا الالتفات إلى غيره وقال ابن حجر: يمكن الجمع بأن يكون من ذريته ﷺ وللعباس فيه ولادة، من جهة أن في أمهاته عباسية».

٢ ـ «المهدي من ولد العباس» وقد ورد في:

ـ فتن ابن حماد[4]: حدثنا الوليد عن شيخ عن يزيد بن الوليد الخزاعي عن كعب «ولم يسنده إلى الرسول ﷺ فلا نعتد به، لا سيما وأن فيه شخصاً مجهولاً «عن شيخ». كما أنه في النهاية، ولو صح، عن كعب فلا يمكن الاعتداد به. وفي عرف السيوطي قال الدارقطني: «هذا حديث غريب تفرّد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم ـ يقصد العباسيين منهم. «والذي قال عنه الذهبي: كان يصنع الحديث».

ـ ذخائر العقبى[5]: عن أبي القاسم السهمي. . عن عثمان بن عفان.

على أن العديد من المحدّثين يدحض هذا الحديث وقد قال الشوكاني[6]:

---

(١) ٤/ ١٧٥، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مكتبة القديس ـ القاهرة، ص ٣٠٦.
(٢) الذهبي، ميزان الاعتدال، دار المعرفة ـ بيروت، ج١، ص ٨٩.
(٣) السفاريني: لوائح الأنوار، مجلة المنار، ٢/ ٣.
(٤) ابن حماد، الفتن مذكور سابقاً، ص ١٠٣.
(٥) أحمد بن عبدالله الطبري، ذخائر العقبى، مذكور سابقاً، ص ٢٠٦.
(٦) القنوجي، الإذاعة، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ص ١٣٥.

«ويمكن الجمع بين هذه الثلاثة الأحاديث (عن كون المهدي من ولد العباس) وبين سائر الأحاديث المتقدمة (حول كونه من عترة الرسول ﷺ) بأنه من ولد العباس من جهة أمه، فإن أمكن الجمع فهذا، وإلا فالأحاديث أنه من ولد النبي ﷺ أرجح».

٣ ـ «لي النبوة ولكم الخلافة، بكم يفتح هذا الأمر وبكم يختم» جواباً على سؤال للعباس. وقد ورد في:

تاريخ بغداد[1]: «أنبأنا محمد بن أحمد بن رزق البزار ومحمد بن الحسين بن الفضل القطان قالا: حدثنا محمد بن عمر القاضي الحافظ، حدثنا محمد بن الحسن بن سعدان المروزي، حدثنا محمد بن عبد الكريم بن عبيدالله السرخسي، حدثني المهتدي بالله أمير المؤمنين، حدثني علي بن هاشم بن طبراخ، عن محمد الحسن الفقيه، عن ابن أبي ليلى، عن داود بن علي عن أبيه عن ابن عباس، قال العباس يا رسول الله: مالنا في هذا الأمر؟ فقال:

هذا بالإضافة إلى أحاديث مرسلة أو منسوبة إلى كعب الأحبار ونحن نرد بصددها أن بعض المحدثين أشار إلى أن المهدي عليه السلام يمكن أن ينتسب إلى العباس لجهة أمه. ولكن إذا كان هذا الأمر غير ثابت. فإنه يكفي تعارضها مع الأحاديث المتواترة الموثوقة القائلة بغير ذلك. لا سيما وأن بعضها يحتوي تعظيماً للعباس ودعوة قبلية لا يمكن للنبي ﷺ أن يكرّسها من مثل: «هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه... وأنت عمي وصنو أبي وخير من أخلف بعدي من أهلي» وذلك كما في تاريخ بغداد (١/٦٣). أو مثل «اللهم انصر العباس وولد العباس» رغم كل الجور الذي سيمارسه أكثر بني العباس وكذلك الفسوق والمجون. أو مثل التباهي بالسفاح والمنصور وغيرهما.

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تحذّر من شرور بني العباس ومن أمثلتها: «يملك بنو العباس حتى ييأس الناس من الخير ثم ينشعب

(١) مذكور سابقاً، ٣/٣٤٨.

أمرهم، فإن لم تجدوا إلا جحر عقرب فادخلوا فيه، فإنه يكون في الناس شر طويل ثم يزول ملكهم ويقوم المهدي»[1].

«ويل لذريتك من بني العباس»[2] وهو قول جبرائيل للنبي ﷺ.

وإلى هذه السنّة المؤكدة لجور بني العباس، والتي تثبت بطلان الأحاديث الواردة في الإشادة بهم، فإن القرآن الكريم لم يعط العباس هذه المنزلة حيث ورد: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله﴾ [التوبة/١٩] وهي الآية التي نزلت في مجال مقارنة العباس الذي كان يتباهى بسقاية الحجيج وعمارة المسجد، بالإمام علي عليه السلام[3].

ولعل ما يؤكد الوضع والخلط في الأحاديث الناسبة المهدي إلى العباس، أحاديث تجعل ملكهم ممتداً إلى ظهور المهدي كما ورد في تاريخ دمشق (٤/ ١٧٩) والتهذيب (٧/ ٢٤٧) لابن عساكر.

هذا إلى أحاديث تنسب المهدي إلى بني عبد شمس وتحاول جعله عمر بن عبد العزيز، وبطلان هذه الأحاديث ظاهر. ومنها ما حاولت جعله محمد بن الحسن النفس الزكية ولكن ثبت بطلانها بالنتيجة لأن أحداً لم يملأ الدنيا عدلاً وقسطاً ولم يجعل الإسلام يظهر على الدين كله.

النظرية التي تجعل المهدي من نسل الحسن بن علي عليه السلام:

ورد الحديث في سنن أبي داود أن المهدي من ولد الحسن، قال أبو داود[4]:

«حدثنا عن هارون بن المغيرة قال: ثنا عمرو بن أبي قيس عن شعيب بن خالد عن أبي إسحق، قال: قال علي، ونظر إلى ابنه الحسن، فقال: إن ابني

(١) ملاحم ابن طاووس، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط٥، ١٩٧٨، ص ٣٩.
(٢) راجع غيبة النعماني، مكتبة الصدوق ـ طهران، ص ٢٤٧.
(٣) راجع تفسير الميزان والجلالين.
(٤) أبو داود، جزء كتاب المهدي. الحديث ١٢ (٤٢٩٠).

هـذا سيد كما سماه النبي ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخُلق»، ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً.

أما سند هذا الحديث ففيه أبو إسحق عمرو بن عبدالله السبيعي، الهمداني، الكوفي، وهو وإن وثّقه بعضهم كما في ميزان الاعتدال للذهبي، إلا أنه أضاف قائلاً: «إلا أنه شاخ ونسي... وقد سمع منه سفيان بن عيينة وقد تغير قليلاً».

وقال الحافظ المنذري[1] عن الحديث: هذا منقطع. وأبو إسحق السبيعي رأى علياً رؤية، فقط.

وأما متن الحديث فهو متناقض مع مئات الأحاديث المتواترة القائلة بأن المهدي عليه السلام من ولد الحسين عليه السلام.

ولعل من عجب أن يأخذ بعض من يدعي العلم بهذا الحديث الشاذ دون غيره من الأحاديث ويعمد إلى اختراع الحجج لتبريره، فقد جاء في المنار المنيف[2]: «وقد اختلف الناس في المهدي على أربعة أقوال...».

القول الثالث: إنه رجل من أهل بيت النبي ﷺ من ولد الحسن بن علي يخرج في آخر الزمان وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، وأكثر الأحاديث على هذا تدل». ويضيف الكاتب مسوّغاً: «وفي كونه من ولد الحسن سر لطيف، وهو أن الحسن (ر) ترك الخلافة لله، فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض. وهذه سنّة الله في عباده، أنه من ترك لأجله شيئاً أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه». ويؤاخذ الكاتب الحسين عليه السلام بقوله: «وهذا بخلاف الحسين، فإنه حرص عليها (الخلافة) وقاتل عليها فلم يظفر بها والله أعلم».

إن هذا التبرير، المسوق لترجيح الحديث ثم المفاضلة بين موقف الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، إنما ينبعثان من الموقف المسبق نفسه،

(١) الحافظ المنذري، مختصر سنن أبي داود، دار المعرفة ـ بيروت، ٦/١٨٨.
(٢) ابن القيم الجوزية، المنار المنيف، مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب، ص ١٤٢.

الذي يأخذ على الإمام الحسين عليه السلام ثورته على الظلم وتصديه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو موقف أشياع معاوية بن أبي سفيان الذين سرّوا من موقف الإمام الحسن، لأنه ترك الأمر لمعاوية فكفى أجدادهم شر القتال. ولم يشاؤوا أن يدركوا أن الإمام الحسن لو وجد النصرة الكافية ضد معاوية لقاتله، تماماً كما قاتله في صفوف جند أبيه، بشجاعة دفعت الإمام علياً عليه السلام إلى الطلب من أصحابه أن يحولوا دون اندفاع الحسن في لهوات الموت، لأنه وأخاه بقية رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد قال علي[1]: «املكوا عني هذا الغلام لا يهدني، فإنني أنفس بهذين (وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام) على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله».

على أن حديث علي بن مكي الهلالي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «... ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما، والذي بعثني بالحق خير منهما، يا فاطمة: والذي بعثني بالحق أن منهما مهدي هذه الأمة[2].

وهذا يعني أن للحسن عليه السلام فيه ولادة، ذلك أن الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، هو ابن أم عبدالله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، فيكون جميع أولاده وأحفاده منتسبين إلى الإمام الحسن عليه السلام لجهة أمهم هذه.

المهدي من ولد الحسين عليه السلام:

لقد بلغت أحاديث المهدي(عج) حد التواتر ولم ينسبه إلى غير الحسين سوى من ذكرنا أعلاه. أضف أن التواتر قائم على نسبته إلى الحسين عليه السلام كما في أحاديث عن لسان علي عليه السلام وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان وأبي أمامة، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبي ذر الغفاري وعبدالله بن مسعود

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الهدى الوطنية: بيروت، ٩/٣.
(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ٥٢/٣.

وسلمان الفارسي، وأبي أيوب الأنصاري وحذيفة بن أسيد ومسروق والشعبي وأنس والحسن بن علي عليه السلام والإمامين الصادق والرضا عليهما السلام. كل هذا عدا عن أحاديث باقي الأئمة عليهم السلام.

اسم المهدي:

أن لفظ «المهدي» صفة يتصف بها حفيد الرسول صلى الله عليه وآله من ولد الحسين أما اسمه فقال أناس أنه أحمد بن عبدالله أو محمد بن عبدالله أو... لكن الغالبية العظمى تقول أن اسمه محمد وليس ابن عبدالله، على أنه من نافل القول أن نذكّر أنه ليس ضرورياً أن نقف كثيراً عند أي اسم لا يربط المهدي بالحسين عليه السلام.

أحمد بن عبدالله:

ورد في حديث منسوب إلى النبي من طريق حذيفة بن اليمان أن المهدي يسمى أحمد بن عبدالله[1] وهو رجل من ولد كنانة من رجال بني إسرائيل. وهذا يتعارض كما قلنا مع الأحاديث المتواترة التي تنسب المهدي إلى الحسين عليه السلام. وقد ورد بإسناد مختلف أن النبي صلى الله عليه وآله قال: هو من ولد الحسين. وقد اعتمد إسناد الداني على: عبدالله بن عمرو المكتب، عن عتاب بن هارون عن الفضل بن عبدالله عن عبد الصمد بن محمد الهمداني، عن أحمد بن سنان القلانسي بحلب، عن عبد الوهاب الخزان أبو أحمد الرقي عن مسلمة بن ثابت عن عبد الرحمن، عن سفيان الثوري عن قيس بن مسلم عن ربعي بن حراش عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله.

وفي هذا الإسناد قيس بن مسلم وقد قال عنه في لسان الميزان: سمع من عبادة بن الصامت وأخذ عن إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر فقط.

ومع ذلك فإننا نرى هنا أنه أخذ هذا الحديث عن ربعي بن حراش، وأن الراوي عنه سفيان الثوري، مما يجعل الحديث مختلقاً.

---

(١) راجع: الطبري، جامع البيان، ١٧/٥ و٢٢/٧٢، والداني، السنن، ص ١٠٤.

محمد بن عبدالله:

وردت أحاديث أخرى تقول أن المهدي، يوافق اسمه واسم أبيه اسم النبي ﷺ واسم أبيه، أي أن اسمه محمد بن عبدالله. وهذه الأحاديث مرويّة عن لسان عبدالله بن مسعود، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه وعن تميم الداري، وعن الطفيل، وعن عبدالله بن عمر.

أما تميم الداري فهو مسيحي أسلم سنة ٩ للهجرة، وكان ممن رحل إلى الشام بعد مقتل عثمان أما ابن أبي ليلى فقد ورد أنه كان يورّي ولا يصرح. وقد عاش في زمن الحجاج وكان في عديد جيش ابن الأشعث.

وأما الأحاديث عن عبدالله بن مسعود في هذا الموضوع فهي متناقضة، كما في مسند أحمد ١/ ٣٧٦ و٣٧٧ كما أن الإسناد إليه عن طريق عاصم يمرّ أحياناً بأبي وائل وأحياناً لا يمر به. ونتيجة لهذا التباين فإن الحديث يسقط.

أما عبدالله بن عمر فقد ورد عن لسانه الحديث دون ذكر اسم أبيه اسم أبي، كما في تذكرة الخواص ص ٣٦٣ وعقد الدرر ص ٣٢ ومنهاج الكرامة ص ٢٨ وغيرها، وبذا يتساقط الحديثان.

ويقول الكنجي في البيان تعقيباً على هذا الحديث في سنن الترمذي: إن الترمذي ذكر هذا الحديث ولم يذكر قوله «واسم أبيه، اسم أبي» وفي معظم روايات الحفاظ والثقات من نقلة الأخبار «اسمه اسمي» فقط، والذي رواه «واسم أبيه اسم أبي» فهو زائدة ويزيد في الحديث.

ويضيف: والقول الفصل في ذلك: إن الإمام أحمد مع ضبطه وإتقانه روى الحديث في مسنده في عدة مواضع «واسمه اسمي».

وجمع الحافظ أبو نعيم طرق هذا الحديث عن الجم الغفير في مناقب المهدي، كلهم عن عاصم أبي النجود عن زر عن عبدالله (ابن مسعود) عن النبي ﷺ. فمنهم سفيان بن عيينة، وطرقه عنه بطرق شتى. ومنهم قطر بن خليفة وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم الأعمش، وطرقه عنه بطرق

شتى. ومنهم أبو إسحاق سليمان بن فيروز الشيباني وطرقه عنه بطرق شتى. ومنهم واسط بن الحارث، ومنهم يزيد بن معاوية أبو شبية، له فيه طريقان، ومنهم سليمان بن قرم وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم جعفر الأحمر وقيس بن الربيع ومنهم سلام أبو المنذر، ومنهم أبو شهاب محمد بن إبراهيم الكناني، وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم عمر بن عبيد الطنافسي، وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم أبو بكر بن عياش وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم أبو الجحاف داود بن أبي عوف، وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم عثمان بن شبرمة وطرقه عنه بطرق شتى. ومنهم عبد الملك بن أبي غنية. ومنهم محمد بن عياش عن عمرو العامري وطرقه عنه بطرق شتى،ومنهم عمرو بن قيس الملائي وعمار بن زريق وعبدالله بن حكيم بن جبير الأسدي وعمر بن عبدالله بن بشر وأبو الأحوص وسعد بن الحسن ابن أخت ثعلبة ومعاذ بن هشام عن أبي عاصم. ويوسف بن يونس وغالب بن عثمان وحمزة الزيات وشيبان والحكم بن هشام.

ورواه عن غير عاصم عن زر وهو عمرو بن مرة عن زر. كل هؤلاء رووا: «اسمه اسمي» إلا ما كان من عبيدالله بن موسى عن زائدة عن عاصم، فإنه قال فيه: «واسم أبيه اسم أبي» ولا يرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة على خلافها. والله أعلم» ولعل الزيادة من مختلقات بني العباس[1].

المهدي اسمه اسم رسول الله ﷺ:

وقد وردت الأحاديث مستفيضة بهذا الشكل عن جابر بن عبدالله الأنصاري وأبي سعيد الخدري وابن مسعود وأبي هريرة وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وقرة المزني والحارث بن أبي أسامة

(١) راجع فتن ابن حماد نسخة مصورة عن نسخة مكتبة المتحف البريطاني، نقلاً عن معجم أحاديث الإمام المهدي، ص ١٠١ و١٠٢، وابن حجر، القول المختصر، نسخة مكتبة أمير المؤمنين ـ النجف. والمتقي الهندي: كنز العمال مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤/٥٨٦، والطبراني الكبير دار الكتب العلمية، بيروت ٨/ ١٢٠.

وأبي الطفيل إضافة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن ابنه عليه السلام وسائر أئمة أهل البيت، وأهل البيت موضع ثقة جميع المسلمين، لذا فإن أحاديثهم صحيحة، وإذا جرى تشكيك في نقل هذه الأحاديث فلا أقل من أنها تعضد أحاديث الرواة الآخرين فتصبح معتبرة على أقل تقدير. ومن هنا يكون اسم المهدي محمداً، وهذا هو القدر المتيقن من جميع الأحاديث صحيحها وسقيمها.

إلا أن بعض المسلمين يحددون إضافة إلى اسمه اسم أبيه ويعتبرون أنه ولد في منتصف القرن الثالث الهجري فيما يرفض بعض آخر من المسلمين ذلك ويعتبر أنه سيولد ويعيش في آخر الزمان.

نظرية ولادة المهدي في آخر الزمان:

يرى عدد من علماء المسلمين أن المهدي لا بد أن يولد في آخر الزمان على أساس أنه لو كان ولد لكان عمره حتى اليوم مديداً جداً، ويرون أن ذلك أمر غير معقول، ويستندون إلى الأحاديث القائلة بأنه يقوم ابن أربعين سنة أو أقل[1].

ولعل المقصود بالعمر المذكور هو أنه عمر ظاهري. أما طول العمر فليس أمراً مستحيلاً. وقد اعتاد العلماء أن ينفوا الظواهر غير المألوفة حتى إذا عرضت لهم ظاهرة ولم يستطيعوا نفيها اعترفوا بها وراحوا يفتشون عن أسبابها وهكذا فإنهم إن نفوا أن يبلغ الإنسان ما يزيد على الألف سنة، فإنهم إن عثروا على شخص بهذا العمر، فهم عند ذلك يتراجعون عن نفيهم وينكبون على درسته ظاهرةً حقيقية.

هذا وأن شاهد الإثبات قانونياً أقوى من شاهد النفي، لا سيما إذا كان الأخير افتراضياً، فإذا ذكر أحدهم أنه رأى فلاناً في المكان الفلاني، وقال آخر أنه لا يعقل أن يكون في هذا المكان، بسبب كذا وكذا، فإن المرجع عند تساوي موثوقية كلا الشخصين هو كلام الأول. ومن هنا تطرح علينا مسألة كون المهدي قد ولد فعلاً لتناقشها.

---

(١) مهدي الفقيه اليماني، المهدي عند أهل السنة، مكتبة أمير المؤمنين، أصفهان، ط٢، ١٤٠٢هـ، ص ١٧ ـ ١٩.

المهدي ولد فعلاً:

يرى عدد من علماء الشيعة أن المهدي عليه السلام هو المولود الذي رزقه الإمام الحسن بن علي العسكري والذي أخفاه إلا عن خاصته خاصة خوفاً عليه من الأعداء، ولكن عدداً من العلماء يشكك في الأمر كما رأينا. فلنتفحص الأدلة على افتراض كونه ابن الحسن العسكري عليه السلام.

حديث أن الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله اثنا عشر إماماً أو أميراً أو خليفة وهو حديث عبدالله بن مسعود كما في مسند أحمد بن حنبل ١/ ٣٩٨ و٤٠٦ وحديث جابر بن سمرة كما في مسند أحمد ٥/ ٨٦ ـ ١٠٨ وفي سنن أبي داود، كتاب المهدي حيث يرد ثلاثة أحاديث بأسانيد مختلفة. وفي صحيح البخاري كتاب الأحكام الباب ٥٢ وصحيح مسلم كتاب الإمارة.

الأحاديث من ٥ ـ ١٠ وكذا في الطيالسي، ص ١٠٥ و١٨٠ وتاريخ البخاري ١/ ٤٤٦ والترمذي ٤/ ٥٠١ والطبراني، الوسيط ١/ ٤٧٤ وأخبار أصبهان ٢/ ١٦٧ ودلائل النبوة ٦/ ٣٢٤ وسنن البيهقي ٨/ ١٤٢ و١٤٣ و١٤٤ والفردوسي ٥/ ٢٢٩ و٢٣٨ ومصابيح البغوي ٤/ ١٣٧ وتهذيب ابن عساكر ١/ ٤٤٥ و٤٤٦ و٦/ ١٧٣ وجامع الأصول ٤/ ٤٣٩ ـ ٤٤٢ وفتن ابن كثير ١/ ١٧ وفرائد السمطين ٢/ ١٤٧ ـ ١٤٩ وابن خلدون ص ٢٥٨ وكشف الأستار ٤/ ١١٥ ومجمع الزوائد ٥/ ١٩٠ و١٩١ و١٩٤ وتيسير الوصول ٢/ ٤٢ ومطالب السؤول ١/ ١٣ وعرف السيوطي، الحاوي ٢/ ٨٥ وتاريخ الخلفاء ص ٩ والخصائص الكبرى ٢/ ١١٤ والجامع الصغير ٢/ ٧٥٦ وصواعق ابن حجر ص ٢٠ وبرهان المتقي ص ١٧٥ وكنز العمال ٦/ ٤٩ وعون المعبود ١١/ ٣٦١ و٣٦٢ و٣٦٩ والطبراني الكبير ١٠/ ١٩٥ وابن عدي في الكامل والحاكم ٤/ ٥٠١ والمطالب العالية ٢/ ١٩٧ وتطهير الجنان ص ١٥ وتاريخ الخلفاء ص ١٠ والجامع الصغير ١/ ٣٥٠ ومجمع الزوائد ٥/ ١٩٠ وفيض القدير ٢/ ٤٥٨ وعقيدة أهل السنة ص ٢٢. هذا إلى سائر كتب الشيعة المتحدثة عن موضوع الأئمة عموماً والإمام المهدي خصوصاً.

ولكن إذا كان الدين سيكون عزيزاً أو قائماً إلى اثني عشر خليفة، فمن هم هؤلاء الخلفاء أو الأئمة أو الأمراء؟ لقد جرت محاولات لتسميتهم، فما تم اتفاق ولو جزئي إلا على الراشدين والحسن بن علي عليه السلام وعمر بن عبد العزيز والمهدي العباسي. وكل راح يحاول التكملة بطريقته «فقد ذكر جماعة منهم أبو حاتم بن حبان وغيره أن آخرهم عمر بن عبد العزيز، فذكروا الخلفاء الأربعة ثم معاوية ثم يزيد ابنه ثم معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم عبد الملك ابنه ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز».

ويضيف الكاتب: «فالتحقيق في هذه المسألة أن يعتبروا بمعاوية وعبد الملك وبنيه الأربعة(!) وعمر بن عبد العزيز ووليد بن يزيد بن عبد الملك بعد الخلفاء، الأربعة الراشدين».

وقال: «الحافظ عماد الدين بن كثير.. قد وجد منهم أربعة على نسق واحد وهم الخلفاء الأربعة... ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس..»[1].

ولم يبق من حل منطقي معروف إلا أن يكونوا الأئمة الذين يؤمن الشيعة بإمامتهم. فيكون آخرهم المهدي المنتظر عليه السلام. ويمكننا متابعة إثباتنا لشخصية المهدي بعد الحسين عليه السلام:

متابعة المهدي في ولد الحسين عليه السلام

المهدي هو التاسع من ولد الحسين:

لقد تواترت الأحاديث حول أن المهدي هو التاسع من ولد الحسين فزادت عن المائة. وقد أحصى العلامة الكلبايكاني منها ١٤٨ حديثاً، عن لسان ابن عباس وابن مسعود وأبي سعيد الخدري وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وجابر بن عبدالله الأنصاري وزيد بن ثابت والحسين بن علي عليه السلام

(١) محمد شمس الحق عبد العظيم آبادي، عون المعبود، المكتبة السلطية في المدينة المنوّرة، ج١١ هامش ٣٦٣ ـ ٣٦٦.

والحسن عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام وعبد الرحمن بن سمرة وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأنس بن مالك وأبي هريرة، وأبي أمامة، وأبي أيوب الأنصاري وحذيفة بن اليمان والجارود بن المنذر العبدي وأبي ثابت مولى أبي ذر وعبدالله بن أبي أوفى وأبي سلمة راعي النبي صلى الله عليه وآله. وعبدالله بن عمر[1].

المهدي من ولد علي بن الحسين:

وقد جمع العلامة الكلبايكاني ١٨٥ حديثاً تؤيد هذا، تجعل المهدي من ولد علي بن الحسين ومن ولد أولاده. وما جاء في كونه من ولد علي بن الحسين عليه السلام ما ورد في بشارة المصطفى وهو:

ـ أخبرنا الشيخ أبو عبدالله محمد بن شهريار الخازن في شوال سنة ٥١٢ بمشهد مولانا أمير المؤمنين بقراءتي عليه، قال الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ر) ومحمد بن محمد بن ميمون المعدل بواسط قال: حدثنا الحسن بن إسماعيل البزاز وجماعة قالوا: أخبرنا أبو المفضل محمد بن عبدالله بن عبد المطلب الشيباني قال: حدثنا أبو نصر محمد بن عبد المنعم بن نصر الصيداوي، قال: حدثنا حسين بن شداد الجعفي عن أبيه شداد بن رشيد عن عمر بن عبدالله بن هند الجملي عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام: «والله لذرية علي بن الحسين عليه السلام أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، إن منه لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»[2].

المهدي من ولد الباقر عليه السلام:

وقد أحصي في هذا الصدد ١٠٣ أحاديث، بعضها يقول: إن المهدي هو السابع من ولد الباقر وما تبقى يعدّه من ولد أبنائه. أما الأحاديث القائلة بأنه السابع من ولد الباقر فهي:

---

(١) راجع لطف الله الصافي الكلبايكاني، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام منشورات مكتبة الصدر ـ طهران، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٧. راجع كذلك، القندوزي، ينابيع المودة، مطبعة اختر اسطنبول، ج٣، ص ١٠٥ و٢٥٨ و٢٥٩. راجع كذلك: الجويني، فرائد السمطين، م٢، ص ٣١٣.

(٢) محمد بن أبي القاسم الطبري، بشارة المصطفى، المكتبة الحيدري، النجف، ط ٢.

ـ حديث عن لسان أبي المفضل الشيباني عن محمد بن علي بن شاذان عن الحسن بن محمد بن عبد الواحد عن الحسن بن الحسين العرني، عن يحيى بن يعلى عن عمر بن موسى عن زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام [1].

ـ حديث عن لسان علي بن الحسين عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن الحسن الرازي، عن محمد بن علي الكوفي عن إبراهيم بن محمد بن يوسف عن محمد بن عيسى عن عبد الرزاق بن محمد بن سنان عن فضيل الرسان عن أبي حمزة الثمالي عن الباقر عليه السلام [2].

ـ حديث عن لسان الحميري عن محمد بن عيسى عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن علي بن أبي حمزة عن الباقر عليه السلام [3].

ـ حديث عن لسان علي بن الحسن (الحسين) عن محمد بن الحسين الكوفي عن أحمد بن هود بن أبي هراشة أبي سليمان الباهلي عن إبراهيم بن إسحق أبي بشر النهاوندي عن عبد الله بن حماد الأنصاري عن أبي مريم عبد الغفار بن القسم عن الباقر عليه السلام [4]

المهدي من ولد الصادق عليه السلام:

وفيه ١٠٣ أحاديث حسب إحصاء العلامة الكلبايكاني، بعضها يذكر أنه من ولد جعفر الصادق عليه السلام وبعضها الآخر أنه من ولد أولاده. ومنها:

ـ حديث عن لسان ابن الخشاب عن أبي القاسم طاهر بن هرون بن موسى العلوي عن أبيه موسى عن الإمام الصادق عليه السلام [5]

(١) راجع كفاية الأثر للخزار القمي، منشورات بيدار، قم ص ٢٩٨.
(٢) راجع غيبة النعماني، ص ٨٦.
(٣) راجع إثبات الوصية للمسعودي، المطبعة الحيدرية ـ النجف.
(٤) راجع كفاية الأثر، للخزّاز القمي، منشور أعلاه ص ٢٥٠.
(٥) كشف الغمة لعلي بن عيسى الأربلي، دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت.

ـ حديث عن لسان عبد الواحد بن محمد العطار عن علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري، عن حمدان بن سليمان عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن حنان (حيان) السراج عن إسماعيل بن محمد الحميري عن الصادق عليه السلام[1]

ـ حديث عن لسان أحمد بن محمد بن سنان وأبي علي الزرّاد معاً، عن إبراهيم الكرخي عن الصادق عليه السلام[2]

المهدي من ولد الكاظم عليه السلام:

وقد أحصي ١٠١ من الأحاديث بعضها يجعله من ولد الإمام موسى الكاظم عليه السلام وبعضها من ولد ولده عليه السلام ومنها:

ـ حديث عن لسان علي بن أحمد بن عبدالله البرقي عن أبيه محمد بن خالد عن محمد بن سنان وأبي الزرّاد جميعاً عن إبراهيم الكرخي عن الصادق عليه السلام[3].

ـ حديث عن لسان علي بن محمد السندي، عن محمد بن الحسين عن سعد بن عبدالله عن الحسن بن عيسى عن محمد بن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام[4]

ـ حديث عن لسان: أيوب بن نوح عن محمد بن سنان عن صفوان بن مهران عن الصادق عليه السلام[5].

ـ وروي نفس الحديث عن لسان الحسن بن أحمد بن إدريس عن أبيه عن أيوب.

---

(١) راجع كمال الدين، مذكور سابقاً، ص ٣٤٢.
(٢) بحار الأنوار، المكتبة الإسلامية، م٥١ ص ١٤٥.
(٣) كمال الدين، مذكور سابقاً.
(٤) كفاية الأثر، مذكور سابقاً، ص ٢٦٤.
(٥) كمال الدين، مذكور سابقاً، ص ٢٣٣.

ـ حديث عن لسان محمد بن عبدالله بن حمزة عن عمه الحسن بن حمزة عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن صالح بن السندي عن يونس بن عبد الرحمن عن الكاظم عليه السلام [1].

المهدي من ولد الرضا عليه السلام:

وقد أحصى في هذا الصدد خمسة وتسعون حديثاً منها ما روى أنه من ولده ومنها ما روى أنه من ولد أبنائه ومنها:

ـ حديث عن لسان محمد بن علي عن أحمد بن زياد بن جعفر، عن علي ابن إبراهيم عن أبيه عن جعفر (معبد) عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام [2].

ـ حديث عن لسان أحمد بن زياد عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الديان (أو الريان) بن الصلت عن الرضا عليه السلام [3].

ـ حديث عن لسان شرف الدين أبو جعفر الأشرف بن محمد بن جعفر الحسيني المدائني، عن منتجب الدين علي بن عبيدالله بن الحسين بن بابويه القمي ثم الرازي، عن أبي محمد شمس الشرف بن علي بن عبدالله الحسيني السيلقي، عن المؤيد أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابوري الخزاعي، عن أبي المفضل محمد بن الحسين بن سعيد القمي، عن علي بن محمد بن علي الخزاز عن أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه، عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمذاني، عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن علي بن سعيد عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام [4].

المهدي من ولد الجواد عليه السلام:

أحصى في هذا الصدد تسعون حديثاً منها أحاديث تراه من أولاد الإمام محمد الجواد عليه السلام وأخرى تعده من أبناء أولاده. ومن هذه الأحاديث:

---

(١) كفاية الأثر، مذكور سابقاً، ص ٢٦٥.
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٧٠.
(٣) كمال الدين، مذكور سابقاً، ص ٢٧١.
(٤) فرائد السمطين، مذكور سابقاً، ص ٣٣٦.

ـ حديث عن لسان محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق عن محمد بن علي عن علي بن أحمد بن محمد بن هرون الصوفي عن أبي تراب عبيدالله (عبدالله) بن موسى الروياني عن عبد العظيم بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن الإمام الجواد عليه السلام [1].

ـ حديث عن لسان محمد بن علي عن عبد الواحد بن محمد بن عبدوس وهو العطار عن علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري عن حمدان بن سليمان عن الصقر بن أبي دلف عن الجواد عليه السلام [2] وبنص الإسناد ورد في نهاية الأثر[3].

المهدي من ولد الهادي عليه السلام:

وقد أحصي في هذا الصدد تسعون حديثاً منها:

ـ حديث عن لسان محمد بن عبدالله بن حمزة عن الحسن بن حمزة عن علي بن إبراهيم عن عبدالله بن أحمد الموصلي عن الصقر بن أبي دلف عن الإمام علي بن محمد الهادي[4].

ـ حديث عن لسان علي بن أحمد بن يونس الدقاق وعلي بن عبدالله الورّاق عن محمد بن هارون الصوفي عن أبي تراب عبدالله بن يونس الروياني عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني، عن الهادي عليه السلام [5].

المهدي بن الحسن بن علي العسكري عليه السلام:

ورد في هذا الصدد مما أحصي ١٥٤ حديثاً منها:

---

(١) كفاية الأثر، مذكور سابقاً، ص ٢٧٦.
(٢) كمال الدين، مذكور سابقاً، ص ٣٧٨.
(٣) كفاية الأثر، مذكور سابقاً، ص ٢٧٩.
(٤) المرجع نفسه، ص ٢٨٨.
(٥) كمال الدين، مذكور سابقاً، ص ٣٧٩.

ـ حديث عن لسان علي بن محمد السندي، عن محمد بن الحسن، عن سعد بن عبدالله، عن أبي جعفر محمد بن أحمد العلوي، عن أبي هاشم داود بن القسم الجعفري عن الإمام العسكري عليه السلام [1].

ـ حديث عن لسان الحسين بن علي، عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار عن سعد بن عبدالله عن موسى بن جعفر بن وهب البغدادي عن الإمام العسكري عليه السلام [2].

ـ حديث عن لسان أبي المفضل عن أبي علي بن همّام عن محمد بن عثمان العمري عن العسكري عليه السلام [3].

ـ حديث عن لسان واثلة بن الأصقع بن قرضاب عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله [4].

ـ حديث عن لسان علي بن عبدالله الوراق عن سعد بن عبدالله عن أحمد بن إسحق الأشعري عن العسكري عليه السلام [5].

ـ حديث عن لسان محمد بن علي بن بلال عن العسكري عليه السلام [6].

ـ حديث عن لسان علي بن إبراهيم، عن أبيه عن عيسى بن مسيح عن العسكري عليه السلام [7].

ـ حديث عن لسان المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام [8].

---

(١) كفاية الأثر، ص ٢٨٤.
(٢) المرجع نفسه، ص ٢٩١.
(٣) المرجع نفسه، ص ٢٩٢.
(٤) ينابيع المودة، مذكور سابقاً، ج٣، ص ١٠١.
(٥) كمال الدين، مذكور سابقاً، ص ٣٨٤.
(٦) كشف الغمة، مذكور سابقاً، ص ٤٤٨.
(٧) الخرايج والجرائح لقطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم ١٤٠٩ ـ ج١، ص ٤٧٨.
(٨) أعلام الورى، أبو علي الطبرسي، دار المعرفة، بيروت.

ـ حديث عن لسان علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي عن العسكري عليه السلام [1].

ـ حديث عن لسان أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي عن أحمد بن إبراهيم، عن خديجة بنت محمد بن علي الرضا أخت الإمام العسكري عليه السلام [2].

ـ حديث عن لسان الحفار عن عثمان بن أحمد عن أبي قلابة عن بشر بن عمر عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن إسماعيل بن أبان عن أبي مريم عن ثور بن أبي فاختة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله [3].

المصنفات حول تعيين شخص الإمام المهدي عليه السلام :

ومن الذين صنّفوا حول المهدي عليه السلام وذكروا الأئمة بأسمائهم وصولاً إليه من أهل السنة :

ـ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في مصنّفه «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول» الجزء الثاني، حيث يرد بعنوان: الباب الثاني عشر في أبي القاسم بن محمد الحسن الخالص بن علي المتوكل بن القانع بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الزكي بن علي المرتضى أمير المؤمنين ابن أبي طالب المهدي الحجة الخلف الصالح المنتظر عليه السلام ورحمة الله وبركاته [4].

ـ يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي ـ سبط ابن الجوزي الحنفي ـ في مؤلفه «تذكرة الخواص»، حيث يرد في تعريف المهدي المنتظر: «هو

(١) الطبرسي، الاحتجاج.
(٢) المسعودي، إثبات الوصية، مذكور سابقاً.
(٣) الشيخ الطوسي، الأمالي، مركز البحوث الإسلامية ـ إيران، ج١، ص ١٣٤.
(٤) طبعة دار الكتب التجارية، النجف الأشرف، ص ١٢٤.

محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكنيته أبو عبدالله وأبو القاسم وهو الخلف الحجة صاحب الزمان»[1].

وقد أورد الكاتب قصيدة لأبي الفضل يحيى بن سلامة الخصكفي جاء فيها:

وسائلٍ عن حب أهل البيت هل ... أقرُّ إعلاناً به أم أجحدُ
هيهات ممزوج بلحمي ودمي ... حبهم وهو الهدى والرشدُ
حيدرة والحسنان بعده ... ثم علي وابنه محمّدُ
جعفر الصادق وابن جعفرٍ ... موسى ويتلوه عليٌّ السيّدُ
أعني الرضا ثم ابنه محمدٌ ... ثم علي وابنه المسدّدُ
الحسن التالي ويتلو تلوه ... محمد بن الحسن المفتقدُ
فإنهم أئمتي وسادتي ... وإن لحاني معشرٌ وفنّدوا

ـ شيخ الإسلام إبراهيم بن محمد بن المؤيّد الجويني الخرساني، في مؤلفه «فرائد السمطين» المجلد الثاني، حيث يرد عن لسان أبي سلمى راعي إبل رسول الله ﷺ أنه رأى عن يمين العرش أسماء آل بيته: «علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي...»[2].

ـ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي في مؤلفه «ينابيع المودة» حيث يعدد الأئمة الاثني عشر عن لسان مجاهد وابن عباس عن النبي ﷺ فيقول: «وصيي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين... إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد

(١) منشورات المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف، ص ١٣٨ و١٤٠ و١٤١.
(٢) ص ٢٣٤ وعن لسان علي بن أبي طالب، المرجع نفسه، ص ٢٣٥.

فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي..»[1].

ـ علي بن محمد بن أحمد الشهير بابن الصباغ المالكي في مؤلفه «الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة» حيث يرد: ولد أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة، وأما نسبه أباً فهو أبو القاسم محمد بن الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين[2].

ـ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي في مصنّفه «الأئمة الاثنا عشر»، حيث يرد في الفصل ١٢: «وثاني عشرهم ابنه محمد بن الحسن وهو أبو القاسم محمد بن الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم».

وقد نظمهم عليه السلام المؤلف في قصيدة تقول:

عليك بالأئمة الاثني عشر ... من آل بيت المصطفى خير البشر
أبو تراب، حسن، حسينُ ... وبغض زين العابدين شينُ
محمد الباقر كم علم ورى ... والصادق أدعُ جعفراً بين الورى
موسى هو الكاظم وابنه عليُّ ... لقّبه بالرضا وقدره عليُّ
محمد التقي قلبه معمورُ ... علي التقي درّه منثورُ
والعسكري الحسن المطهر ... محمد المهديُّ سوف يظهرُ

(١) مؤسسة الأعلمي، ج٣، ص٩٩.
(٢) دار الكتب التجارية ـ النجف.

ـ عبد الوهاب الشعراني في مصنفه «اليواقيت والجواهر»، حيث يرد: «... لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة(ر). جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده حسن العسكري بن الإمام علي النقي بن محمد التقي بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين علي بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ـ محمد الصبان المصري الشافعي، في مؤلفه «إسعاف الراغبين»، حيث يرد: «وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتاب «اليواقيت والجواهر»: المهدي من ولد الإمام حسن العسكري ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم. هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة عن الإمام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك سيدي علي الخواص(ر)».

ـ سيد مؤمن الشبلنجي في مؤلفه «نور الأبصار» حيث يرد: «فصل في ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب».

ـ محي الدين بن العربي: في كتاب «الفتوحات المكية» حيث ورد عن الشيخ الصبّان في إسعاف الراغبين وعن الشيخ حسن العدوي الحمزاوي في مؤلف «مشارق الأنوار» أنه يذكر المهدي على أنه ابن الحسن العسكري وصولاً إلى علي بن أبي طالب[1].

فهو «من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة عليها السلام جده الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده الإمام حسن العسكري ابن الإمام علي النقي بن

(١) المطبعة العثمانية، ١٣٠٧، ص ١١٢.

الإمام محمد التقي بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب(ر) يواطئ اسمه اسم رسول الله ﷺ.

إلا أنني لم أجد هذا في الفتوحات المنشور في «دار صادر» لا سيما الباب ٣٦٦ في المجلد الثالث بل وجدت خلافه[1]، وأخيراً وجدت تبايناً بين طبعة وأخرى مما يدل على التلاعب بالنصوص.

إنكار وجود الإمام المهدي:

مع وجود كل الأحاديث التي تتحدث عن ضرورة ولادة الإمام المهدي، منذ رسول الله ﷺ حتى الإمام العسكري عليه السلام، فإن هناك من ينكره، إما بادعاء عدم ولادة ابن للإمام العسكري أو بادعاء موت وليده، أو بالتشكيك بإمامة عدد من الأئمة منذ الإمام الجواد حتى الإمام المهدي عليه السلام. هذا إلى وجود فرق قالت كل منها بإمامة أشخاص من أبناء الأئمة على التوالي غير من تدين الشيعة الإمامية بإمامتهم.

ادعاء عدم ولادة ابن للإمام العسكري عليه السلام:

لقد كان الأئمة في حالة حذر شديد من بطش السلطة العباسية منذ الإمام موسى الكاظم على الأقل، وذلك لأن الأحاديث الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام كانت معروفة من خلفاء بني العباس من جهة، وبسبب تأييد أعداد كبيرة من الناس لخط الأئمة، لذلك كانوا يلوذون بالتقية ـ أو العمل السري ـ ولما اشتد الضغط والرقابة على الإمام العسكري فإنه أخفى ولادة ابن له إلا عن أخص الخلاصة ولذلك كان لا بد من شيوع اعتقاد بأنه لم يرزق بولد. ولكن هذا تكذّبه الروايات الموثوقة عن الشهود الذين اطلعهم الإمام العسكري على ولادة ابنه عليه السلام وأراهم إياه والتي سنراها فيما بعد.

---

(١) ج٢، المبحث الخامس والستون.

ادعاء موت ابن الإمام العسكري عليه السلام:

يقول البرزنجي في كتاب الإشاعة[1]: الاعتقاد أنه (المهدي) محمد بن الحسن العسكري وهو باطل من وجوه..

ثانياً: «فلأن محمد بن الحسن هذا مات وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن...». وقد تابع البرزنجي آخرون منهم الاسفراييني في كتاب «لوائح الأنوار البهية»[2]: «ولكن مسألة استيلاء جعفر أخي الإمام العسكري عليه السلام على إرثه إنما تمت لأن الإمام المهدي وهو محمد الحجة بن الحسن كان متخفياً ولا يستطيع الظهور العلني والمداعاة». أما موت الإمام عليه السلام فلم يستند مدّعوه إلى أي مصدر موثوق. ويكذبه مشاهدة عدد كبير من الناس للإمام فيما بعد.

قول فرق منشقة عن الشيعة بإمامة بعض أبناء الأئمة غير الذين تدين الشيعة بإمامتهم:

لقد زعمت طائفة من شيعة علي ممن سيختلفون عن الإمامية، أن الإمام بعد علي عليه السلام هو ابنه محمد بن الحنفية، وزعمت طائفة ثانية أن الإمام بعد علي بن الحسين هو زيد ابنه وليس الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، وزعمت طائفة ثالثة أن الإمام بعد الصادق عليه السلام ابنه إسماعيل، وزعمت طائفة رابعة أن الإمام بعد الصادق عليه السلام هو ابنه عبدالله الأفطح. وزعمت طائفة خامسة أن الإمام الكاظم لم يمت وأنه هو القائم من آل محمد، أي المهدي عليه السلام، وزعمت طائفة سادسة أن الإمام بعد الحسن العسكري عليه السلام هو أخوه جعفر، الخ...

وباستثناء القائلين بإمامة زيد بن علي بن الحسين وإسماعيل (أو ابنه محمد) ابن الإمام الصادق، فإن الفرق الأخرى اختفت منذ أمد طويل جداً بل هي لم تعمر.

---

(١) محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، «الإشاعة لأشراط الساعة»، طبع عبد الحميد أحمد حنفي، ط١، ١٩٧٠، ص ٨٧.

(٢) الإسفراييني. لوائح الأنوار البهية مطبعة المنار بمصر، ١٣٢٤.

أما الطائفتان المذكورتان الباقيتان فإن الأئمة عندهم توالوا: فأئمة الإسماعيليين في الأسرة الفاطمية وهم لم يكونوا من المعصومين، وكذلك أئمة الزيدية الذين ما زالوا يتوالون دون أثر للعصمة فيهم.

هذا إلى مخالفة دعاوى الجميع للأحاديث المتواترة منذ الرسول عن أن الإمامة بعد الحسين في تسعة من أبنائه وتلك الدالة على كل واحد منهم فليرجع إليها في مظانها.

التشكيك بالأئمة من بعد الرضا:

فقد شكك بعضٌ بإمامة الجواد عليه السلام بعد وفاة والده، لصغر سنه كما شكك بعضٌ بإمامة الجواد والهادي والمهدي للسبب نفسه، ومن هؤلاء اليوم أحمد الكاتب[1]، وقد راح هذا المؤلف يشكك إلى ذلك بصحة الأحاديث عن الأئمة أو الخلفاء الاثني عشر، ثم راح يبحث في معارضتها لقواعد أصول الفقه والمنطق بشكل عام.

أما لجهة الأحاديث فإنها بلغت حد التواتر وقد أشرنا إلى أعداد ما عرف منها، ومن هنا فهي لم تعد «أخبار الآحاد المتضاربة»[2] كما يقول.

ويطرح الكاتب مسألة أخرى فيقول: «أما الروايات التي تذكر اسمه ابن الحسن العسكري صراحة أو خفاء والتي تؤكد أنه المهدي المنتظر، فإنها لم تكن موجودة بين صفوف الشيعة حتى ذلك التاريخ. وقد أكد الشيخ الصدوق عدم وجود النص على الخلف من بعد الإمام العسكري. وقال: لما مات الحسن بن علي (العسكري) لم يظهر النص والخلف بعده، وقد وضعت تلك الروايات واختلقت فيما بعد من قبل الغلاة والكذابين...»[3].

(١) تطور الفكر السياسي الشيعي ـ نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت، ص ٣٠٣ و٣٠٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.
(٣) المرجع نفسه، ص ٣٠٢.

أما مسألة كون أن الغلاة والكذابين هم واضعو تلك الأحاديث فكان على الكاتب إثباته بالأسماء والوقائع ولكنه لم يفعل.

وأما كون الأحاديث لم تكن معروفة وأن الشيخ الصدوق أكد عدم وجود النص، فالرد هو:

أولاً: إن الشيخ الصدوق (علي بن بابويه) أشار إلى الاثني عشر في مقدمة كتابه «الإمامة والتبصرة»، وأما في المتن فإن فصول الكتاب، الذي ينكر أحمد الكاتب احتواءه على التحديد، فهي لم تصل إلاّ إلى إمامة الرضا عليه السلام. وما جاء في المقدمة هو: «ولو كان أمرهم (الأئمة) مهملاً عن العدد وغفلاً، لما وردت الأخبار الوافرة بأخذ الله ميثاقهم على الأنبياء وسالف الصالحين من الأمة. ويدلك على ذلك قول أبي عبدالله (الصادق عليه السلام) حين سئل عن نوح عليه السلام.. هل عرف نوح عددهم؟ فقال نعم وآدم... وأي تأويل يدخل على حديث اللوح وحديث الصحيفة المختومة والخبر الوارد عن جابر في صحيفة فاطمة عليها السلام»[1].

وقد ادعى الكاتب في مكان آخر عدم تطرق النوبختي لعدد الأئمة، والصحيح أن النوبختي، إبراهيم بن نوبخت قد أشار إلى العقيدة الاثني عشرية في كتابه «ياقوت الكلام» حيث يقول: «القول في إمامة الأحد عشر بعده (علي عليه السلام) نقل أصحابنا متواتراً النص عليهم بأسمائهم من الرسول عليه السلام يدل على إمامتهم، وكذلك نقل النص من إمام على إمام...» وأما أن العدد لم يكن مكرّساً، ولا الأسماء قبل القرن الرابع الهجري، فيدحضها ورودهم في كتاب سليم بن قيس الهلالي وهو صحابي، وإذ يشكك الكاتب في نسبة الكتاب إلى سليم بن قيس، فتشكيكه مردود برأي أصحاب كتب الرجال[2]، وأما إذ يقول بأنه لم يكن معروفاً في أيام الأئمة الأحد عشر بعد علي، فيدحضه

(١) علي بن بابويه، الإمامة والتبصرة، ص ١١ و١٢.

(٢) راجع الخوئي، معجم رجال الحديث، وقاموس الرجال للتستري والنعماني في كتاب الغيبة وابن النديم في كتاب الفهرست.

ما روي عن الكتاب في عهود الأئمة، إذ يذكر أحاديثه محمد بن أبي عمير (توفي سنة ٢١٧) وقد عاصر الإمام الكاظم، وحماد بن عيسى (توفي سنة ٢٠٩) وعمر بن أذينة الذي عاصر الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام إذاً قبل القرن الرابع الهجري من جهة وفي عصور الأئمة الأحد عشر بعد علي من جهة أخرى.

وإذ يعكف الكاتب على مسألة صغر الأئمة فيتطرق إلى بحث أصولي يحاول فيه تفنيد موقف الشيخ المفيد.

يدعي المؤلف أولاً أن بعض الأئمة كانوا قاصرين لدى ولايتهم، وأنهم كانوا تحت الوصاية، فيزعم أن الإمام الجواد مثلاً قد أوصى بابنه علي الهادي إلى عبدالله بن المساور، وجعله قائماً على تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق وغير ذلك إلى أن يبلغ علي بن محمد، ويستشهد بالكليني.

وبمراجعتنا للكليني[1] نجد عن لسان خالد مولى أبي جعفر عليه السلام أن أبا جعفر «أشهد أنه أوصى إلى علي ابنه (وليس بعلي ابنه) بنفسه وأخواته... وجعل عبدالله بن المساور قائماً على تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق وغير ذلك إلى أن يبلغ علي بن محمد».

إذاً هو يحرف الكلام الواضح ويجعل الإمام علي بن محمد الهادي موصى به بدلاً من كونه موصى إليه، والفارق بيّن. ثم هو يزعم أن الإمام الحسن بن علي العسكري أوصى بصورة رسمية إلى أمه ولم يشر إلى وجود أي ولد له. ويرجع في هذا إلى النوبختي، ولكن النوبختي لم يقل أن الإمام العسكري أوصى إلى أمه أو أخيه، بل يقول أنهما ورثاه، ووراثة الأم لابنها لا مشكلة فيها سواء كان له ولد أم لم يكن. أما وراثة العم فلا تحصل مع وجود الولد، وقد عرفنا سابقاً أن جعفراً أخا الإمام العسكري انتزع التركة بسبب تخفي الإمام المهدي عليه السلام[2].

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص ٣٢٥.
(٢) النوبختي، فرق الشيعة، المكتبة المرتضوية ـ النجف، ١٣٥٥، ص ٩٦.

وأما ما يسوقه من بحث أصولي فهو يقول فيه: «حاول (الشيخ) المفيد.. أن ينفي حجية العموم (عموم آية الحجر)[1] حتى يسلم من الاتهام، فابتكر بحثاً أصولياً جديداً وقال: أن الخصوص قد يقع في القول ولا يصح وقوعه في عموم العقل، والعقل موجب لعموم الأئمة بالكمال والعصمة، فإذا دل الدليل على إمامة (الجواد والقائم)، وجب خصوص الآية فيمن عداهما بلا ارتياب به ويضيف الكاتب أن الشيخ المفيد يحاول أن يثبت الطبيعة الاستثنائية للأئمة الصغار بناء على موضوع العصمة والإمامة التي لم تثبت بعد[2].

وفي الرد نقول: أن إمامة كل الأئمة قد ثبتت بالدليل العقلي نظراً للحاجة إليهم وبالدليل النقلي بالأحاديث التي بلغت التواتر كما بينا ثم بالممارسة العملية. ومن هنا يمسي ما ينكره هو الواقع الذي يجب إيضاحه، وليس المسألة التي يجب إثباتها. فالشيخ المفيد وغيره من مفكري المذهب يثبتون إمامة الأئمة، لا بنصوص أو روايات «اختلقت فيما بعد من قبل الغلاة والكذابين»، بل بعكس ذلك كما أثبتناه وكما أثبته السلف الصالح من فقهاء المذهب، ثم أنه رداً على التساؤل ودفعاً للاتهامات يعمد الشيخ المفيد والصدوق وغيرهما إلى شرح الموضوع وإثبات عدم مخالفته للنواميس الإلهية وللنصوص.

ومن هنا ولما كانت إمامة الإمامين الجواد والحجة (المهدي) ثابتة، وجب إزالة التعارض بينها وبين ظاهر النصوص بالطرق الأصولية، وليس العكس. كما يصوّر أحمد الكاتب بادعائه أن العصمة والإمامة ليستا ثابتتين بل يجب البرهنة عليهما، والصحيح أنهما ثابتتان، وثبوتهما عرفناه بالإخبار الذي لا طريق غيره لمعرفة هذه الأمور، لأن العقل لا يستطيع أن يثبت أخلاقية أحد أو كفاءته دون الرجوع إلى التجربة الواقعية وهذا ما فعله مفكرو المذهب، فهم استدلوا على إمامة جميع الأئمة بالنصوص من لدن رسول الله ﷺ حتى

(١) الآية ٦ من سورة النساء التي تقول: ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾.

(٢) أحمد الكاتب، مذكور سابقاً، ص ٣٠٤ و٣٠٥.

الإمام الحجة، كما حسمت مسألة العصمة بالإخبار والتجربة، ولما طعن الطاعنون، تصدّى لهم فقهاء الشيعة بالرد والتفنيد، ومن جملته ما ذهب إليه الشيخ المفيد من إزالة التعارض بين آية الحجر وصغر سن الإمام.

أما بالنسبة إلى أعمار الأئمة فقد كانت على التوالي عند وفاة آبائهم عليهم السلام:

الإمام الجواد: بين الثالثة عشرة والرابعة عشر، على أساس أنه عاش بعد أبيه سبعة عشر سنة وأن مجمل عمره كان حوالي ثلاثين أو إحدى وثلاثين سنة، فيكون عمره على ما بيناه إذا بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة.

الإمام الهادي: بين السادسة والثامنة وقد عاش من سنة ٢١٢ (أو ٢١٤) إلى سنة ٢٥٤ فيكون عاش ما بين ٤٠ ـ ٤٢ سنة.

الإمام الحسن العسكري: بين العشرين والثانية والعشرين سنة وعاش حتى سنة ٢٦٠ فكان عمره كاملاً ٢٨ سنة.

الإمام محمد بن الحسن ـ المهدي المنتظر: خمس سنوات وكان بدء غيبته الكبرى سنة ٣٢٩هـ فيما كانت ولادته سنة ٢٥٥هـ فيكون عمره عند بدء الغيبة الكبرى أربعة وسبعين عاماً.

إذاً فإن ما يستشكل فيه أحمد الكاتب وأمثاله هو كون الأئمة الجواد والهادي والمهدي تولوا الإمامة صغاراً، وهو يزعم أن العلامة الحلي قد أكّد في التذكرة اشتراط أن يكون الإمام مكلّفاً وعلّل ذلك بأن غيره مولى عليه في خاصة نفسه فكيف يلي أمر الأمة، وهو ينقل هنا عن المنتظري.

أما المنتظري فيقول، حيث ينقل عنه أحمد الكاتب، إن هناك شروطاً تبلغ أربعة عشر شرطاً: وهي أن يكون مكلّفاً، مسلماً، عدلاً، حرّاً، ذكراً، عالماً، شجاعاً، ذا رأي وكفاية، صحيح السمع والبصر، صحيح الأعضاء، قرشياً، معصوماً، منصوصاً عليه (شيعياً)، أفضل أهل زمانه، منزّهاً عن القبائح والدناءة والرذائل ودناءة الآباء وعهر الأمهات.

ويقول الشيخ منتظري الذي أخذ عنه أحمد الكاتب: «السر في عدم ذكر البلوغ في عداد الشرائط أن موضوع البحث في بعض الكتب عنوان الإمامة، ونحن لا نقول باشتراط البلوغ في الإمام كما لا نقول في النبي لما أشار إليه في الجواهر من نبوة عيسى ويحيى وإمامة الجواد وصاحب الأمر (المهدي المنتظر) وإيتائهم الحكم صبياً»[1] ويشير إلى نقل هذا الكلام عن الجواهر[2].

وهكذا فإن الكاتب يعود إلى التدليس في النقل.

فالجواب إذاً على مسألة الصغر يكمن في أن الله يؤتي، عندما يشاء، الحكم لمن يشاء وهو صبي[3]، فلا ندري لماذا لا يؤتي الحكم إماماً وهو صغير السن.

إما إذا تركنا الجانب الإعجازي فإننا نستطيع القول: أن الإمام الذي توفي والده وهو صبي، كبر وبلغ ما بين ٣٠ إلى ٧٤ سنة وهو يستطيع القيام بأعباء الإمامة. فإنه في هذه الحالة يستطيع عند البلوغ أن يكسب العلم وأن يؤكد ما طرحه وعلّمه في صغره أو ينفيه، ولا نعلم حالة نفى فيها أحد الأئمة في آخر عمره ما كان علّمه في بداية ولايته، ولا أن الإمام الذي تولّى وهو بالغ، بعد الإمام الذي تولّى صغيراً، نقض ما كان طرحه سلفه، كحالة الإمام العسكري بعد الإمامين الجواد والهادي عليهم السلام.

ثم أننا نستطيع الزعم إذا تجاوزنا كل هذا، وعلى سبيل الاستطراد والمجادلة، أنه إذا لم يعد ابن الإمام المرشح للإمامة وهو صغير، إماماً، فإن

---

(١) محمد حسين منتظري، دراسات في ولاية الفقيه، الدار الإسلامية ـ بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ص ٣٧٠.

(٢) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، ج٤٠، ص ١٢.

(٣) سورة مريم الآية ١٢ والتي تقول: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً﴾ والآية ٣٠ التي تقول عن عيسى بن مريم عليه السلام: «قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً» قال ذلك وهو في المهد صبي.

الفراغ الحاصل شبيه بالفراغ الذي يحصل بغيبة الإمام، كما حصل للإمام الثاني عشر كما سنرى، ويمكن أن يكون ذلك تعويداً للأمة على التصدي لمشاكل غيبة الإمام، التي لا يفوت الأمة من الانتفاع فيها من الإمام إلا ما يفوتها من الانتفاع بالشمس إذا غشاها الغمام، كما سنرى فيما بعد.

وأخيراً فإن ما نستطيع تأكيده لكل المشككين وأياً تكن الحجج التي يطرحونها حول أعمار الأئمة وحول إمامتهم وما إليهما، أن الأئمة قادوا أتباع المذهب بكل كفاءة وجدارة واعتُرف لهم بالإمامة، وإن يكن أحياناً بعد لحظة تردّد من بعض الناس، وحملت إليهم الحقوق الشرعية وصرفوها حيث يجب أن تصرف دونما اعتراض من أحد من الشيعة، وكان شأن الأئمة الذين بدأوا صغاراً شأن الأئمة الذين بدأوا كباراً.

أما مسألة التشكيك في ولادة الإمام المنتظر وبوجوده تالياً، فإن الرد عليها، لا يمكن أن يتم بالاستنباط العقلي بل بالمعاينة أو المشاهدة وإفادات الشهود، وهناك عدد كبير ممن شاهدوا ابن الإمام العسكري قبل وفاته وبعدها حتى بلوغه الرابعة والسبعين، وهناك من رآه ويراه بعدها، وهذا ما سنبينه في صفحات لاحقة.

الفصل الثالث: ولادة الإمام المهدي وحياته

ولد الإمام المهدي على أصح الأقوال ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ. وقد ورد هذا في عدد من الأحاديث روتها المصادر المختلفة كالهداية الكبرى وإثبات الهداة والبحار وكمال الدين والعدد القوية وتبصرة الولي وينابيع المودة ومنتخب الأثر والكافي والإرشاد وتقريب المعارف وغيبة الطوسي وإعلام الورى وكشف الغمة والمستجاد والصراط المستقيم وحلية الأبرار وإثبات الرجعة وكشف الحق ووسائل الشيعة والمستدرك وكفاية الأثر وكفاية المهتدي والنجم الثاقب والخرائج وإثبات الوصية وروضة الواعظين وتاريخ الأئمة ومهج الدعوات والفصول المهمة ومدينة المعاجز ونور الأبصار وإحقاق الحق ومنتخب الأنوار المضيئة عن عيسى بن مهدي الجوهري وأبي غانم الخادم وابن بابويه وعمر والأهوازي وابراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري وأبي جعفر محمد بن علي ومحمد بن عبد الجبار، ومحمد بن حمزة بن الحسن بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب وأبي هارون ومحمد بن إبراهيم الكوفي والبشار بن إبراهيم بن إدريس وضوء بن علي وأبي جعفر العمري ومحمد بن علي بن بلال وأبي طاهر البلالي ومعلى بن محمد البصري وعبدالله بن الحسين بن سعد الكاتب وموسى بن جعفر بن وهب البغدادي وأحمد بن محمد بن عبدالله وعيسى بن صبيح وأحمد بن إسحق بن سعد وحمزة بن أبي الفتح وأحمد بن الحسن بن إسحاق القمي وكامل بن إبراهيم المدني وأبي نعيم محمد بن أحمد الأنصاري ويعقوب بن منقوش وأبو هاشم الجعفري ومحمد بن مسعود العياشي[1]

أما الأحاديث المنقولة فهي:

---

(١) راجع معجم أحاديث المهدي(ع) ج٤، ص ٢٢١ ـ ٢٤٥.

ـ قال أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام : هذا جزاء من اجترأ على الله في أوليائه. يزعم أنه يقتلني وليس لي عقب. فكيف رأى قدرة الله عليه؟ وولد له ولد سمّاه م ح م د سنة ستة وخمسين ومائتين.

ـ وقال عليه السلام : «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته ثم يظهره الله فيملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً».

ـ وقال الحسن بن المنذر: جاءني حمزة بن أبي الفتح يوماً فقال لي: «البشارة ولد البارحة في الدار مولود لأبي محمد عليه السلام وأمر بكتمانه»، قلت وما اسمه؟ قال: سمي بمحمد وكني بجعفر.

ـ وكتب أبو محمد لأحمد بن الحسن بن إسحق القمي: «ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فأنا لم نظهر عليه إلاّ الأقرب لقرابته والولي لولايته، أحببنا إعلامك ليسرك الله به مثل ما سرنا به والسلام».

ـ وسأل يعقوب بن منقوش أبا محمد قائلاً: سيدي من صاحب هذا الأمر؟ فقال: «ارفع الستر» فرفعته. فخرج إلينا غلام خماسي... ثم قال لي: هذا صاحبكم».

ـ وسأل أبو هاشم الجعفري أبا محمد: سيدي هل لك ولد فقال: «نعم» فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة».

ـ وقال أبو غانم الخادم: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث وقال: «هذا صاحبكم بعدي».

ـ حدث محمد بن عبد الجبار قال: قلت لسيدي الحسن بن علي عليه السلام : يا ابن رسول الله، جعلني الله فداك: أحب أن أعلم من الإمام وحجة الله على عباده بعدك؟ فقال عليه السلام : «إن الإمام وحجة الله بعدي ابني، سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيّه الذي هو خاتم حجج الله وآخر خلفائه...».

ـ وقال محمد بن حمزة بن الحسن بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب سمعت أبا محمد عليه السلام يقول: «ولد ولي الله وحجته على عباده وخليفتي من بعدي مختوناً ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر».

ـ وقال محمد بن علي بن بلال: «خرج إلي من أبي محمد قبل مضيه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده. ثم خرج إلي من قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده».

غيبة الإمام بعد الولادة:

خلافاً لما زعمه أحمد الكاتب ومن تأثر بهم، فقد أخبر بغيبة الإمام المنتظر الأئمة السابقون بأحاديث مستفيضة بلغت العشرات تتحدّث عن غيبة بشكل عام، أو تحدّد الأمر بغيبتين دونما تفصيل أو تتحدث عن غيبة قصيرة وغيبة طويلة.

أما سبب الغيبة فهو ظلم الحكام وتضييقهم ومحاولتهم قتله، وقلة ناصريه، ذلك أن الإمام لا يقوم بالأمر إلاّ إذا توفرت النصرة وذلك حسب قول علي عليه السلام في مناسبات عديدة منها ما ورد في خطبته الشقشقية حيث يقول: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذه الله على العلماء ألاّ يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أوّلها»[1] وذلك بناء على وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي القائلة: «إن اجتمعوا عليك فاصنع ما أمرتك (من القيام بالأمر) وإلا فألصق كلكك بالأرض»[2]، ذلك أن الإمام لا يدعو إلى نفسه بل هو علم منصوب من الله يأتيه الناس ولا يأتي الناس[3].

على أن الغيبة ليست غريبة على العقائد الدينية السماوية، فالمسيح عليه السلام غاب غيبة طويلة وما زال. وغيره غاب، وفي الإسلام ليست مسألة الغيبة غريبة

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الرشاد الحديثة، م١، ج١، ص ٦٨.
(٢) المرجع نفسه، م٤، ج٤، تكملة ص ٥٦٣.
(٣) الحر العاملي وسائل الشيعة، م٤، ج٢، ص ٢١٥.

بـدليل تعدد المذاهب القائلة بها مما يؤكد وجود أصل لها في العقيدة الإسلامية، فعمـر بن الخطاب قال عند وفاة الرسول ﷺ: أنه غاب وسيعود[1]. كما أن فرقاً كثيرة من المسلمين قالت بغيبة أئمتها وأن كلاً منهم هو القائم المهدي وسيعود. فـالكيسـانيـة زعمت أن محمـد بـن الحنفية غاب ولم يمت وأنه سيقوم في اخر الزمان. والجارودية زعمت أن محمد بن عبدالله بن الحسن هو الإمام الذي يغيب ثم يقوم. والناووسية زعمت أن الإمام الصادق عليه السلام لم يمت وأنه القائم الذي سيظهر في آخر الزمان، والقرامطة والواقفية والإسماعيلية زعمت أن الإمام الذي غاب وسيقوم في آخر الزمان هو إسماعيل بن الإمام الصادق أو ابنه محمد. والمغيرية زعمت أنه محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب..[2].

كل هذا يدلّ على أن فكرة الغيبة كانت فكرة مألوفة في الفكر الإسلامي، إلاّ أن الغلط وقع حول من سيكون الإمام الغائب.

وإذا حـاول بعضهم أن يستخلـص من هذه الفوضى أن الفكرة مستوردة وغـريبـة عـن الإسـلام، فـإنـه يشكـك بكـل الذين آمنوا بها وفيهم من العلماء والعابدين والزاهدين الذين تعج بأسمـائهـم كتب التاريخ والسير والفرق وممن يتحرجون ويحتاطون.

وهكـذا فـإننـا نستطيع أن نقرر أن الأحاديث الواردة حول الغيبة أحاديث صحيحة أو مستندة إلى أساس صحيح، وبالتالي يمكن اعتمادها بعد التمحيص، ومـن أوجـه هـذا التمحيص متابعتها حيث استقرت لا حيث بادت وتراجع عنها أصحابها أو انقرضوا دون أن يتمسك بها أحد، وفيما يلي سنتابع هذه الأحاديث.

الأحاديث في الغيبة على وجه عام:

تجاوزت هذه الأحاديث المئة حديث، وممن رووها:

---

(١) ابن هشام «السير النبوية»، دار الجيل، ج٤ ص ٢٢٤ وتاريخ الطبري ٢/ ٤٤٢.

(٢) راجع النوبختي، فرق الشيعة، دار الأضواء، ط٢، ١٩٨٤، ص ٢٦ ـ ٦٧. والشهرستاني، الملل والنحل، دار السرور، ط١، ١٩٤٨، ص ٢٣٥ ـ ٢٩٥.

عن النبي ﷺ: جابر بن عبدالله الأنصاري، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن عباس، وعمار بن ياسر.

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام: شريح بن هانىء بن شريح المكي، وعمرو بن سعد وأبو عيسى عبدالله العلوي، وفرات بن الأحنف، وكميل بن زياد، ومحمد بن الحسن المرزباني، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والأصبغ بن نباتة.

وعن الحسن بن علي عليه السلام: أبو سعيد عقيص، والحسن بن الحسن.

وعن الحسين بن علي عليه السلام: إسماعيل بن عبدالله، وعبد الرحمن بن ثابت، ويحيى بن نعمان.

وعن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: سعيد بن جبير وثابت الثمالي، وأبو خالد الكابلي، وعمرو بن ثابت.

وعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: إبراهيم بن عمرو الكناسي، وأبو خالد الكابلي، وأبو بصير، وأبو الجارود، وجابر بن عبدالله، والحسن، وزيد الكناسي، وعبد الملك بن أعين، وعلي بن أحمد العلوي الموسوي، ومحمد بن مسلم الثقفي الطحان، ومعروف بن خربوذ وأم هانئ الثقفية.

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إبراهيم بن عمر اليماني، وإبراهيم الخارطي، وأبو بصير، وإسحق بن عمار، وحازم بن حبيب وحزام بن أحنف، وإسماعيل بن محمد الحميري، وزرارة، وسدير الصيرفي، وصالح بن محمد بن اليمان، وصفوان بن مهران الجمال، وعبدالله بن أبي يعفور، وعبدالله بن سنان، وعبدالله بن المفضل الهاشمي، وعبدالله بن زرارة، وعمار الساباطي، ومحمد بن مسلم الثقفي الطحان، ومسعدة بن صدقة، ومعاوية بن حكيم، ومعاوية بن وهب، والمفضل بن عمر الجعفي، وهانىء اليماني التمار، وهشام بن سالم، وميمون الصايغ، وغياث بن إبراهيم.

وعن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام : أيوب بن نوح، وداود بن كثير الرقي، وصالح بن السندي، وعلي بن جعفر بن محمد، ومحمد بن زياد الأزدي، ويوسف بن عبد الرحمن.

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام : دعبل بن علي الخزاعي، والحسن بن علي بن فضال، والحسن بن قياما الصيرفي، والريان بن الصلت، وعلي بن جعفر بن محمد، وأبو الصلت الهروي، وعبد العظيم الحسني.

وعن الإمام محمد بن علي الجواد التقي عليه السلام : الصقر بن أبي دلف، وعبد العظيم الحسني، ومحمد بن الفضل،

وعن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام : أيوب بن نوح، وعبد العظيم الحسني، وعلي بن مهزيار، وعلي بن محمد بن زياد الصيمري.

وعن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام : أحمد بن إسحق بن سعد، وأبو جعفر، وأحمد بن هلال، والحسن بن أيوب بن نوح، وداود بن القسم الجعفري، والحسن بن محمد بن صالح البزاز، وسعد بن عبدالله القمي، وعلي بن بلال، وعلي بن محمد بن سيار، وعثمان العمري، ومحمد بن أيوب بن نوح، ومحمد بن عثمان العمري، ومحمد بن معاوية بن حكيم، وموسى بن جعفر بن وهب البغدادي، ويوسف بن محمد بن زياد، ومحمد بن صالح البزاز، ومحمد بن عبد الجبار.

كل هذا بالإضافة إلى سفراء المهدي عليه السلام الأربعة وسائر من شاهده عليه السلام وإلى إعلانه لهم عن حال غيبته وشروط قيامه.

وقد حوى أحاديث الغيبة عدد كبير من الكتب منها: نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، والمحاسن للبرقي (ت سنة ٢٧٤) والغيبة (للنعماني ـ القرن الرابع) والكافي (لمحمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩) وكمال الدين (للشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه ت سنة ٣٨١) والخصال (للشيخ الصدوق) وعيون أخبار الرضا (للصدوق) وعلل الشرائع (للصدوق) وإثبات

الوصية (للمسعودي صاحب مروج الذهب ت ٣٣٣) والإرشاد (للشيخ المفيد ت سنة ٤١٣) والأمالي (للمفيد) والغيبة (للطوسي ت سنة ٤٦٠) ومصباح المتهجد (للطوسي) والأمالي (للطوسي) وكفاية الأثر (للخزاز الرازي القمي) ودلائل الإمامة (محمد بن جرير الطبري) وبشارة المصطفى (محمد بن أبي القاسم الطبري) والخرايج (سعيد بن هبة الله الراوندي ت سنة ٥٧٣) والمناقب (ابن شهراشوب ت سنة ٥٨٣) وأعلام الورى (الفضل بن الحسن بن الفضل ت سنة ٥٨٤) والملاحم (ابن طاوس ت سنة ٦٦٤) وكشف اليقين (حسن بن يوسف العلامة ت سنة ٧٢٦) وكشف الغمة (علي بن عيسى الإربلي) والمحتضر (حسن بن سليمان الحلي الشهيد الأول) البحار (المجلسي ت سنة ١١١٠) ومرآة العقول (للمجلسي) وغاية المرام (السيد هاشم البحراني ت سنة ١١٠٧) والمحجة (للبحراني) وأربعون الخاتون آبادي وكشف الحق (محمد صادق الأصفهاني ١٢٧٢) ومستدرك وسائل الشيعة (ميرزا حسين النوري ت سنة ١٣٢٠) وكشف الأستار (للنوري) وإلزام الناصب (علي اليزدي الحائري ت سنة ١٣٣٣) وبشارة الإسلام (مصطفى الكاظمي ت ١٣٣٦) وتنقيح المقال (عبدالله المامقاني ت سنة ١٣٥١) وإثبات الهداة (للحر العاملي ت سنة ١١٠٤) والاختصاص (للشيخ المفيد) وأمالي الشجري (يحيى بن الحسين الشجري ت سنة ٤٧٩) والإمامة والتبصرة (علي بن الحسين القمي ت سنة ٣٢٩) والإيقاظ من الهجعة (للحر العاملي) والبرهان (للمتقي الهندي ت سنة ٩٧٥) وبصائر الدرجات (محمد بن الحسن الصفار القمي ت سنة ٢٩٠) وتاريخ بغداد (للخطيب البغدادي ت سنة ٤٦٣) وتحف العقول (للحراني من أعلام القرن الرابع) وتذكرة الخواص (سبط بن الجوزي ت سنة ٦٥٤) والتفسير الكبير (للرازي سنة ٦٠٦) وجمع الجوامع (للسيوطي ت سنة ٩١١) وحلية الأولياء (أبو نعيم الأصفهاني ت سنة ٤٣٠) والخصال (محمد بن علي بن الحسين القمي) والرسائل (للشيخ المفيد) وروضة الواعظين (محمد بن القتال النيسابوري سنة ٥٠٨) والصراط المستقيم (زين الدين النباطي سنة ٨٧٧) وصفات الشيعة (الشيخ الصدوق) وصفة الصفوة (أبو الفرج الجوزي ت ٥٩٧) والعدد القوية (علي بن يوسف المطهّر الحلي من أعلام

الـقرن الثامن) والعقـد الفريد (ابن عبد ربه) والعوالم (عبدالله البحراني) والعلم للمـرهبـي) والغـارات (للثقفـي ت سنـة ٢٨٣) والغيبة (ابن شـاذان النيسابوري ت سنة ٢٦٠) وقصص الأنبياء (ابن إسحاق الثعلبي ت سنة ٤٢٧) وكفاية الأثر (الخـزاز القمـي مـن علمـاء القـرن الرابع) ومطالب السؤول (محمد بن طلحة القرشي الشافعي ت سنة ٦٥٢) ومقتضب الأثـر (ابن عيـاش الجوهري ت سنة ٤٠١) والمنـاقـب (للخـوارزمـي ت سنة ٥٦٨) ومنتخـب الأثر (للكلبايكاني) ووسائل الشيعة (للحـر العاملي) وينـابيـع المـودة (القندوزي الحنفي ت سنة ١٢٩٤) وتـاريـخ اليعقـوبـي وتقـريـب المعـارف وتفسير العسكري والإنصاف وتهذيب اللغـة وقوت القلوب ومنتخب الأنوار المضيئة ومنية المريد والمشيخة ونور الثقلين.

وقد مـر بنـا كلام العهد الجديد عن التنين الذي كان ينتظر ولادة المولود الـذكـر للمـرأة المتسربلة بالشمس، والذي اختطف إلى الله وإلى عرشه (الرؤيا ١٢/ ١ ـ ٧) وهذا يدل على الغيبة.

جدوى الإمام الغائب:

تساءل بعضهم عن ضـرورة الإمـام الغـائب وعما يمكن أن يؤديه للأمة، وقـد عـاب هـؤلاء علـى الشيعـة قـولـهـم بـأنـه لا بد من إمام كي تستقيم أمور المسلمـيـن، ثـم قـولـهـم بغيـاب الإمام، فإذا كان وجود الإمام ضرورياً ليبلّغ أحكام الله في كل ما يستجد من ظروف وليشرح ما بُلّغ بالطريقة الصحيحة، فإن الغيبة تكشف تهـافت هذه النظرية، لصالح النظرية التي تقول بأن الأمانة تركت في عهدة المسلمين كلاً، فهم قادرون على الاختيار لأنفسهم.

يقول القاضي عبد الجبار في كتاب «المغني»: «... إذا لم يظهر الإمام حتـى يـزول النـقص به، يكـون الحـال فيـه كالحال ولا حجة في الزمان، لأن النقص لا يزول بوجود الإمام، وإنما يزول بما يظهر منه ويعلم من قبله»[1].

(١) القاضي عبد الجبار، المغني ٢٠، ق ١/ ٥٧.

ويقول التفتازاني في شرح المقاصد: «.. لأن اختفاء الإمام هذا القدر من الأنام، بحيث لا يذكر منه إلا الاسم، بعيد جداً، ولأن بعثه مع هذا الاختفاء عبث، إذ المقصود من الإمامة صون الشريعة وحفظ النظام ودفع الجور ونحو ذلك. ولو سلم فكان ينبغي أن يكون ظاهراً لا يظهر دعوى الإمامة كسائر الأئمة من أهل البيت ليستظهر به الأولياء وينتفع به الناس»[1].

ولكن هذين الموقفين ينطلقان من فهم ناقص لموضوع الإمامة كما حدده رسول الله ﷺ. الذي بيّناه، حيث قال لعلي عليه السلام أن الإمام علم منصوب وعلى الناس أن تأتيه، وقد فسّر الإمام علي الإتيان بالنصرة كما في خطبته الشقشقية التي أشرنا إليها سابقاً.

غير أن الإمام إذا لم يقم بالأمر لسبب خارج عن إرادته، لا يسقط من الإمامة بدليل قول الرسول ﷺ عن الحسن والحسين عليهما السلام: «ولداي هذان إمامان إن قاما أو قعدا».

وهكذا فإن الإمام الذي يقعد عن القيام بالأمر مرغماً لا يفقد إمامته، وكذلك إذا اضطر إلى التخفي والعمل السري يبقى إماماً، لأن الله لا يخلي أرضه من حجة على عباده، والحجة تقوم بوجود العارف بأحكام الله، المطمأن إليه، وهو الإمام الذي لا يأتيه الخطأ من بين يديه ولا من خلفه.

أما لماذا ينصب الإمام بعد أن بيّن الله أحكامه في الرسالة الخاتمة، فهو أن الله الرحمن الرحيم الرؤوف بعباده الآخذ على نفسه تسهيل سبيل الهداية لهم، قضى أن ينصب لهم الإمام لهذا الغرض، فنصب الإمام لطف من الله. فإذا تنكروا له، يكون الله قد أقام عليهم الحجة، ويكونوا هم المسؤولين عن إضاعة فرصة الاستفادة من قيام الإمام بالأمر.

لهذا فإن الإمام إذا توفرت له النصرة يقوم بالأمر، كما فعل علي عليه السلام عند «انثيال الناس» عليه لمبايعته، وهو يقوم حتى ولو كانت النصرة مشكوكاً

(١) التفتازاني، شرح المقاصد، طبع ١٢٧٧، ص ٧١٢.

بـدوامها كما فعل الحسين عليه السلام. أما إذا انعدمت النصرة، فيقعد عن القيام بالأمر كما فعل الحسن عليه السلام بعد أن خذل. وكما فعل الأئمة عليهم السلام بعده.

أمـا إذا تعـرضت حيـاة الإمـام للخطر الداهم فيمكن أن يلجأ إلى العمل السري، وتزداد درجة السرية بزيادة درجة الخطورة وصولاً إلى الغيبة.

ولكن الغيبة لا تثبت عدم الحاجة إلى الإمام، بدليل ما يتخبط فيه الناس اليوم دون إصابة وجه الحق، الأمر الذي دفعهم إلى التشبث بالظنون في الكثير مـن المـواقف الشـرعيـة. أمـا المسؤول عن التخبط هذا فهو من فوّت الفرصة عليهم للاستفادة من الإمام. وهذا ما يذهب إليه الشريف المرتضى في ردّه على قاضي القضاة حيث يقول: «... إذا لم يظهر الإمام لإخافة الظالمين له ولأنهم أحوجـوه إلـى الغيبـة، كـانت الحجة في فوت المصلحة به عليهم، فكانوا هم المانعين أنفسهم من الانتفاع به»[1].

علـى أن الانتـفاع بالإمام في غيبته ليـس منعدماً ولكنه محدود، وقد سئل عـن ذلـك فـأجـاب كمـا كان الإمام الصادق[2] أجاب، وذلك بقوله: «... كانتفاع الناس بالشمس إذا غيبها السحاب»[3].

الغيبتان:

مرّت غيبة الإمام عليه السلام بطورين: الطور الأول استمرّ منذ وفاة أبيه الحسن ابـن علـي العسكري في ١٨ ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ واستمر حتى سنة ٣٢٩هـ وسمّي «الغيبة الصغرى»، والطور الثاني بدأ سنة ٣٢٩هـ وما زال مستمراً ويسمى «الغيبة الكبرى». وقد أكّدت المصادر التي أشرنا إليها حصول الغيبتين كما نسبت بعض الفرق الغيبتين إلى أناس آخرين، مما يعزز الإيمان بكونهما منصوصاً عليهما قبل انشقاق تلك الفرق كالإسماعيلية التي انشقت بعد الإمام الصادق عليه السلام.

---

(١) الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، مؤسسة الصادق ـ طهران، ١٤١٠، ج١، ص ١٤٥.
(٢) راجع ينابيع المودة، ص ٤٧٧.
(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص ٢٨٤.

طفولته في ظل أبيه:

لقد حرص الإمام العسكري على أن تعرف خاصته أنه رزق ولدا يتولى الإمامة بعده، لكن كان حذراً أشد الحذر من أن تطاله يد السلطة العباسية، وهي التي عرفت الأحاديث حول ما سيجري لها قبل ظهوره وأنه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهي السلطة المتجبرة الظالمة.

فقد عرض الإمام ابنه على أصحابه بعد ولادته وكانوا أربعين رجلاً منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح[1]. كما عرضه قبيل وفاته على أربعين من أصحابه بينهم معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري[2]، كما عرضه بشكل إفرادي على بعض أصحابه والسائلين عنه، ومنهم كامل بن إبراهيم المدني المعروف بصناعة[3] وعمرو الأهوازي[4] وأبو هارون[5] ويعقوب بن منقوش[6] ورجل من أهل فارس قدم لخدمته[7] وأحمد بن إسحق بن سعد الأشعري[8] وإبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري[9] كما أخبر عن ولادته نيفاً وسبعين رجلاً من أهل السواد دون أن يعرضه عليهم[10].

---

(١) راجع، الطوسي: الغيبة مذكور سابقاً، ص. .

(٢) إكمال الدين، مذكور سابقاً، ٢/ ٤٠٧.

(٣) راجع الهداية الكبرى، مذكور سابقاً، ص ١٧. وإثبات الوصية، مذكور سابقاً، ص ٢٢٢. ودلائل الإمامة، مذكور سابقاً، ص ٢٧٣. وغيبة الطوسي، مذكور سابقاً، ص ١٤٨.

(٤) الكافي، ١/ ٣٢٨، الإرشاد للمفيد، ص ٣٤٩، وغيبة الطوسي، ص ١٤٠.

(٥) إكمال الدين، ٢/ ٤٣٤. وغيبة الطوسي، ص ١٥٠.

(٦) راجع إكمال الدين، مذكور سابقاً، ٢/ ٤٠٧.

(٧) الكافي، ١/ ٣٢٩، وأكمال الدين، ٢/ ٤٣٥، وغيبة الطوسي، ص ١٤٠، وينابيع المودة، ص ٤٦١.

(٨) غيبة الطوسي، ص ١٥١.

(٩) إثبات الهداة: ٣/ ٧٠٠، وكشف الحق، ص ٤٤. ومستدرك الوسائل، ١٢/ ٢٨١. ومنتخب الأثر، ٣٥٣.

(١٠) الهداية الكبرى، ص ٦٨.

وكان الإمام العسكري يحرص دائماً على التذكير بعدم إفشاء السر كما يحرص على إخفاء ابنه عن كل من يمكن أن يشي به للسلطة، التي كانت تراقب بيت أبي محمد بوسائلها يومذاك وتتجس عليه وتحاول التأكد من حمل أية امرأة في بيته، كما كبسته عدة مرات[1].

الغيبة الصغرى:

في هذه الغيبة لم ينقطع اتصال الإمام بشيعته بشكل نهائي حيث اعتمد على السفراء بينه وبينهم، وقد اتخذ هؤلاء السفراء الوكلاء للاتصال بالأقاليم، وقد تمكن البعض، بمعاونة هذا السفير أو ذاك من رؤية الإمام، على أن السفارة لم تكن جديدة بالنسبة إلى الأئمة، فقد عرفها من سبقوا الإمام المنتظر منذ الهادي عليه السلام مروراً بالعسكري عليه السلام وصولاً إلى الإمام المهدي عليه السلام. كما أن هذا النمط من العمل السري عرفه الإسلام في حركاته السرية كالفاطميين والقرامطة وغيرهم[2]. أما السفراء المجمع على سفارتهم فهم:

١ ـ الشيخ أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري(ر): وقد نصبه الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام [3] ثم الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وكان العمري أسدياً يتجر بالسمن فسمي بالسمان.

وقد زكّاه الإمام الهادي عليه السلام ومدحه قائلاً فيه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعني يقوله وما أداه إليكم فعني يؤديه[4]. كما مدحه الإمام الحسن بن علي بقوله: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي

(١) راجع إكمال الدين، ٢/٤٧٣، ومنتخب الأنوار المضيئة، ص ١٥٩، والإرشاد للمفيد، ص ٣١٩ و٣٢٤ وأعلام الورى، ص٣٦٠. والخرايج والجرايح، ص ١٦٤. وإكمال الدين.

(٢) راجع المؤلفات الخاصة بهم ومنها د. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٥، ٢/ ١٢ و ٣/ ١٩٥.

(٣) غيبة الطوسي، ص ٢١٥.

(٤) المرجع نفسه.

في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله وما أدّى إليكم فعني يؤدي[1]، كما زكّاه في مجلس ضم أربعين رجلاً من خاصته[2].

أما ما هي ضرورة الوكيل بالنسبة للإمامين الهادي والعسكري، فهي أن العباسيين غالباً ما كانوا يراقبونهما لمعرفة من يتصل بهما من شيعتهما في الآفاق ومن يحمل إليهما الحقوق الشرعية، لهذا فإن الوكيل يتسلم هذه الحقوق ويخبئها ثم يأتي بها سراً للإمام.

وبعد وفاة أبي الحسن العسكري عليه السلام يبقى العمري سفيراً للإمام المهدي عليه السلام الذي أكّد سفارته في غير مناسبة وأثنى عليه بقوله معزياً ابنه محمد بوفاته: عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه وموالية عليهم السلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقرّبه إلى الله عز وجل وإليهم. نضّر الله وجهه وأقاله عثرته». وبقوله: «رزئت ورزئنا وأوحشك فراقه وأوحشنا فسّره الله في منقلبه..»[3].

فقام بالمهمة خير قيام حيث شكل صلة الوصل بين شيعة الإمام والإمام، يحمل إليه مشاكلهم وأسئلتهم والأموال الشرعية، ويحمل إليهم أجوبته وفتاواه وتعاليمه. وقد استمرت سفارة أبي عمرو حوالي عشر سنوات أو أكثر قليلاً. ولما توفي أبو عمرو دفن في بغداد وما زال قبره معروفاً فيها يزوره الناس للتبرك.

٢ ـ الشيخ أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري (ر): تولى السفارة بعد أبيه. وقد أشار باعتماده الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري في حديثه للنفر اليمنيين الذين زكّى أمامهم أباه عثمان بن سعيد بقوله: واشهدوا علي أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأن محمداً ابنه وكيل

(١) المرجع نفسه.
(٢) المرجع نفسه، ص ٢١٧ وقال لهم: فاقبلوا من عثمان ما يقول وانتهوا إلى أمره.
(٣) غيبة الطوسي، ص ٢١٩ والاحتجاج، ٢/ ٤٨١، والخرائج، ٣/ ١١١٢، ومنتخب الأنوار المضيئة، ص ١٢٨.

ابـني مهـديكـم»[1] كمـا شهـد بـوثـاقتـه لأحمد بن إسحاق (أبي علي) بقوله: «العمـري وابنه ثقتان، فما أديا إليك فعني يؤديان وما قالا فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فهما الثقتان المأمونان»[2].

هذا وقد زكّاه الإمام المهدي عليه السلام في غير مناسبة، فقد خرج من عنده كتاب يقـول: «لم يزل ثقتنا في حياة الأب (ر) يجري عندنا مجراه ويسدّ مسدّه وعـن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل تولاّه الله...»[3]. كما قال في كتاب آخر عنه «فإنه ثقتي وكتابه كتابي»[4].

وقـد اضطلـع بمسـؤوليـة السفارة حوالي الأربعين سنة، حيث توفي سنة ٣٠٤ أو ٣٠٥هـ[5]، وهكذا فكان أطول السفراء سفارة، وكان بالتالي أكثرهم خدمة لأبناء الطائفة.

٣ ـ الشيـخ أبـو القـاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، من بني نوبخت، وقد طلب إلى أبي جعفر العمري أن يشير إليه قبل وفاته إمام رهط من وجوه الشيعة، على أنه «القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام والـوكيـل والثقـة الأميـن، فـارجعوا إليه في أموركم وعوّلوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلّغت»[6].

وكـان أبـو القـاسـم قـد عمـل وكيـلاً لأبي جعفر ـ السفير الثاني ـ وكان خصيصاً به. وقد أكد الوصايـة له أيضـاً قبـل موته بقوله: أمرت أن أوصي إلى أبـي القـاسـم الحسيـن بـن روح[7]. وكـان قـد بـدأ تحـويـل الأموال إليه قبل

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٦.
(٢) المرجع نفسه، ص ٢١٩.
(٣) غيبة الطوسي، ص ٢٢٠.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) غيبة الطوسي، ص ٢٢٣، والكامل لابن الأثير، ١٥٩/٦، وابن الوردي، ١/ ٢٥٥.
(٦) غيبة الطوسي، ص ٢٢٧.
(٧) المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

موته بسنتين أو ثلاث وقد أكّد الإمام المهدي عليه السلام سفارة أبي القاسم في كتاب جاء فيه: «نعرّفه عرّفه الله الخير كله ورضوانه وأسعده بالتوفيق، وقفنا على كتابه وثقتنا بما هو عليه، وأنه عندنا بالمنزلة والمحل اللذين يسرانه، زاد الله في إحسانه إليه أنه ولي قدير». وكان تاريخ الكتاب يوم «الأحد لست خلون من شوال سنة خمس وثلاثمائة»[1].

وقد لاذ أبو القاسم في سفارته بالسرية (التقية) إلى أبعد الحدود، واستمر في مهماته حتى سنة ٣٢٦[2] وقبره اليوم في بغداد معروف ويزار.

٤ ـ **الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري أو السيمري أو الصيمري**، وكان من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام[3] تولّى السفارة بعد وفاة أبي القاسم عام ٣٢٦ وتوفي سنة ٣٢٩، فاستمر ثلاثة أعوام وكانت سفارته في ظروف مضطربة شديدة الخطورة[4]، وبوفاته انقطعت السفارة بين الإمام وشيعته وبدأت الغيبة الكبرى التي ستستمر إلى أن يأذن الله، بعد أن يكون العالم قد امتلأ بالجور والظلم ليملأه بالعدل والقسط.

وقد أعلن انتهاء السفارة في كتاب أرسله الإمام عليه السلام قبل وفاة السمري بأيام يقول فيه: «.. ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله ـ تعالى ذكره ـ وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً»[5].

ولأبي الحسن السمري مزار معروف اليوم في بغداد.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢٧.
(٢) رجال الطوسي، ص ٤٣٢، وكشف الغمة: ٣/ ٢٠٧.
(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٨.
(٤) راجع الكامل في التاريخ، ص ٢٦٣ ـ ٢٨٢.
(٥) غيبة الطوسي، ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣.

الوكلاء

لم يكن السفراء يستطيعون الوصول إلى كل أنصار الإمام في مختلف أصقاع العالم الإسلامي، لذلك فقد اتخذوا الوكلاء لتسهيل هذه المهمة. وكان من الوكلاء:

- في بغداد: حاجز بن يزيد الملقب بالوشا[1]. أبو طاهر محمد بن علي بن بلال[2]، وكان وكيلاً صالحاً في البداية ثم يذكر أنه انحرف[3]. والعطار[4].

- في الكوفة: العاصمي[5] ولم تعرف بقية ترجمته.

- في الأهواز: إبراهيم بن مهزيار وابنه محمد بن إبراهيم الذي وجه إليه الإمام رقعة جاء فيها: «أقمناك مقام أبيك فاحمد الله»[6].

- في قم: أحمد بن إسحق بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري (أبو علي القمي) الذي عده الإمام العسكري ثقة وبشّره بولادة المهدي عليه السلام[7].

- في همدان: محمد بن صالح بن محمد الهمداني الدهقان، الذي كان صالحاً، ويقال أنه غلا في آخر عمره فلعنه الإمام[8]. وقيل أن الذي لعنه (باسم الدهقان) غيره والله أعلم.

- في الري: الشامي وهو غير معروف الترجمة ومحمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي الرازي (أبو الحسين)، والكوفي وكان ثقة إلاّ أنه روى عن الضعفاء ورمي بالجبر والتشبيه[9].

---

(١) الإرشاد للمفيد: ص ٣٣٣.
(٢) رجال الكشي، ص ٤٨٥.
(٣) غيبة الطوسي، ص ٢٤٥.
(٤) انظر إكمال الدين.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) غيبة الطوسي، ص ١٧١.
(٧) المرجع نفسه، ص ٢٥٨.
(٨) جامع الرواة، ٢/ ٤٤٧.
(٩) رجال النجاشي، ص ٢٨٩.

ـ في آذربيجان: القاسم بن العلا (أبو محمد) وقد أصيب بالعمى في أواخر أيامه[1].

ـ في نيسابور: محمد بن شاذان بن نعيم النعيمي النيسابوري[2] وقد ورد التوقيع بشأنه أنه «رجل من شيعتنا أهل البيت»[3].

وإلى هؤلاء يمكن ذكر: محمد بن حفص بن عمرو أبو جعفر[4] والحسين ابن علي بن سفيان بن خالد بن سفيان وأبو عبدالله البزوفري[5] وأحمد بن اليسع ابن عبدالله القمي[6]. وأيوب بن نوح بن دراج النخعي (أبو الحسين)[7].

ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء الوكلاء الشيخ الحسين بن روح، السفير الثالث، قبل توليه السفارة.

قيادة الإمام في زمن الغيبة:

لقد نقلت المؤلفات المختلفة توجيهات الإمام في غيبته الصغرى ودعواته إلى جانب فتاواه في القضايا المختلفة، وسنقف قليلاً عند هذه الفتاوى لنبيّن إسهام الإمام في مسائل الشريعة شرحاً واستنباطاً، ومن أهم الأمور التي أفتى فيها المهدي عليه السلام بواسطة سفرائه ووكلائه:

ـ الرد على الغلو: فرداً على سؤال يقول هل صحيح أن الله فوّض إلى الأئمة الخلق والرزق؟

يجيب الإمام عليه السلام: «إن الله هو الذي خلق الأجسام وقسّم الأرزاق، لأنه ليس بجسم ولا حال في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم،

(١) جامع الرواة، ١٩/٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٠.
(٣) اعلام الورى، ص ٤٢٤.
(٤) رجال الكشي، ص ٤٤٧.
(٥) غيبة الطوسي، ص ١٨٧.
(٦) رجال الكشي، ص ٤٦٧. والغيبة للطوسي، ص ٢٥٨.
(٧) انظر رجال النجاشي، ص ٨٠.

وأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم»[1].

وعلى سؤال حول معرفة الأئمة الغيب ومشاركتهم الله في ملكه، يرد الإمام عليه السلام:

«... ليس نحن شركاءه في علمه ولا قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه... وأنا وجميع آبائي الأولين... والآخرين... عبيد لله عز وجل.. قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه، فأشهد الله الذي لا إله إلا هو وكفى به شهيداً ورسوله محمداً صلى الله عليه وآله وملائكته وأنبياءه وأولياءه عليهم السلام وأشهدك، وأشهد كل من سمع كتابي هذا، أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول أنا نعلم الغيب ونشاركه في ملكه، أو يحلنا محلاً سوى المحل الذي رضيه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدّى بنا عما قد فسّرته لك وبينته في صدر كتابي...»[2].

وإذاً فمن هم الأئمة؟

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الذي يجب عليكم ولكم أن تقولوا: إنّا قدرة الله وأئمة وخلفاء الله في أرضه، وأمناؤه على خلقه، وحججه في بلاده، نعرف الحلال والحرام ونعرف تأويل الكتاب وفصل الخطاب»[3].

ومن هنا فإن من يزعم بأن «الحسين عليه السلام لم يقتل فكفر وتكذيب وضلال»[4].

ـ وأما عن تصرّف شيعة أهل البيت إبان الغيبة، فإن الإمام يوضح طريقه بالقول: «وأما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم»[5].

---

(١) غيبة الطوسي، ص ١٧٨.
(٢) الاحتجاج، ٢/ ٤٧٣.
(٣) العياشي، ١/ ١٦.
(٤) إكمال الدين، ٢/ ٤٨٣. وغيبة الطوسي، ص ١٧٦.
(٥) المرجع نفسه.

ـ الكلام في الجنة: يقول الإمام عليه السلام: «أن الجنة لا حمل فيها للنساء ولا ولادة، ولا طمثت ولا نفاس ولا شقاء بالطفولية، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين كما قال سبحانه، فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله بغير حمل ولا ولادة على الصورة التي يريد، كماخلق آدم عبرة»[1].

ـ الصلاة: يبيّن الإمام في هذا المجال كيفية المسح على القدمين في الوضوء فيقول: «يمسح عليهما (القدمين) معاً، فإن بدأ بأحداهما قبل الأخرى فلا يبتدئ إلا باليمين»[2].

أما عن ثياب المصلي فقد وردت تفاصيل عديدة فقال الإمام عن الثياب يحوكها المجوس: «لا بأس بالصلاة فيها»[3]. وأما ثياب الخز التي تغش بوبر الأرانب فيقول فيها عليه السلام: «إنما حرّم في هذه الأوبار والجلود فأما الأوبار وحدها فكل حلال»[4]. أما إذا حمل المصلي معه في كمه أو سراويله سكيناً أو مفتاح حديد أو في رجله بطيط (وهو رأس الخف أو الخف المقطوع) فإن صلاته جائزة[5].

وأما ثياب القز والأبريسم فهل تجوز الصلاة فيها؟ يجيب الإمام على ذلك بالقول: «لا يجوز الصلاة إلا في ثوب سداه أو لحمته قطن أو كتان»[6].

وأما ما يحل الصلاة فيه من الوبر والسمور والسنجاب والقنك والدلق والحواصل: فأما السمور والثعالب فحرام عليك وعلى غيرك الصلاة فيه، ويحل لك جلود مأكول اللحم إذا لم يكن لك غيره، فإن لم يكن لك بد فصلِ فيه. والحواصل جائز لك أن تصلي فيه، والفراء، متاع الغنم ما لم تذبح

(١) الاحتجاج، ص ٤٨٧، والتهذيب، ٢/٢٢٨.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) غيبة الطوسي، ص ٢٣٢.
(٤) الاحتجاج، ص ٤٨٧، والتهذيب: ٢/٢٢٨.
(٥) غيبة الطوسي، ص ٢٣٢.
(٦) الاحتجاج، ص ٤٨٧.

بأرمينية تذبحه النصارى على الصليب، فجائز لك أن تلبسه إذا ذبحه أخ لك أو مخالف تثق به»[1].

أما بشأن أوقات صلاتي العشاء والغداة فيقول الإمام عليه السلام: «ملعون ملعون من أخّر العشاء إلى أن تشتبك النجوم، ملعون ملعون من أخر الغداة إلى أن تنقضي النجوم»[2].

وأما عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها فيقول الإمام عليه السلام: «فلئن كان كما يقولون: إن الشمس تطلع بين قرني الشيطان وتغرب بين قرني الشيطان، فما أرغم أنف الشيطان أفضل من الصلاة، فصلها وأرغم أنف الشيطان»[3].

وأما عن صلاة جعفر فإن «أفضل أوقاتها صدر النهار من يوم الجمعة، ثم في أي الأيام شئت وأي وقت صليتها من ليل أو نهار فهو جائز والقنوت فيها مرتان: في الثانية قبل الركوع، وفي الرابعة بعد الركوع»[4] وهل هي جائزة في السفر؟ أجاب الإمام: «يجوز ذلك»[5].

وأما المصلي عند قبور الأئمة فيجب أن يقف خلف «القبر» ويجعل القبر أمامه، ولا يجوز أن يصلي بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره لأن الإمام عليه السلام لا يُتقدم ولا يساوى».

«أما السجود على القبر، فلا يجوز في نافلة ولا فريضة ولا زيارة، والذي عليه العمل أن يضع خده الأيمن على القبر»[6].

---

(١) الخرائج، ٢/ ٧٠٢.
(٢) غيبة الطوسي، ص ١٦٤.
(٣) إكمال الدين، ٢/ ٥٢٠. والفقيه، ١/ ٤٩٨. والتهذيب، ٢/ ١٧٥. والخرائج، ٣/ ١١٨.
(٤) الاحتجاج، ص ٤٨٧.
(٥) المرجع نفسه،
(٦) المرجع نفسه.

وإذا غلط المصلّي بالسجادة فيضع رأسه على ما لا يجوز السجود عليه ويكتشف خطأه بعد رفع رأسه، فهل يعتد بسجدته تلك؟ يجيب الإمام: «ما لم يستوِ جالساً فلا شيء عليه في رفع رأسه لطلب الخمرة»[1].

وعن المسافر الذي يدخل منطقه كثر فيها الثلج، فإن نزل عن محمله خاف الغوص، فهل يجوز له الصلاة في المحمل؟، يجيب الإمام عليه السلام: «لا بأس عند الضرورة والشدة»[2].

أما المصلي والنار والصورة والسراج أمامه «فإنه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأصنام أو عبدة النيران أن يصلي والنار والصورة والسراج بين يديه. ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأصنام والنيران»[3].

أما التوجه للصلاة فـ «التوجه كله ليس فريضة، والسنة المؤكدة فيه التي هي كالإجماع الذي لا خلاف فيه: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، حنيفاً مسلماً على ملة إبراهيم ودين محمد وهدي أمير المؤمنين وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم اجعلني من المسلمين. أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ثم اقرأ الحمد»[4].

وفي مسألة الصلاة خلف الإمام، إذا تأخر المصلي عنه فإنه «إذا لحق مع الإمام من تسبيح الركوع تسبيحة واحدة، اعتد بتلك الركعة، وإن لم يسمع تكبيرة الركوع»[5].

وإذا توفي أمام القوم أثناء الصلاة فإنه: «يؤخر ويقدم بعضهم ويتم صلاتهم ويغتسل من مسه.. ليس على من نحاه إلا غسل اليد، وإذا لم تحدث

(١) غيبة الطوسي، ص ٢٢٢.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) كمال الدين، ٢/ ٥٢٠، والفقيه، ١/ ٤٩٨.
(٤) المرجع نفسه، ص ٤٨٥.
(٥) المرجع نفسه، ص ٤٨٧.

حادثة تقطع الصلاة، تمم صلاته مع القوم» و «من مس ميتاً بحرارته غسل يديه ومن مسه وقد برد فعليه الغسل»، وأما إذا نحّى الإمام الميت بثيابه دون أن يمسه «لم يكن عليه إلا غسل يده»[1].

أما في متن الصلاة:

فقد أفتى الإمام رداً على سؤال يقول: هل يجب التكبير عند القيام بعد التشهد الأول إلى الركعة الثالثة بقوله: «إن فيه حديثين، أما أحدهما فإنه إذا انتقل من حالة إلى حالة أخرى فعليه تكبير. وأما الآخر فإنه روي: أنه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبّر ثم جلس ثم قام فليس عليه للقيام بعد القعود تكبير، وكذلك التشهد الأول يجري هذا المجرى، وبأيهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً»[2].

أما ما يقرأ في الركعتين الأخيرتين فأجاب الإمام عليه السلام: «قد نسخت قراءة أمّ الكتاب في هاتين الركعتين التسبيح، والذي نسخ التسبيح قول العالم عليه السلام: كل صلاة لا قراءة فيها فهي خداج، إلاّ العليل، أو يكثر عليه السهو فيُخوف بطلان الصلاة عليه»[3].

أما عن رد اليدين بعد القنوت فيقول الإمام عليه السلام: «رد اليدين من القنوت على الرأس والوجه غير جائز في الفرائض، والذي عليه العمل فيه، إذا رجع يده في قنوت الفريضة وفرغ من الدعاء، أن يرد بطن راحته مع صدره تلقاء ركبته على تمهّل ويكبر ويركع. والخبر صحيح وهو في نوافل الليل والنهار دون الفرائض، والعمل به فيها أفضل»[4].

وحول رجل صلّى صلاة الظهر وركعتين من صلاة العصر فتذكر أنه صلى صلاة الظهر ركعتين ماذا يفعل؟ يجب الإمام عليه السلام: «إن كان أحدث بين

(١) غيبة الطوسي، ص ٢٢٨.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) الاحتجاج، ص ٤٨٧. والتهذيب، ٢/٢٢٨.
(٤) الاحتجاج، ص ٤٨٥.

الصلاتين حادثة يقطع بها الصلاة أعاد الصلاتين، وإن لم يكن أحدث حادثة جعل الركعتين الأخيرتين تتمة لصلاة الظهر وصلّى العصر بعد ذلك»[1].

أما عن ثواب قراءة بعض السور في الصلاة وأنه قيل: «عجباً لمن لم يقرأ في صلاته «إنا أنزلناه في ليلة القدر» كيف تقبل صلاته. وأنه روي: ما زكت صلاة لم يقرأ فيها بـ «قل هو الله أحد»، وأنه روي أن من قرأ في فرائضه «الهُمزة» أعطي من الدنيا، فقد جاء توقيع الإمام عليه السلام: «الثواب في السور على ما قد روي، وإذا ترك سورة مما فيها الثواب وقرأ «قل هو الله أحد» و «إنا أنزلناه» لفضلهما، أعطي ثواب ما قرأ وثواب السورة التي ترك، ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين، وتكون صلاته تامة، ولكن يكون قد ترك الأفضل»[2].

وعن سجدة الشكر يقول الإمام عليه السلام: «سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها، ولم يقل، إن هذه السجدة بدعة إلاّ من أراد أن يحدث بدعة في دين الله. فأما الخبر المرويّ فيها بعد صلاة المغرب والاختلاف في أنها بعد الثلاث أو بعد الأربع، فإن فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعد النوافل كفضل الفرائض على النوافل، والسجدة دعاء وتسبيح فالأفضل أن تكون بعد الفرض، فإن جعلت بعد النوافل أيضاً جاز»[3].

وحول تسبيح فاطمة عليها السلام يقول الإمام: «إذا سها في التكبير حتى يجوز أربعاً وثلاثين عاد إلى ثلاث وثلاثين وبنى عليها، وإذا سها في التسبيح فتجاوز سبعاً وستين تسبيحة عاد إلى ست وستين وبنى عليها، فإذا جاوز التحميد مائة فلا شيء عليه»[4].

---

(١) الاحتجاج، ص ٤٨٧. التهذيب، ٢/٢٢٨.
(٢) غيبة الطوسي، ص ٢٢٨.
(٣) الاحتجاج، ص ٤٨٥.
(٤) الاحتجاج، ص ٤٨٧. والتهذيب، ٢/٢٢٨.

وسئل عليه السلام: هل يجوز التسبيح بطين القبر فأجاب: يسبح الرجل به فما من شيء من السبح أفضل منه، ومن فضله أن الرجل ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له التسبيح، وعن السجدة على لوح من طين القبر، قال عليه السلام: «يجوز ذلك وفيه الفضل»[1].

وعلى سؤال حول جواز استعمال المسبحة في الصلاة قال عليه السلام: «يجوز ذلك إذا خاف السهو» ويجوز له أن يدير المسبحة بيده اليسرى[2].

ـ الصوم: سئل عليه السلام عن وداع شهر رمضان متى يجب فأجاب: «العمل في شهر رمضان ليالي، والوادع يقع في آخر ليلة منه فإن خاف إن ينقص جعله في ليلتين»[3].

وسئل عليه السلام: امرأة طهرت من حيضها أو من دم نفاسها في أول يوم من شهر رمضان ثم استحاضت، فصلت وصامت شهر رمضان كله من غير أن تلتزم بما تفعل المستحاضة من الغسل لكل صلاتين فهل يجوز صومها وصلاتها؟

فأجاب عليه السلام: «تقضي صومها ولا تقضي صلاتها، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر فاطمة عليها السلام والمؤمنات من نسائه بذلك»[4].

وعن الصيام في رجب يقول الإمام عليه السلام: قال الفقيه: «يصوم منه أياماً إلى خمسة عشر يوماً، إلا أن يصومه عن الثلاثة الأيام الفائتة، للحديث: إن نعم القضاء رجب»[5].

ـ الحج: سئل عليه السلام عن الإحرام بالخز فأجاب: «لا بأس بذلك وقد فعله قوم صالحون»[6].

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) الكافي، ٤/١٣٦.
(٥) الاحتجاج، ص ٤٨٧، والتهذيب، ٢/٢٢٨.
(٦) غيبة الطوسي، ص ٢٣٢.

وأما عن تأخير الإحرام تقية، فقال: «يحرم من ميقاته ثم يلبس ويلبي في نفسه، فإذا بلغ ميقاتهم أظهر»[1] وأما عن كيفية الإئتزار فقال عليه السلام: «جاز أن يتزر كيف شاء إذا لم يحدث في المئزر حدثاً بمقراض ولا إبرة يخرجه به عن حد المئزر، وغرزه غرزاً أو لم يعقده ولم يشد بعضه ببعض. وإذا غطّى سرته وركبتيه كلاهما، فإن السنة المجمع عليها بغير خلاف تغطيته السرة والركبتين، والأحب إلينا والأفضل لكل أحد شده على السبيل المألوفة والمعروفة للناس جميعاً إن شاء الله» ولا يجوز شدّ المئزر بشيء سواه من تكة ولا غيرها»[2]. هذا وقد أنبأ الإمام بجواز أن يحرم وعلى إبطه المرتك* والتوتياء لريح العرق[3].

وعن استظلال المحرم يرفع خشب العمارية أو الكنيسة أو برفع الجناحين، أجاب عليه السلام: «لا شيء عليه في تركه وجميع الخشب»[4] وأما نحر الهدي عن آخرين فإذا نسي الناحر اسم الموصي ثم ذكره بعد ذلك، فإنه جائز ويجزي عن صاحبه[5]. وكذلك في الحج بالأجرة هل يجب أن يذكر المحجوج عنه. أجاب الإمام عليه السلام: «يذكره، وإن لم يفعل فلا بأس»[6].

ـ الصدقة: سئل عليه السلام عن الرجل ينوي إخراج شيء من ماله وأن يدفعه إلى رجل من إخوانه ثم يجد في أقربائه محتاجاً. فأجاب: يصرفه إلى أدناهما وأقربهما من مذهبه، فإن ذهب إلى قول العالم عليه السلام: «لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج» فليقسم بين القرابة وبين الذي نوى، حتى يكون قد أخذ بالفضل كله»[7].

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) الاحتجاج، ص ٤٨٥.
(*) الرصاص الأسود والأبيض.
(٣) الاحتجاج، ص ٤٨٧. والتهذيب، ٢/٢٢٨.
(٤) غيبة الطوسي، ص ٢٣٢.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) المرجع نفسه.
(٧) الاحتجاج، ص ٤٨٧. والتهذيب، ٢/٢٢٨.

ـ أموال الإمام: يجيب الإمام عليه السلام السائل بقوله: «وأما ما سألت عنه من أمر الوقف على ناحيتنا وما يُجعل لنا، ثم يحتاج إليه صاحبه، فكل ما لم يسلّم فصاحبه فيه بالخيار. وكل ما سُلّم فلا خيار فيه لصاحبه، احتاج إليه صاحبه أو لم يحتج، افتقر إليه أو استغنى عنه»[1].

أما تصرف من بيده أموالهم عليهم السلام تصرفه بما له من غير أمرهم، «فمن فعل ذلك فهو ملعون ونحن خصماؤه يوم القيامة»، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: المستحلّ من عترتي ما حرّم الله ملعون على لساني ولسان كل نبي. فمن ظلمنا كان في جملة الظالمين، وكان لعنة الله عليه لقوله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾[2].

وأما عن بيع الوقف فقد قال عليه السلام: «إذا كان الوقف على إمام المسلمين، فلا يجوز بيعه، وإن كان على قوم من المسلمين فليجمع كل قوم ما يقدرون على بيعه مجتمعين ومتفرقين إن شاء الله»[3].

«وعن الرجل من وكلاء الوقف يكون مستحلاً لما في يده لا يرع عن أخذ ماله، ربما نزلتُ في قرية وهو فيها، أو أدخل منزله، وقد حضر طعامه فيدعوني إليه، فإن لم آكل من طعامه عاداني عليه وقال: فلان لا يستحل أن يأكل من طعامنا، فهل يجوز لي أن آكل من طعامه وأتصدق بصدقة، وكم مقدار الصدقة؟ وإن أهدى هذا الوكيل هدية إلى رجل آخر، فأحضر فيدعوني أن أنال منها، وأنا أعلم أن الوكيل لا يرع عن أخذ ما في يده، فهل علي فيه شيء إن أنا نلت منها؟

فكان الجواب: «إن كان لهذا الرجل مال أو معاش غير ما في يده، فكُلْ طعامه واقبل بره، وإلا فلا»[4].

---

(١) كمال الدين، ٢/ ٥٢٠.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) الاحتجاج، ص ٤٨٧، والتهذيب، ٢/ ٢٢٨.
(٤) غيبة الطوسي، ص ٢٣٢.

ـ البيع والشراء: سئل الإمام عليه السلام حول ابتياع ضيعة كانت قبضت عن الوقف قديماً للسلطان، ويؤدي شراؤها إلى عمارتها وحسم طمع أولياء السلطان. فأجاب: «الضيعة لا يجوز ابتياعها إلا من مالكها أو بأمره أو رضاء منه»[1].

وسئل عليه السلام عن ثمن المغنية فأجاب أنه حرام[2].

ـ المسكر: سئل عليه السلام عن مزيج معين، هل يجوز شربه؟ فقال: «إذا كان كثيره يسكر أو يغير، فقليله وكثيره حرام، وإن كان لا يسكر فهو حلال»[3].

وسئل عن الفقاع فقال: حرام[4].

● البيّنات: سئل عليه السلام عن رجل ادعى على آخر بألف درهم وله بها بينة عادلة، وادعى عليه بخمسماية وبثلاثماية وبمائتين وله بكل منها بينة عادلة. ويزعم المدعى عليه أن الصكاك الأخيرة دخلت في الصك الأول بألف درهم، فما العمل؟ أجاب الإمام عليه السلام: يؤخذ من المدعى عليه ألف درهم مرة، وهي التي لا شبهة فيها، ويرد اليمين في الألف الباقي على المدعي فإن نكل فلا حق له»[5].

وعن شهادة الضرير أجاب عليه السلام: «إذا حفظ الشهادة وحفظ الوقت جازت شهادته»[6].

ـ النكاح: حول مسألة مهر المرأة أوضح الإمام عليه السلام: «إن كان عليه بالمهر كتاب فيه ذكر دَيْن فهو لازم له في الدنيا والآخرة، وإن كان عليه كتاب

(١) الاحتجاج، ص ٤٨٥.
(٢) كمال الدين، ٢/ ٤٨٣.
(٣) الاحتجاج، ص ٤٨٧. والتهذيب، ٢/ ٢٢٨.
(٤) كمال الدين، ٢/ ٤٨٣. وغيبة الطوسي، ص ١٧٦.
(٥) الاحتجاج، ص ٤٨٧. والتهذيب، ٢/ ٢٢٨.
(٦) المرجع نفسه.

فيه ذكر الصداق، سقط إذا دخل بها، وإن لم يكن عليه كتاب، فإذا دخل بها سقط باقي الصداق»[1].

وسئل عليه السلام عن رجل تزوج امرأة إلى وقت معلوم، وقبل انتهاء الوقت طمثت وبعد ثلاثة أيام سامحها، أيجوز لآخر أن يتزوجها بعد تلك الحيضة؟ فأجاب: «يستقبل حيضة غير تلك الحيضة، لأن أقل تلك العدة حيضة وطهرة تامة»[2].

وحول زواج الرجل بنت امرأته أجاب عليه السلام: «إن كانت ربيت في حجره فلا يجوز، وإن لم تكن ربيت في حجره، وكانت أمها في غير عياله فقد روي أنه جائز»[3].

وعما إذا كان المرء يستطيع أن يتزوج البنت والجدة، أجاب عليه السلام: «قد نهي عن ذلك»[4].

وسئل عليه السلام عن رجل استحل بجارية وشرط عليها ألا يطلب الولد إن حبلت ولا يساكنها، فأتته بعد مدة وأعلمته أنها حبلت، ثم غابت وعادت ومعها ولد ذكر.

وكان قد أوقف ضيعة (سبلّها) على وصاياه قبل معرفته بالمرأة المذكورة، على أن له الأمر في الزيادة والنقصان أيام حياته، ولما أتت المرأة بالولد، لم يلحق بالوقف المتقدم المؤبّد، وأوصى إن حدث به حدث الموت، أن يُجرى عليه ما دام صغيراً. فإذا كبر أعطي من الضيعة مائتا دينار غير مؤبد، ولا يكون له ولا لعقبه بعدها في الوقف شيء.

فأجاب الإمام عليه السلام: «وأما الرجل الذي استحل بالجارية وشرط عليها ألاّ يطلب ولدها، فسبحان من لا شريك له في قدرته، شرطه على الجارية

(١) المرجع نفسه.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) المرجع نفسه.

شرط على الله عز وجل، هذا ما لا يؤمن أن يكون، وحيث عرف في هذا الشك وليس يعرف الوقت الذي أتاها فيه، فليس ذلك بموجب البراءة في ولده. وأما إعطاء المائتي دينار وإخراجه إياه وعقبه من الوقف، فالمال ماله فعل فيه ما أراد»[1].

وسئل عليه السلام في المرأة يموت زوجها هل تخرج في جنازته أم لا، وهل يجوز لها أن تزور قبر زوجها في عدتها، وهل يجوز لها الخروج في قضاء حق يلزمها في ذلك الوقت، أجاب الإمام عليه السلام: وأنها «تخرج في جنازته» و «تزور قبر زوجها ولا تبيت عن منزلها» و «إذا كان حق خرجت وقضته، وإذا كانت حاجة لم يكن لها من ينظر فيها، خرجت لها حتى تقضى، ولا تبيت عن منزلها»[2].

(١) إكمال الدين، ٢/ ٥٠٠.
(٢) غيبة الطوسي، ص ٢٢٨.

الفصل الرابع: الظروف التي تهيء للظهور ـ للثورة

حدّدت المصادر الدينية والبشرية الظروف الممهّدة لثورة خلاص البشرية، وكان من أهم المصادر البشرية في هذا المجال النظرية الماركسية، أما المصادر الدينية فسوف نتوقف منها على ما ورد في العهد القديم والعهد الجديد والقرآن الكريم والسنة المطهّرة.

النظرية الماركسية:

ترى الماركسية أن الثورة تنضج ظروفها ثم تقوم عندما تصبح علاقات الإنتاج معرقلة لتطور قوى الإنتاج، أي عندما تصبح العلاقات الحقوقية والسياسية بين الطبقتين الرئيسيتين في مجتمع الإنتاج (الأسياد والرقيق، الإقطاعيين والأقنان، الرأسماليين والعمال) عامل كبح لعملية التطور على صعيد الأدوات واليد العاملة، وعندما تحصل الثورة تغير في علاقات الإنتاج فتسمح لقوى الإنتاج بأن تنطلق، ولكن مع التطوّر المستمرّ لقوى الإنتاج نتيجة الاختراع وتطور العلم والتكنولوجيا عموماً، تصبح العلاقات قاصرة عن مسايرة التطور ثم تتحوّل إلى عامل إعاقة من جديد. وعندما تتفاقم الأمور إلى الدرجة القصوى، فلا بد أن تقوم الثورة.

«إن التناسب بين علاقات الإنتاج وطابع القوى المنتجة لا يمكن أن يكون إلاّ مؤقتاً، فهو عادة يظهر في بداية تطوّر أي نمط إنتاجي، في مرحلة استتباب علاقات إنتاج جديدة تستجيب لدرجة تطور القوى المنتجة. إلاّ أن تطوّر التقنية وتراكم التجربة والمعارف، لا يتوقفان، بل يتسارعان بصورة عامة. إن هذا هو المظهر الملموس للفعل الإيجابي لعلاقات الإنتاج في انطلاق القوى المنتجة. فعندما تناسب علاقات الإنتاج قوى الإنتاج، فإن التطور يتابع مسيره بطريقة منتظمة نسبياً ودون عثرات.

ولكن علاقات الإنتاج لا يمكنها أن تتبع باستمرار تطور القول المنتجة. ففي المجتمع المنقسم إلى طبقات، وبعد أن تنبثق علاقات الإنتاج، تثبّت حقوقياً وسياسياً على شكل ملكية بالقوانين، وبالسياسة الطبقية، وبالدولة وسائر المؤسسات.

ويقدر ما تتنامى القوى المنتجة، بقدر ما يصبح التناسب بينها وبين علاقات الإنتاج مختلاً، وينتهي الأمر بظهور أزمة لأن العلاقات المتقادمة تمنع تقدّم القوى المنتجة»[1].

ومن هنا تصبح ثورة الخلاص حتمية، وهي الثورة التي ستطيح آخر أشكال أنظمة الاستغلال لتنفتح الطريق إلى مجتمع المساواة والوفرة والراحة. أما الظروف المهيئة للثورة فتتلخص بتفاقم التناقضات الاجتماعية إلى درجة لا تحتمل. ولما كان لب التناقضات يتمثل في صيرورة علاقات الإنتاج في التشكيلة الاقتصادية ـ الاجتماعية الرأسمالية معيقة لتطوّر قوى الإنتاج، أي عندما يوظف التطور ضد مصلحة العامل، كأن يجنح الرأسماليون إلى إحلال الآلة محل العمال ويسرحوهم من العمل، فيأخذ العمال بالتمرّد، وبالتسريح تتناقص القوة الشرائية فيحصل الكساد. كما أنه يمكن أن يعمد أرباب العمل إلى الاستغناء عن التجديد التقني لما يكلفه من أموال لا يأملون استعادتها بسرعة. هذا إلى أن المزيد من نهب ثروات الدول المتخلفة يجعلها عاجزة عن الاستيراد، وهكذا تكبّل القوى الإنتاجية وتتوقف عجلة التطور. فنتيجة لفيض الإنتاج يرتمي «المجتمع فجأة في حالة همجية حتى يخيل للمرء أن هناك مجاعة أو حرباً طاحنة تقطع عن المجتمع وسائل معيشته وموارد رزقه، وكأنما الصناعة والتجارة أتى عليهما الخراب والدمار. ولمَ ذلك؟ ذلك لأنه أصبح في المجتمع شيء كثير من المدنية وكثير من وسائل العيش وكثير من الصناعة والتجارة. ولم تعد القوى المنتجة الموجودة تحت تصرف المجتمع تساعد على نمو

(١) Pricipes du Marxisme - léninisme, éd. du Progès, Moscou, ed. P. 112 et 113.

علاقات الملكية البرجوازية وتقدّمها، بل بالعكس أصبحت هذه القوى عظيمة جداً بالنسبة لهذه العلاقات البرجوازية التي أضحت عائقاً في سبيل تقدمها وتوسعها. وكلما شرعت القوى المنتجة تتغلب على هذا العائق رمت المجتمع البرجوازي بأسره في الاضطراب والاختلال وهدّدت وجود الملكية البرجوازية بالانهيار. لقد أصبحت العلاقات البرجوازية أضيق من أن تستوعب الثروات الناشئة في قلبها. فكيف تتغلب البرجوازية على هذه الأزمات؟ تتغلب بالتدمير القسري لمقدار من القوى المنتجة من جهة، وبالاستيلاء على أسواق جديدة وزيادة استثمار الأسواق القديمة، من جهة أخرى. بماذا إذن؟ بتحضير أزمات أعم وأهول، وتقليل الوسائل التي يمكن تلافي هذه الأزمات بها.

فالأسلحة التي استخدمتها البرجوازية للقضاء على الإقطاعية ترتد اليوم إلى صدر البرجوازية نفسها»[1].

وإلى هذا التناقض تبرز تناقضات اجتماعية مساعدة منها التناقض بين جماعية العمل وفردية الملكية، حيث تعمل المجموعات الكبيرة من العمال في المصنع الواحد المملوك من شخص واحد أو من مجموعة محدودة من الأشخاص. ومنها التناقض بين العمل اليدوي والعمل الفكري، وهذا التناقض يصاحب أنماط الإنتاج الطبقية جميعاً، ومنها أيضاً الفوارق الصارخة بين المدينة والريف على صعيد العمل والثقافة وطرائق العيش، وكلها تبلور الوعي لدى الطبقة العاملة بضرورة الصراع لإنهاء المشكلة الأساسية، مشكلة علاقات الإنتاج.

إن هذه الصورة التي تقدمها الماركسية مستقاة من ظروف القرن التاسع عشر، لذلك فقد تجاوزتها التطورات، فعمد المفكرون إلى محاولة اللحاق بالتطورات الحديثة، وفي مطلق الأحوال أن الثورة كان يمكن أن تقوم على أساس التناقضات ذات الطابع الاقتصادي، إلاّ أن البرجوازيين وتحت ضغط الطبقة العاملة، اضطروا إلى التخفيف من الضائقة التي تحيق بالفئات الدنيا في

(١) البيان الشيوعي راجع المختارات لماركس وانجلز، دار التقدم موسكو، ص ٥٧ و٥٨.

المجتمع، فتحوّلت الدولة إلى دولة تدخلية تحاول تأمين الحد الأدنى من مقومات العيش للطبقات الدنيا من أجل قطع الطريق على الثورة. ومن هنا برزت نسخة من الماركسية، تحت اسم «نظرية المركز والأطراف» ومن أهم دعاتها سمير أمين، المصري، تقول أن الثورة ستبدأ بالأطراف، وهي البلدان القائمة على هامش النظام الرأسمالي، وهي بلدان فقيرة لا تستطيع الرأسمالية فيها رشوة العمال. غير أن التطورات التي حصلت في العقود الثلاثة الأخيرة أدّت بنهاية دولة التدخل تحت ضغوط العولمة التي تدفع بالبنك الدولي إلى منع المساعدة عن الدول ما لم تتخل عن السياسات الاجتماعية، التي تقوم على تحميل الطبقات الثرية تكاليف تأمين الحد الأدنى من المعيشة للطبقات الدنيا. وفي هذا عودة إلى مجتمع القرن التاسع عشر الذي وصفه ماركس ونظّر للرأسمالية وتطورها على أساسه. ولكن على نطاق أوسع هذه المرة. فإذا كان الصراع الطبقي الحاد والذي كان يؤدي إلى مزيد من إفقار الطبقة العاملة كلما اتخمت الطبقة البرجوازية في أي قطر من الأقطار، فإن البوادر اليوم تنبيء بصراع طبقي على صعيد عالمي، بحيث تقف وجهاً لوجه جموع الفقراء على وجه الكرة الأرضية في مقابل المضاربين بالمال والأسهم وأصحاب الشركات متعددة الجنسية.

المصادر الدينية:

تتحدث المصادر الدينية عن المسيرة التاريخية الآيلة إلى ظهور المخلّص. ولعل المصدر الذي يلخص الأحداث منذ ما بعد ظهور المسيح عليه السلام حتى اليوم هو «رؤيا القديس يوحنا»، وهي أحد أسفار العهد الجديد والتي تحدد بشكل رمزي الحقب التاريخية المختلفة وصولاً إلى عصر الظهور كما تتناول علامات الظهور. المباشرة. تتحدث الرؤيا (الإصحاح الخامس) عن سفر مكتوب مختوم بسبعة أختام فكها المسيح عليه السلام فكانت محتوياتها كما يلي (الإصحاحات: ٦ ـ ٨).

فلما فتح الختم الأول «وإذا فرس أبيض والجالس عليه معه قوس وقد أعطي إكليلاً وخرج غالباً ولكي يغلب».

ولما فتح الختم الثاني «وخرج فرس آخر أحمر وللجالس عليه أعطي أن ينزع السلام من الأرض وأن يقتل بعضهم بعضاً وأعطي سيفاً عظيماً.

ولما فتح الختم الثالث «وإذا فرس أسود والجالس عليه معه ميزان» تبعه غلاء في الأسعار للقمح والشعير دون الزيت والخمر.

ولما فتح الختم الرابع «وإذا فرس أخضر (أو أصفر شاحب) والجالس عليه اسمه الموت والهاوية (أو مقام الأموات) تتبعه. وأعطيا سلطاناً على ربع الأرض أن يقتلا بالسيف والجوع والموت (أو القابلية للموت) وبوحوش الأرض.

«ولما فتح الختم الخامس رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة (التي أدوها) وصرخوا: بصوت عظيم قائلين: حتامَ، أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض. فأعطوا، كل واحد، ثياباً بيضاً وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضاً العتيدون أن يقتلوا مثلهم.

«ولما فتح الختم السادس وإذا زلزلة عظيمة حدثت والشمس صارت سوداء كمسح من الشعر (أي عباءة)، والقمر صار كالدم ونجوم السماء سقطت إلى الأرض كما تطرح شجرة التين سقاطها إذا هزتها ريح عظيمة، والسماء انفلقت كدرج ملتف وكل جبل وجزيرة تزحزحا من موضعهما. وملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكل عبد وكل حر أخفوا أنفسهم في المغاور في صخور الجبال...».

«ورأيت ملاكاً آخر طالعاً من مشرق الشمس «يختم عبيدالله على جباههم»، وبعدها صرخات الخلاص من مجموع الأمم».

«ولما فتح الختم السابع حدث سكوت في السماء نحو نصف ساعة، ورأيت السبعة الملائكة الذين يقفون أمام الله وقد أعطوا سبعة أبواق إيذاناً بيوم الخلاص.

وإذا استعرضنا فض الأختام نلاحظ أنها متعلقة بمراحل زمنية:

فالفرس الأبيض الظاهر لدى البوق الأول يمكن أن يعد راكبه الرسول ﷺ لأنه خرج غالباً ولكي يغلب ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ولأن البياض هو لون الطهر كما جاء في نفس السفر (راجع ٣/ ٤ و٤/ ٤/).

والفرس الأحمر (أو الأصهب الظاهر لدى البوق الثاني) يمكن أن يكون العهد الأموي لأنه نزع السلام وأدّى إلى أن يقتل بعضهم بعضاً، وإن أعطي سلطاناً عظيماً.

والفرس الأسود الظاهر لدى البوق الثالث يمكن اعتباره العهد العباسي، بسبب السواد أولاً (والعباسيون اعتمدوا السواد) ولأن معه ميزان وهم كانوا يدعون في البداية إلى الرضا من آل محمد، أما الغلاء فقد عرف حسب بعض المصادر في تلك الحقبة، كما انتشر شرب الخمر لأن الغلاء لم يصبه.

والفرس الأخضر (أو الشاحب: كما في الترجمة الفرنسية) والذي يظهر لدى البوق الرابع، فيمكن أن يكون مرحلة هجوم المغول على الدولة العباسية، وهم من العرق الأصفر، وقد حملوا معهم الموت والدمار.

وبعد فض الختم الخامس تبدأ مرحلة الذل للإسلام الذي قبض الترك على ناصيته فطوعوه.

وبعد فض الختم السادس بدأت الفتن والكوارث التي ستتحدث المصادر الإسلامية عنها بإسهاب وتليها فترة فض الختم السابع التي ستحصل في عصر الظهور.

أما المصادر الدينية الأخرى التي تتناول الظروف الممهدة للظهور فتتحدث عن الظلم الشامل والمفاسد الاجتماعية ثم غضب الله وصولاً إلى ظهور المخلص، ونحن سنستشهد المصادر الإسلامية وستتناول ما يتوافق معها من نصوص التوراة المتداولة، لتأكيد وحدة المخلّص الذي سيظهر في آخر الزمان. وإذا كان أصحاب هذه التوراة يدّعون أنه المسيح الحقيقي الذي لم يظهر بعد، فإننا نؤكد أن المسيح ظهر وتوفاه الله كما ثبت تاريخياً. كما نود التأكيد

أن الخلاف بين المسلمين واليهود في فهم النصوص، إنما يعود إلى المواقف المسبقة والتعصب الذين يفضيان إلى تفسير الألفاظ والنصوص بطريقة متعسفة.

فالتفسير يجب أن ينطلق من أن المسيح ظهر، وبالتالي فإن النصوص يجب أن تصرف إلى غيره في ما لم يحققه. أما ترداد اسم أورشليم ويهوذا وصهيون وإسرائيل وغيرها، فيعني أموراً غير التي يظن أنها تعنيها، فهي تسميات رمزية يجب تأويلها بشكل صحيح، لا سيما وأن اليهود قد حرّفوا الكلم عن مواضعه كما يؤكد القرآن وكما تؤكد المصادر التاريخية[1]. وما زالت المحاولات تجري من قبل علماء المسيحية واليهودية لإعادة الأمور إلى نصابها، ولو أنهم اعتمدوا المصادر الإسلامية، لكانوا أعادوا الكلم إلى مواضعه وحل الكثير من مشاكلهم.

وهكذا فإننا يمكن أن نعد أورشليم أية عاصمة إسلامية، لأن اللفظة تعني «مدينة سليم أو مدينة السلام» و «إسرائيل» المصارع في سبيل الله أو المجاهد في سبيل الله وهكذا...

وما يؤكد ما نذهب إليه أن الأسفار التي نستشهد بها، إنما تنحصر ما بين فترة داود عليه السلام حتى ما قبل ظهور المسيحية، فلا يمكن أن تتناول فترات ما قبل قيام دولة يهودية كالتي قامت بعد موسى عليه السلام أو أيام داود نفسه، ثم أن المسيحية لم تقم دولة على أساس الكتاب المقدس فيبقى أن المقصود هو ما سيحصل بعد مجيء الإسلام.

كما يؤكده أن الله وحسبما جاء في التوراة، تخلى عن اليهود وضربهم بالحرمان الأبدي كما جاء في سفر أشعياء (٦٥/ ١٥) «وتخلّفون اسمكم لعنة لمختاري (يلعنه من اصطفى) فيميتك السيد الرب ويسمي عبيده اسماً آخر (المسلمين بدل إسرائيل) فالذي يتبرّك في الأرض يتبرك بإله الحق والذي

(١) راجع د. كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢، ص ٥٨.

يحلف في الأرض يحلف بإله الحق (لا بـإله إسرائيل) لأن الضيقات الأولى قد نسيت ولأنها استترت عن عيني. لأني هاأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال. كما ورد في سفر زكريا (١١/ ١٠ وما بعد)، «فأخذت عصاي نعمة وقصفتها (كسرتها) لأنقض عهدي الذي قطعته لكل الأسباط، فنقض في ذلك اليوم وهكذا علم أذل الغنم المنتظرون لي أنا كلمة الرب».

كما جاء في سفر أرميا (١٧/ ٣) «يا جبلي في الحقل أجعل ثروتك، كل خزائنك للنهب ومرتفعاتك للخطية في كل تخومك وتتبرّأ وبنفسك عن ميراثك الذي أعطيتك إياه وأجعلك تخدم أعداءك في أرض لم تعرفها، لأنكم قد أضرمتم ناراً بغضبي تتقد إلى الأبد».

وجاء في الإصحاح (١٨/ ١٥): «لأن شعبي قد نسيني، بخّروا للباطل وقد أعثرتهم في طرقهم، في السبل القديمة ليسلكوا في شعب في طريق غير مسهّل، لتجعل أرضهم خراباً وصفيراً أبدياً، كل مارٍ فيها يدهش وينفض رأسه كريح شرقية، أبددهم أمام العدو أريهم القفا لا الوجه في يوم مصيبتهم».

الظلم الشامل وسائر المفاسد الاجتماعية:

تصف المصادر الإسلامية الحالة السياسية والاجتماعية، التي تؤول إليها الحياة في المجتمع البشري فتعطي صورة عن ظلم شامل، تمارسه السلطة السياسية والسلطة الدينية يؤدي إلى حالة مرضية تلف جميع مناحي السلوك الإنساني، الأمر الذي يجعل الحياة في المجتمع لا تطاق، وتلتقي مع الصورة الإسلامية هذه الصورة التي تقدمها التوراة، وأهم قسمات هذه الصورة:

السلطة السياسية:

تؤول السلطة السياسية إلى عديمي الخبرة من الواقعين تحت تأثير الصغار والنساء وإلى رجال مستهترين بالقيم بعيدين عن العدالة والأخلاق اللازمة للحاكم. فقد ورد عن لسان ابن عباس عن النبي ﷺ، عن الأحوال

السياسية آخر الزمان: «عندها إمارة النساء ومشاورة الإماء وقعود الصبيان على المنابر»[1] كما جاء عن علي عليه السلام: «فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشورة الإماء وإمارة الصبيان»، تدليلاً على سطوة الغرائز الجنسية وغيرها من عواطف القربى والهوى، كما تلزّم الوظائف ويتحكم السلطان الكافر بالمؤمن[2].

وقد جاء في التوراة متوافقاً مع هذا: «أجعل صبياناً رؤساء عليهم وأطفالاً تتسلط عليهم» (أشعياء ٣/ ٤)، كما جاء: وأمسى الشعب «ظالموه أولاد ونساء يتسلطن عليه» (أشعياء ٣/ ١٢).

وهذه السلطة تمارس الظلم والاضطهاد والخيانة فقد جاء في المصدر السابق عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن عندها يليهم أمراء جورة ووزراء فسقة وعرفاء ظلمة وأمناء خونة»[3]. كما جاء عن نزال بن سبرة عن علي عليه السلام: «إذا استعملوا السفهاء... وكانت الأمراء فجرة والوزراء ظلمة والعرفاء خونة»، فأكثروا من ارتكاب الموبقات «وأكلوا الرشا»، فعند ذلك تكون «دولة الأشرار ويحل الظلم في جميع الأمصار وتطلب الرياسة للتفاخر والمظالم، ويرعى القوم سفهاؤهم... وتصنع الرؤساء رؤوساً لمن لا يستحقها ويؤتمن الولاة الخونة ويقرّب السلطان أهل الكفر... ويذل المؤمن للكافر «وباختصار يتولى أمور الناس قادة» أن تكلموا قتلوهم وإن سكتوا استباحوهم ليستأثروا بفيئهم وليطأوا حرمتهم»[4].

ويتفق مع هذا ما جاء في التوراة من أنه سيكون «رؤساؤك متمردين» (أشعياء ١/ ٢٣) وسيرعى الرعاة أنفسهم لا غنمهم فيما هم يذبحون السمين ويلبسون الصوف (حزقيال ٣٤/ ٢ و٣) وتكون أورشليم (مدينة أو دار السلام أو أي مدينة هامة) مدينة جائرة، رؤساؤها على شعبها أسود زائرة (صفينا

(١) علي بن إبراهيم القمي، التفسير، مكتبة العلامة، قم ج٢، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٧.
(٢) الكافي، ج٨ ص ٣٧.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) راجع كمال الدين، ٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٨. وملاحم ابن المنادي، ص ٧٤، وعقد الدرر، ص ٢٩١.

٣/ ١ ـ ٣) فينتشر الفساد ويصبح القادة «كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا» و «يكونون شركاء اللصوص» (أشعياء ١/ ٢٣).

أما السلطة القضائية، فهي سلطة فاسدة تحكم بخلاف ما أمر الله، فقد جاء عن لسان الإمام الصادق أن القائم يقوم إذا: «رأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر الله»[١]. كما جاء في التوراة: ويل للمدينة «الجاثرة... قضاتها ذئاب مساء لا يبقون شيئاً حتى الصباح»[٢].

على أن هذا الظلم كان النتيجة، رغم تبدّل الحكومات وتناوب أصحاب المشاريع الايديولوجية والسياسية على الحكم، فالإمام المنتظر لا يظهر إلا بعد أن تجرب جميع الأفكار ولا يبقى مجال ليقول أنصار أي مشروع سلطوي أن مشروعهم كان الحل للمظالم لكن لم يتح لهم تطبيقه، فقد جاء عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ [الأعراف/ ١٢٨]».

كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلاّ وقد ولّوا على الناس حتى لا يقول قائل: إنّا لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل»[٣].

أما وضع المسلمين على الصعيد العالمي فهو وضع مزر نتيجة لضعفهم وتكالب الأمم عليهم، حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قيل: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن. قيل: وما الوهن؟ قال:

(١) راجع روضة الكافي في دار الأضواء، ط٣، ص ٣٦، وإلزام الناصب، ص ١٨٤ و١٨٥.
(٢) صفنيا، ٣/ ١ ـ ٥.
(٣) راجع غيبة النعماني، ص ٢٧٤، راجع بنفس المعنى، أمالي الصدوق، ص ٣٩٦.

حب الحياة وكراهية الموت»[1] كما يقول: «إن من اقتراب الساعة هلاك العرب»[2].

ونتيجة لهذا الضعف وما يغري به الأعداء، فإن الكافرين يملكون البلاد الإسلامية المختلفة شرقاً وغرباً حيث تجري الأنهار الإسلامية الرئيسية وهي إيران والعراق ومصر، فقد جاء عن لسان رسول الله ﷺ: «قال جبرائيل: أبشرك يا رسول الله بالقائم من ولدك لا يظهر حتى يملك الكفار الخمسة الأنهر...»[3].

السلطة الدينية:

لن تكون السلطة الدينية أحسن حالاً من السلطة السياسية، بل هي ستتعرض للفساد وتمارس الظلم وسيكثر المتنبئون الكاذبون، فقد ورد عن لسان الرسول ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه نبيّ قبل يوم القيامة» كما جاء: «سيكون في أمتي دجّالون كذابون يحدثونكم ببدع من الحديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم. فإيّاكم وإياكم لا يفتنونكم»[4] كما جاء على لسان الإمام الصادق عليه السلام: «لا يخرج القائم حتى يخرج مثله اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه»[5].

وجاء في التوراة بهذا الاتجاه: «ويل للمدينة الجائرة... أنبياؤها متفاخرون أهل غدرات، كهنتها نجسوا القدس، خالفوا الشريعة» (صفنيا ٣/ ١ ـ ٥).

ونتيجة لكل هذا تنسى الشريعة ويسود الشر والضلال وخيانة العهود ويطال الظلم ضعاف الناس، وهكذا فإن الفرج لا يكون «حتى تروا الحرام

---

(١) راجع مسند أحمد، ٢/ ٣٥٩، وأبو داود، ملاحم ٥ و٥/ ٢٧٨.

(٢) راجع صحيح البخاري، ٤/ ٣٤، والترمذي، مناقب ٦٩.

(٣) راجع، ملاحم ابن طاووس، ص ١٩٧.

(٤) راجع سنن أبي داود ١٦، مسند أحمد، ٢/ ١١٨، ٢٣٧، ٣١٣، ٤٥٠، ٥٣٠، ٥٢٨ و٥/ ١٦، ٤١، ٤٦، وصحيح البخاري مناقب ٢٥، وفتن ٢٥ وصحيح مسلم فتن ٨٤، وسنن الترمذي فتن ٤٣.

(٥) الإرشاد، ص ٣٥٨. وغيبة الطوسي، ص ٢٦٧. راجع كذلك غيبة النعماني، ص ١٥١. وأصول الكافي، ج ١، ص ٣٣٨.

مغنماً والزكاة مغرماً»[1] فترى «الرجل عنده المال الكثير ولم يزكه منذ ملكه»[2] ويشح الغني بما في يديه ويبيع الفقير آخرته بدنياه، وترى «المحتاج يعطى على الضحك به ويرحم لغير وجه الله»[3] وحتى أن «السائل يسأل فيما بين الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في يده شيئاً»[4] وتقسم «أموال ذوي القربى بالزور ويتقامر بها ويشرب الخمور» و «ترى من أكل أموال اليتامى يحمد بصلاحه»[5].

وتقول التوراة: فالأرض «قد تدنست تحت سكانها لأنهم تعدو الشرائع غيروا الفريضة، نكثوا العهد الأبدي» (أشعياء ٢٤/ ٥) وليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق» (أشعياء ٥٥/ ٤) وقد «جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجّة، كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً» (أشعياء ٥٩/ ٨)، وتكثر المعاصي والخطايا والآثام، فيتعدى الناس ويكذبون على الرب ويحيدون من وراء الإله «وارتد الحق إلى الوراء، والعدل يقف بعيداً» (أشعياء ٥٩/ ١٤) بعد أن ضل الناس كالغنم (أشعياء ٥٣/ ٧) وأمسى الرؤساء «لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم» (أشعيا ١/ ٢٣) وباختصار لقد نجسوا اسم الإله بين الأمم» (حزقيال/ ٣٦).

وهكذا تتوارى تعاليم الدين ويسود الرياء ويمسي «الفقهاء يفتون بما يشتهون»[6] وهم الذين يتفقهون لغير الدين بل لطلب الدنيا والرياسة[7]، وذلك بعد أن يكون قد قل العلماء وذهب القراء، فتحلى المصاحف وتطول المنارات وتكثر صفوف المصلين بقلوب متباغضة[8] وترى المساجد محتشدة ممن لا

(١) المبرد، الكامل، ج١، ص ١٧٧، ابن شمس الخلافة، الآداب، ص ١٠، الراغب الأصفهاني، ج١، ص ٨٩. الآمدي، غرر الحكم، ص ٣٦٣.
(٢) روضة الكافي، ص ٣٧.
(٣) روضة الكافي، ص ٣٧.
(٤) تفسير القمي، ج٢، ص ٣٠٢ـ٣٠٧.
(٥) روضة الكافي، ص ٣٧.
(٦) راجع إلزام الناصب، ص ١٨٥.
(٧) روضة الكافي، ص ٣٧.
(٨) تفسير القمي، ج٢، ص ٣٠٢ـ٣٠٧.

يخاف الله[1]. وهكذا فينكفيء الدين ويعطل الكتاب وأحكامه ثم تلتبس الأمور وتثور الفتن، لذلك يقول رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً،ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض الدنيا[2]. وعن أمثال هذا يقول الرسول: «يدّعون أنهم على ديني وسنتي ومنهاجي وشرائعي، إنهم مني براء وأنا منهم بريء»[3]. وذلك في زمن «تبطل فيه الأحكام ويحبط الإسلام ويجعل الناس الحلال حراماً.. ويهتكون فيما بينهم المحارم»[4] وتفشوا البدع[5] ويستخف بالصلاة.. ويصلي المصلي ليراه الناس[6] «وعندها يحج أغنياء أمتي للنزهة ويحج أوساطها للتجارة ويحج فقراؤها للرياء والسمعة»[7] ويصبح «الأذان بالأجر والصلاة بالأجر»[8].

الانحرافات الاجتماعية

وهي تتمثل بالزنا والفسق واستهتار الصغير بالكبير والكذب وسوء الأمانة والسرقة والتقاتل وضياع القيم، وسنفرد فقرة للزنا، ونتناول في فقرة ثانية سائر المفاسد الاجتماعية:

الزنا: تركّز المصادر الإسلامية كما التوراة على مسألة الزنا وانتشارها بشكل قبيح، فقد ورد في الآثار عن النبي ﷺ وعن أئمة الهدى أنه «يستعلن الفجور» ويذهب العفاف «ويستحلون الزنا»[9] «ويرى الرجل من زوجته القبيح فلا ينهاها ولا يردها عنه، ويأخذ ما تأتي به من كدّ فرجها ومن

(١) روضة الكافي، ص ٣٧.
(٢) مسند أحمد، ٢/ ٣٠٤ و٥٢٣، صحيح مسلم إيمان ١٨٦، سنن ٢٢، أبي داود فتن، سنن الترمذي فتن ٣٠، ابن ماجة فتن ١٠.
(٣) الطبرسي، مكارم الأخلاق مؤسسة الأعلمي، ج١، ص ٤٥٢.
(٤) راجع إلزام الناصب، ج٢، ص ١٨٥.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) روضة الكافي، ص ٣٧.
(٧) تفسير القمي، ج٢، ص ٣٠٢ـ٣٠٧.
(٨) روضة الكافي، ص ٣٥.
(٩) حديث جابر عن رسول الله ﷺ إلزام الناصب، ص ١٣٧.

مفسد خدرها حتى لو نكحت طولاً وعرضاً لم تهمه ولا يسمع ما قيل فيها من الكلام الرديء»[1] «وتصانع المرأة زوجها على نكاح الرجال... ويبذل النساء أنفسهن لأهل الكفر فيكثر أولاد الزنا»[2]، ثم تتزوج الامرأة بالامرأة وتزف كما تزف العروس إلى زوجها.. وتكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء»[3].

هذا وتشير المصادر إلى زوال الحياء حتى ليتسافد الناس كما يتسافد البهائم[4]، ويؤجر الرجل زوجته وبنته[5].

هذا وتركز التوراة على مسألة الزنا سواء أعلى المستوى الحقيقي أم على المستوى المجازي، فترى أن الناس «روح الزنا قد أضلهم فزنوا من تحت إلههم» هوشع ٤/ ١٢) حتى أن الله، كما تقول التوراة أنبأهم قائلاً: «لذلك تزني بناتكم وتفسق كناتكم». وذلك نتيجة لما يرتكبه الشعب بوجه عام، حتى يصبح زناهن هذا لا يستحق العقوبة: «لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين ولا كناتكن لأنهن يفسقن، لأنهم (أي الناس) يعتزلون مع الزانيات ويذبحون مع ناذرات الزنا (القرابين) (هوشع ٤/ ١٣ ـ ١٥).

هذا ويزول الحياء عند المرأة فتمسي «بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن» (أشعياء ٣/ ١٦).

المفاسد الأخرى:

حملت المصادر الإسلامية عدداً كبيراً من الأحاديث الشريفة التي تصف الحالة الاجتماعية قبل ظهور الإمام المنتظر حيث تسود شهادة الزور[6] وقول

(١) إلزام الناصب، ج٢، ص ١٨٦ وما بعدها.
(٢) راجع تفسير القمي، ج٢، ص ٣٠٢، والكافي، ج٨، ص ٣٧.
(٣) إلزام الناصب، ج٢، ص ١٨٤ وما بعدها، والكافي ج٨، ص ٣٧.
(٤) الكافي، ج٨، ص ٣٧.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) إلزام الناصب، ج٥، ص ١٨٥.

البهتان ونقض العهود[1]، وينتشر الغش فيكذب التاجر في تجارته والصانع في صياغته وكل صاحب صنعته في صناعته[2]، وعند ذلك تكثر الخيانة ويؤتمن الخونة لا المخلصون[3] وتتفشى ظاهرة التآمر العائلي، فيكون هلاك الرجل على يدي زوجته وولده[4]، فتظهر الفتن ويعم القتل[5]: «والله لترجعن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[6].

وقد وردت هذه الأمور في التوراة التي تحدثت عن أشكال مختلفة من المفاسد: فلا أمانه ولا إحسان (هوشع ٤/ ١) والغش قائم: «فصارت فضتك زغلاً وخمرك مغشوشة» (أشعياء ١/ ٢٢)، وإلى جانب ذلك «لعن وكذب وسرقة وفسق» وانتشار للقتل: «يعتنفون، ودماء تلحق دما» (هوشع ٤/ ٢)، هذا ويتمرد الصبي على الشيخ والدنيء على الشريف (أشعياء ٣/ ٥)، ويقتل الأولاد في الأودية (أشعياء ٥٧/ ٥).

القلة المؤمنة:

في ظل الظروف الموصوفة أعلاه، يصبح التديّن مستهجناً، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء إذا فسد الناس»[7] ذلك أن الأكثرية الساحقة ستنحرف و «لن تزال من هذه الأمة أمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، ولا ينقصهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله»[8]، وهي الأمة التي يصفها الله تعالى بقوله: ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ [الأعراف/ ١٨١].

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) إلزام الناصب، ج٢، ص ١٨٥.
(٣) تفسير القمي، ج٢، ص ٣٠٢.
(٤) الكافي، ج٨، ص ٣٧.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) صحيح البخاري، مج ١٣٣. مغازي ٧٩، أدب ٩٥، ومسلم إيمان، ١١٨ ـ ١٢٠، مسند أحمد، ١/ ٢٣٠.
(٧) راجع صحيح مسلم إيمان ٢٣٢، مسند أحمد، ١/ ١٨٤، ٢/ ١٧٧، ٢٢٢، ٣٨٩ و٤/ ٧٣.
(٨) راجع تاريخ البخاري ج٧، ص ٣٢٧ وصحيح البخاري علم ١٣، توحيد ٢٩، ومسلم، أمارة ١٧٤.

ويفصّل الإمام علي عليه السلام في معاناة هذه القلة فيخاطب المؤمنين قائلاً: «كونوا كالنحل في الطير، ليس شيء من الطير إلاّ وهو يستضعفها، ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك، خالطوا الناس بألسنتكم وأبدانكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم، فوالذي نفسي بيده، ما ترون ما تحبون حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتى يسمي بعضكم بعضاً كذابين، وحتى لا يبقى منكم إلاّ كالكحل في العين، والملح في الطعام، وسأضرب لكم مثلاً وهو مثل رجل كان له طعام فنقّاه وطيّبه، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس، فأخرجه ونقاه وطيّبه، ثم أعاده إلى البيت، فتركه ما شاء الله، ثم عاد إليه، فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس، فأخرجه ونقّاه وطيّبه وأعاده. ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضرّه السوس شيئاً، وكذلك أنتم تميزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً»[1].

وهكذا فإن المؤمنين الحقيقيين سوف يتعرضون للغربلة والتمحيص الشديدين حتى لا يبقى منهم على الخط القويم إلاّ الأقل الأقل. وقد جاء على لسان الإمام الباقر عليه السلام: «لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا، إلا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحّصوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد»[2].

وذلك كله يصدّق قول الرسول صلى الله عليه وآله: «يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلاّ من هرب من شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر كالثعلب بأشباله»[3].

هذا وقد ركّزت التوراة على نفس المعاني فجاء فيها: «افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة حافظة الأمانة» (أشعياء ٢٦/ ٣٢) أمناء الأرض (مزمور

(١) راجع غيبة النعمان، ص٢٠٩ و٢١٠.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٨ ـ ٢٠٩، والكافي ج١، ص ٣٣٠ و٣٣١.
(٣) راجع منتخب الأثر، ص ٤٣٧. وكنز العمال ٥/ ٣٩٣، البخاري إيمان/ ١٢ وفتن ١٤، وسنن أبي داود، فتن ٢٤، ومسند أحمد، ٣/ ٦، ٣٠، ٥٧.

١٠١/٦)، منتظرو الرب (اشعياء ٣٠/١٨) شعب إلٰه إبراهيم (مزمور ٤٧/٩) شعب الله (مزمور ١١١/٦) بقية يعقوب (ذي العقب: ربما علي) (١٠/٢١).

وهذه القلة المؤمنة هي «شعب منهوب مسلوب قد اصطيد في الحفر وفي بيوت الحبوس اختبأوا، صاروا نهباً ولا منقذ سلباً وليس من يقول: رد (أشعياء ٤٢/٢٢).

أما الإنسان المستقيم فلا بد له من الابتعاد عن المعترك: «فالسالك بالحق المتكلم بالاستقامة الراذل مكسب الظالم، النافض يده من قبض الرشوة الذي يسدّ أذنيه عن سماع (أحاديث) الدماء ويغمض عينيه عن النظر إلى الشر هو في الأعالي، يسكن، حصون الصخور ملجأه، يعطى خبزه ومياهه مأمونة» (أشعياء ٣٣/ ١٥ و١٦).

غضب الله:

نتيجة للمظالم والانحرافات فإن غضب الله سينصب قتلاً وجوعاً على وجه الأرض، فقد جاء في الكتاب العزيز: ﴿**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات**﴾ [البقرة/١٥٥]، وهذا ماتفسره الآثار الإسلامية بالفربلة والتمييز، وقد أشار الإمام الصادق إليه بالقول: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس»[1] كل هذا نتيجة فتن متوالية أشار إليها رسول الله ﷺ في عدد كبير من الأحاديث حوتها كتب الفتن من الصحاح.

هذا وقد توسعت التوراة في ذكر هذه الفتن، وهي كما أشرنا لا بد أن تتناول المسلمين. وقد جاء في نبؤة في سفر زكريا (١٣/٧ ـ ٩): «استيقظ يا سيف على راعيّ وعلى رجل رفقتي، يقول رب الجنود، واضرب الراعي فتتشتت الغنم وارد يدي على الصغار، ويكون في كل الأرض، يقول الرب، أن ثلثين منها يقطعان ويموتان والثلث يبقى فيها، وادخل الثلث في النار

(١) راجع كمال الدين، ج٢، ص ٦٥٥، وغيبة الطوسي، ص ٢٠٦ وبنفس المعنى عن الإمام علي ﷺ: راجع كنز العمال، ١٤/٥٨٧، وابن حماد، ص ٩١..

وأمحّصهم كمحص الفضة. وامتحنهم امتحان الذهب، هو يدعو باسمي وأنا أجيبه. أقول: هو شعبي وهو يقول: الرب إلهي».

وفيما يتعلق بالجوع، ورد في سفر يوئيل (١/ ١٥ ـ ٢٠): «آه على اليوم لأن يوم الرب قريب، يأتي كخراب من القادر على كل شيء، أما انقطع الطعام أمام عيوننا، الفرح والابتهاج عن بيت إلهنا، عفنت الحبوب تحت مدرها، خلت الأهراء، انهدمت المخازن لأنه قد يبس القمح، كما تئن البهائم، هامت قطعان البقر لأنه ليس لها مرعى، حتى قطعان الغنم تفنى، إليك يا رب أصرخ، لأن ناراً قد أكلت مراعي البرية ولهيباً أحرق جميع أشجار الحقل، حتى بهائم الصحراء تنظر إليك، لأن جداول المياه قد جفت والنار أكلت مراعي البرية.

ولعل هذا يتفق مع ما ورد في رؤيا القديس يوحنا اللاهوتي في الإصحاح الثامن حيث يبوّق «السبعة الملائكة الذين يقفون أمام الله» فبوّق الملاك الأول فحدث برد ونار مخلوطان بدم وألقيا إلى الأرض فاحترق ثلث الأشجار واحترق كل عشب أخضر».

بلاد الإسلام وعلاقتها مع الشعوب الأخرى:

مرّ بنا حديث ضعف المسلمين وتداعي الأمم عليهم لضعفهم وخوفهم من الموت وتعلّقهم بالدنيا، أما الأمم والشعوب التي يكون المسلمون على تماس معها عند ظهور الإمام المنتظر فمنهم الروم والترك واليهود، وهم الشعوب التي جرت الحروب بينها وبين المسلمين في عصور التاريخ المختلفة، فكيف ستكون العلاقات مع هذه الجهات قبل ظهور الإمام؟

الروم: هم الشعوب الأوروبية التي غزت شاطىء بلاد الشام فيما سمي الحروب الصليبية، والتي كانت على علاقة متوتّرة مع الدولة الإسلامية منذ بداياتها، وهم الذين مارسوا الاستعمار في العصر الحديث ونال البلدان الإسلامية منه القسط الأوفر. وقد أكدت المصادر قوة الروم حيث ورد عن

لسان الرسول ﷺ: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»[1] و «أشدّ الناس عليكم الروم»[2].

وتثور الحروب بين الروم وبين المسلمين وتقع بينهم هدنة، وتحصل فتنة تدخل كل بيت، وربما كانت الحضارة الغربية، يقول الرسول ﷺ إن بين يدي الساعة «... فتنة تكون في أمتي، قال وعظّمها (وقيل: فتنة تقع فيكم لا يبقى بيت عربي إلا دخلته.. والخامسة: يفيض المال فيكم حتى يعطي الرجل المائة دينار فيتسخطها... والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر (الروم)[3]، وقال: «سيكون بينكم وبين الروم أربع هدن»[4].

ولعل موضوع المال هو ما نعرفه بعد اكتشاف البترول وشمول خيراته بعض الدول والقبائل. أما الحروب والهدن بين المسلمين وبين الروم فهي أيضاً ما نعرفه منذ بداية التاريخ الإسلامي.

اليهود:

ما جرى بين المسلمين واليهود أمر معروف في المرحلة النبوية ثم في هذا القرن، ولقد أشارت المصادر إلى قتال بين المسلمين واليهود قبل ظهور الإمام، على أن تحسم المعارك بعد ظهوره. فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «يقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»[5] ولقد بدأ قتال اليهود للمسلمين ولما ينته بعد.

الترك:

لقد كان بين المسلمين والترك معارك في التاريخ، منها وقائع هولاكو وجنكيز خان، وهم من الأتراك غير المسلمين. أما في العصر الحديث

(١) مسند أحمد، ٤/ ٢٣٠، وتاريخ البخاري، ٨/ ١٦، صحيح مسلم، فتن ٣٥ و٣٦.
(٢) راجع مسند أحمد، ٤/ ٢٣٠.
(٣) مسند أحمد، ٢/ ١٧٤ و٥/ ٢٢٨ و٦/ ٢٥، وصحيح مسلم جزية/ ١٥.
(٤) الطبراني، الكبير ٨/ ١٢٠، بيان الشافعي ص ٥١٤، عقد الدرر، ص ٣٦.
(٥) البخاري، جهاد ٩٤، مسلم فتن ٨٢، ومسند أحمد، ٢/ ٤١٧ و٥٣٠.

فقد جرت معارك مع الترك المسلمين، الذين بدأوا يتركون حكم الإسلام وهم اليوم يقيمون حكماً علمانياً معادياً للدين وعاملاً على اجتثاثه.

وقد وردت الأحاديث الشريفة بتدخل الترك متحالفين مع الروم، وهو أمر لم يحصل إلاّ اليوم، وقد قال ﷺ: «تخرج الروم في الملحمة العظمى ومعهم الترك وبرجان والصقالية»[1] و «كأني بالترك قد أتتكم على براذين مجذمة الآذان حتى تربطها بشط الفرات»[2].

(١) ابن حماد، ص ١٩٢.
(٢) عبد الرزاق، ١١/ ٣٨٠، والطبراني الكبير، ٩/ ١٩٢.

الفصل الخامس: شرائط قيام الإمام

تشير المصادر الدينية إلى إمارات تسبق مباشرة ظهور الإمام المخلّص وهذه الإمارات منها إمارات طبيعية ومنها إمارات بشرية.

الإمارات الطبيعية: وتتمثّل بالزلازل وآيات تظهر في الشمس والقمر والسماء عموماً، ثم نار ودخان وخسف.

الزلازل: ورد عن لسان الرسول ﷺ: «أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل..»[1].

وهذه الزلازل تضرب في مصر[2] على ما ورد على لسان الإمام علي عليه السلام وتضرب في الشام «فينقعر غربي مسجدها ويخسف بقرية يقال لها حرستا»[3]، وزلازل تضرب نجد التي يقول عنها الرسول «هنالك الزلازل والفتن»[4]، وزلازل تضرب البصرة فيكون فيها «خسف وقذف ورجف»[5] وخسف يصيب بغداد وخراب بالري[6] وخسف في جزيرة العرب[7]، وإلى هذا خسف بالمشرق وخسف بالمغرب[8]، وخسوف متكررة في هذه الدار أو تلك وبهذا الرجل أو ذاك[9].

---

(١) مسند أحمد، ٣/ ٣٧ و٥٢، وملاحم ابن المنادي، ص ٤٢، وبيان الشافعي، ص ٥٠٥، وعقد الدرر، ص ٦٢. وميزان الاعتدال، ٣/ ٩٧.

(٢) ملاحم ابن طاوس ص ١٢٤، وابن حماد، ص ٧١، وعقد الدرر، ص ٥٣.

(٣) عقد الدرر ص ٥٣، المطر الوردي، ص ٦١ وابن حماد، ص ٧١.

(٤) مسند أحمد، ٢/ ١١٨ و١٢٦، وصحيح البخاري استسقاء/ ٢٧، وفتن ١٦ والترمذي مناقب ٧٤.

(٥) أبو داود ملاحم/ ٥، وملاحم ابن المناوي ص ٣٨ و٣٩، وكنز العمال، ١٢/ ٣٠٧.

(٦) الإرشاد، ص ٣٦١، وأعلام الورى، ص ٤٢٩. راجع كذلك النعماني، ص ١٤٦، البحار، ٥٢/ ٢٢٥، ومنتخب الأثر، ٣٠٠.

(٧) مسلم فتن /٣٩، وأبو داود، ملاحم /١٢، والترمذي فقه/ ٢١ وابن ماجه فتن/ ٢٨، ومسند أحمد، ٤/ ٦ و٧.

(٨) المرجع نفسه.

(٩) الحاكم، ٤/ ٥١٥، وابن حماد ص ١٧٢، الدر المنثور، ٢/ ٣٢٤، وكنز العمال، ١٤/ ٢٨٢.

هذا وتتردّد أحاديث الزلازل في التوراة حيث يرد: «... لأن ميازيب (أو سدوداً) من العلاء قد انفتحت وأسس الأرض تزلزلت، انسحقت الأرض انسحاقاً، تشققت الأرض تشققاً، تزعزعت الأرض تزعزعاً، ترنّحت الأرض ترنّحاً كالسكران وتدلدلت (اهتزت) كالعرزال وثقل عليها ذنبها ولا تعود تقوم» (أشعياء ٢٤/ ١٨)، ولعل هذا ما يتوافق مع سورة الزلزلة في القرآن. كما يرد «... فينشق جبل الزيتون (الذي قدام أورشليم من الشرق) من وسط نحو الشرق ونحو الغرب وادياً عظيماً جداً وينتقل نصف الجبل نحو الشمال ونصفه نحو الجنوب وتهربون في جواء الجبال» (زكريا ١٤/ ٢).

الظواهر السماوية: تشير المصادر إلى كسوف وخسوف في شهر رمضان وإلى نجم مذنّب وإلى علامات في السماء وفي القمر: فقد ورد على لسان الرسول ﷺ ظهور آية متعلقة بالشمس وأنها «تنكسف... في شهر رمضان مرتين»[1]. وقد أتى قول متضافر عن أئمة أهل البيت، وهم بطبيعة الحال ينقلون عن الرسول ﷺ ولكن طرقهم هي المضبوطة، إلاّ أن في الرواية عنهم تفاوتاً. فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «تنكسف الشمس لخمس مضين من شهر رمضان قبل قيام القائم»[2] وورد عنه: «علامة خروج المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان في ثلاث عشرة وأربع عشرة منه»[3] وهذان حديثان لا يمكن التوفيق بينهما، ولما كان الحديث الثاني مرسلاً فيرجح الأول. إلاّ أن روايات وردت عن الباقر عليه السلام تقول: «إن بين يدي هذا الأمر انكساف القمر لخمس تبقى والشمس لخمس عشرة وذلك في شهر رمضان، وعندها يسقط حساب المنجمين»[4] وورد: «.. تنكسف الشمس في النصف

(١) ابن حماد، ص ٦٠ و٦١ و٩١. وعقد الدرر، ص ١٠٦ ـ ١١١، وعرف السيوطي، ٢/ ٦٥ و٨٢، وملاحم ابن طاووس، ص ٤٦.

(٢) كمال الدين، ٢/ ٦٥٥، وإثبات الهداة، ٣/ ٧٢٣، والبحار، ٥٢/ ٢٠٧، وبشارة الإسلام، ص ١٢٥، ومنتخب الأثر، ص ٤٤١.

(٣) النعمان، ص ٢٧٢، مرسلاً والبحار، ٥٢/ ٢٤٢، وبشارة الإسلام، ص ١٢٥، وهما عند النعماني.

(٤) النعماني، ص ٢٧١، وكمال الدين، ٢/ ٦٥٥، ومنتخب الأثر، ص ٤٤.

من شهر رمضان والقمر في آخره...»[1] وورد أيضاً: «... ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه»[2].

ولما كان الحديث الثالث متناقضاً مع الحديثين الأولين يمكننا الاستغناء عنه، فيبقى الحديثان الآخران والتفاوت بينهما يمكن تفسيره على أساس أن الأول يقول أن القمر ينكسف قبل آخر الشهر بخمسة أيام بينما الثاني يقول أنه ينكسف في آخره، فإذا اعتبرنا أن الأيام الأخيرة هي آخر الشهر أو أواخره استقام.

وإذا قارنا هذا مع ما ورد عن الصادق عليه السلام فيمكننا، مع اعتبار أن الصادق تحدث عن الشمس فقط، فلا يمكننا إلاّ مع إسقاط أحد التاريخين، أو اعتبار أن الصادق قال لخمس عشرة فاستبدل المصححون «عشرة» بـ «مضين» لأن رواية الباقر تشير إلى غرابة الأمر وتقول: «وعنده يسقط حساب المنجمين» و «... ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام». وإلى هذا يشير حديث إلى آية تظهر في وجه القمر وذلك في العام الذي فيه «الصيحة» والآية هي: «وجه يطلع في القمر ويد بارزة»[3]. وجاء في حديث آخر: «وكف يطلع من السماء من المحتوم»[4] وقد يكون هو نفسه اليد البارزة.

وتذكر المصادر أن نجماً مذنباً يظهر، حيث ورد عن الإمام علي عليه السلام من بين علامات الظهور: «أولها طلوع الكوكب ذي الذنب»[5] هذا وتشير أحاديث كثيرة إلى طلوع الشمس من المغرب[6].

---

(١) الكافي، ٨/ ٢١٢، النعماني، ص ٢٧١، وغيبة الطوسي، ص ٢٧٠.

(٢) الدارقطني، ٢/ ٦٥.

(٣) النعماني، ص ٢٥٢، ومنتخب الأثر، ص ٤٤١، وإثبات الهداة، ٣/ ٧٣٥.

(٤) غيبة النعمان، ص ٢٥٢، وإثبات الهداة، ٣/ ٧٣٥، والبحار، ٥٢/ ٢٣٣، وبشارة الإسلام، ص ١١٥.

(٥) ملاحم ابن طاوس، ص ١٣٦، وكفاية الأثر، ص ٢١٣، ومشارق البرسي، ص ١٦٤ ـ ١٦٦..

(٦) غيبة الطوسي، ص ٢٦٧، صحيح البخاري، فتن ٢٥، رقاق ٤٠ توحيد ٢٢، صحيح مسلم توبة ٣١، إيمان ٢٤٨ و٢٤٩، فتن ٣٩، ١١٨، ١٢٨، ١٢٩ سنن أبي داود جهاد ٢ ملاحم ١٢، سنن=

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي له ذناب»[1].

وإلى كل هذا صواعق تصعق أفراداً من الناس[2] وقذف من السماء[3].

هذا وتحفل التوراة بذكر الظواهر السماوية: «فإن نجوم السماوات وجبابرتها لا تبرز نورها، تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع ضوؤه» (أشعياء ١٣/ ٩) «تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف» (يوئيل ٢/ ٣٠).

كما ويحمل سفر رؤيا يوحنا إنه «بوّق الملاك الرابع فضرب ثلث الشمس وثلث القمر وثلث النجوم حتى يظلم ثلثهن والنهار لا يضيء ثلثه والليل كذلك» (الإصحاح ٨/ ١٢).

النار: تكثر أحاديث النار في المصادر الإسلامية وهي تشب في الحجاز وفي بصرى وفي اليمن ونار من الشرق ونار من السماء ونار في الحجارة والمدر.

فعن نار الحجاز ورد عن رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»[4].

= الترمذي، فتن ٢١، سنن ابن ماجة فتن ٢٥، ٢٨، ٣٢، سنن الدارمي، سير ٦٩ مسند أحمد، ١/ ١٩٢ و٢/ ١٢٤، ٢٠١، ٢٣١، ٢٧٥، ٣١٣، ٣٢٤ و٣٢٧ و٣٥٠ و٣٧٢ و٣٩٥ و٣٩٨ و٤٠٧ و٤٢٧ و٤٤٦ و٤٩٥ و٥٠٧ و٥١١ و٥٣٠ و٣/ ٣١ و٩٨ و٤/ ٦ و٧ و٣٩٥ و٤٠٤.
وابن أبي شيبة، ١٥/ ١٧٨، وتفسير ابن جرير ٨/ ٧٦ والبدء والتاريه، ٢/ ١٩٧، والطبراني، الكبير ٩/ ٢١٤.

(١) ابن حماد، ص ١١، وعقد الدرر، ص ١١١، وعرف السيوطي الخاوي، ٢/ ٨٢، وبرهان المتقي ص ١٠٨، وملاحم ابن طاوس، ص ٤٦.

(٢) الحاكم ٤/ ٤٤٤، ومجمع الزوائد، ٨/ ٩، وكنز العمال، ١٤/ ٢٣٥، ومسند أحمد، ٣/ ٦٥.

(٣) راجع ملاحم ابن طاوس، ص ١٢٤.

(٤) راجع مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية ١٩٩٥، كتاب الفتن وأشراط الساعة، وعبد الرزاق، ١١/ ٣٧٦. البخاري فتن ٢٤، مسلم فتن ٤٢.

كما ورد عن علي عليه السلام: «إذا وقعت النار في حجازكم.. فتوقعوا ظهور قائمكم»[1] كما ورد عنه في أشراط الساعة: «إذا أنارت النار بصرى..»[2].

وأما عن نار اليمن فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله من بين أشراط الساعة: «... ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر»[3] ونار تخرج من قبل حضرموت[4].

أما نار المشرق فقد أشار إليها الإمام الباقر عليه السلام بقوله: «إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهردي العظيم تطلع ثلاثة أيام أو سبعة فتوقعوا فرج آل محمد»[5].

أما النار من السماء فقد ذكرها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إذا رأيتم علامة في السماء ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالي، فعندها فرج الناس وهي قدام القائم عليه السلام بقليل»[6] كما جاء عنه عليه السلام: «يزجر الناس قبل قيام القائم عليه السلام عن معاصيهم بنار تظهر في السماء وحمرة تجلل السماء...»[7].

وهذه النيران تشعل الحجر والمدر كما ورد عن الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام[8] ولعل ناراً كهذه يؤججها البترول.

---

(١) الصراط المستقيم، ٢/٢٥٨، إثبات الهداة، ٣/٥٧٨.
(٢) مشارق البرسي، ص ١٦٦، الإيقاظ من الهجعة ص ٣٧٥.
(٣) غيبة الطوسي، ص ٢٦٧، والبحار ٥٢/٢٠٩. والطيالسي، ص ١٤٣ والحميري، ٢/٣٦٤، ومسند أحمد، ٦/٤ و٧، ٥/١٤٤ ومسلم فتن ٣٩، وأبو داود ملاحم، ١٢.
(٤) الترمذي، فتن ٤٢، ومسند أحمد، ٢/٨، ٥٣، ٦٩، ٩٩، ١١٩.
(٥) النعماني، ص ٢٥٣، الطوسي ص ٢٧٤، عقد الدرر، ص ٦٤ و١٣٧ ولوائح السفاريني، ٢/٨.
(٦) النعماني، ص ٢٦٧، وعقد الدرر، ص ١٠٦.
(٧) الإرشاد، ص ٣٦١ وأعلام الورى، ص ٤٢٩.
(٨) الصراط المستقيم، ٢/٢٥٩، وبشارة الإسلام، ص ٨٣.

وحول موضوع النيران تتحدث التوراة أيضاً حيناً بشكل إجمالي وحيناً بشكل مفصّل. فتقول: «... وأعطي عجائب في السماء والأرض دماً ونار وأعمدة دخان» (يوئيل ٢/ ٣٠).

وعن نار الحجاز تقول التوراة: «... فأرسل ناراً على تيمان (تيماء: شمال الحجاز) فتأكل قصور بصرة (بصرى)، وعن أرض آدوم (وهي شمال الحجاز) وبصرى تقول: «وتتحول آثارها زفتاً وترابها كبريتاً، وتصير أرضها زفتاً مشتعلاً ليلاً ونهاراً ولا تنطفىء إلى الأبد» (أشعياء ٣٤/ ٥).

وعن النار يقول سفر الرؤيا إنها تحرق ثلث الأشجار والأعشاب وأنها تطال البحر فتهلك ثلث الحيوانات فيه وثلث السفن وأنها تطال الأنهار والينابيع (الرؤيا ٨/ ٦ ـ ١١).

مشاكل البصرة: تتعرض البصرة للزلازل والخسف والغرق. فقد ورد عن رسول الله ﷺ في حديثه إلى أنس بن مالك: «يا أنس أن الناس يمصّرون أمصاراً، وأن مصراً منها يقال له البصرة أو البصيرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلأها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير»[1].

كما جاء عن علي في خطبته في أهل البصرة بعد معركة الجمل: «... كأني أنظر إلى قريتكم هذه وقد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلاّ شرف المسجد كأنه جوجؤ طير في لجة بحر»[2] وجاء عنه أيضاً: «إذا صاح الناقوس... واضطربت البصرة وغلب بعضها بعضها... وإلا وهو الوقت الذي وعدتم به»[3].

فيضان الفرات: وردت الأحاديث عن أئمة أهل البيت حول حصول فيضان في الفرات، ويبدو أن هذا الفيضان ناجم عن الأمطار الغزيرة التي

(١) أبو داود ملاحم ١٠ ومسند أحمد ١٣٦/٥، راجع كذلك ملاحم ابن المنادي، ص ٣ و٣٩، ومصابيح البغوي ٤٨٦/٣، وكنز العمال، ٣٠٧/١٢.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، م١، ج١، ص ١٣.

(٣) مشارق البرسي، ص ١٦٦ ـ ١٧٠، والإيقاظ من الهجمة، ص ١٣٧٥.

ستسقط في السنة المطيرة التي تسبق قيام القائم والتي يصفها الإمام الصادق بقوله: «إن قدام القائم عليه السلام لسنة غيداقة يفسد فيها الثمار والثمر في النخل فلا تشكوا في ذلك»[1].

ثم أن المطر سيصل إلى أزقة النجف حيث ورد عن لسان الإمام السجاد عليه السلام: «إذا ملأ هذا نجفكم السيل والمطر.. فتوقعوا ظهور القائم المنتظر»[2].

ويؤكد الإمام علي عليه السلام دخول ماء الفرات إلى النجف بقوله: «إذا وقعت النار في حجازكم وجرى الماء بنجفكم فتوقعوا ظهور القائم»[3] وهناك مصادر تؤكد دخول الفرات إلى الكوفة حيث ورد عن الإمام علي عليه السلام في جوابه على سؤال ابن عباس: ما أقرب الحوادث الدالة على الظهور؟ إذ يقول: «إذا فتق بثق في الفرات فبلغ أزقة الكوفة»[4] كما ورد عن الصادق عليه السلام: «سنة الفتح ينبثق الفرات حتى يدخل أزقة الكوفة»[5].

جفاف الفرات وانحساره عن كنز:

ورد في عدد من المصادر حديث شريف يؤكد انحسار الفرات عن كنز من ذهب يؤدي إلى قتال شديد «يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مئة تسعون، أو قال: تسعة وتسعون، كلهم يرى أنه ينجو»[6].

وقد جاء في رؤيا يوحنا في العهد الجديد: «ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير، الفرات فنشف ماؤه لكي يعيد طريق الملاك الذي من مشرق الشمس.

---

(١) الإرشاد، ص ٣٦١ وغيبة الطوسي، ص ٢٧٢، وأعلام الورى، ص ٤٢٨، والخرائج: ٣/ ١١٦٤، ومنتخب الأنوار المضيئة، ص ٣٥.

(٢) الصراط المستقيم، ٢/ ٢٥٩، وإثبات الهداة، ٣/ ٥٧٨، وبشارة الإسلام، ص ٨٣.

(٣) الصراط المستقيم، ٢/ ٢٥٨، وإثبات الهداة، ٣/ ٥٧٨.

(٤) الصراط المستقيم، ٢/ ٢٥٨، وإثبات الهداة، ٣/ ٥٧٨.

(٥) الإرشاد، ص ٣٦١، وغيبة الطوسي، ص ٢٧٣ و٢٧٤، وأعلام الورى، ص ٤٢٩، والخرائج، ٣/ ١١٦٤.

(٦) البخاري، فتن ٢٤، ومسلم فتن ٢٩ و٣٠ وأبو داود ملاحم ١٢ و١٣، والترمذي جنة ٢٦، وابن ماجة فتن ٢٥ وابن حنبل، ٢/ ٢٦١، و٣٠٦ و٣٣٢ و٣٤٦ و٤١٥ و٥/ ١٣٩ و١٤٠ و٦/ ٤٥٤.

وهناك أحاديث تتحدث عن اقتتال على الفرات بسبب الأموال وربما كانت تشير إلى الأمر نفسه منها حديث يقول: «يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم. ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يُقتله قوم»[1]. ومنها حديث يقول: «يكون ناحية الفرات في ناحية الشام أو بعدها بقليل مجتمع عظيم، فيقتتلون على الأموال، فيقتل من كل تسعة سبعة وذلك بعد الهدّة والواهية في شهر رمضان، وبعد افتراق ثلاث رايات يطلب كل واحد منهم الملك لنفسه، فيهم رجل اسمه عبدالله»[2].

وقد ورد في سفر الرؤيا (٩/ ١٣ ـ ٢٠) أنه لما بوّق الملاك السادس انفك الأربعة الملائكة المقيدون عند نهر الفرات العظيم «المعدون للساعة واليوم والشهر والسنة لكي يقتلوا ثلث الناس وعدد جيوش الفرسان مئتا ألف ألف وأنا سمعت عددهم. وهكذا رأيت الخيل في الرؤيا والجالسين عليها لهم دروع نارية واسمانجونية وكبريتية (قارن مع الحمم والقذائف) ورؤوس الخيل كرؤوس الأسود ومن أفواهها يخرج نار ودخان وكبريت (من مدافع الدبابات) ومن هذه الثلاثة قتل ثلث الناس من النار والدخان والكبريت الخارجة من أفواهها. فإن سلطانها هو في أفواهها وفي أذنابها لأن أذنابها شبه الحيات لها رؤوس وبها تضر. وأما بقية الناس الذين لم يقتلوا بهذه الضربات فلم يتوبوا عن أعمال أيديهم...».

كما جاء فيه (١٦/ ١٢): وصب الملاك «الحارس كأسه على نهر الفرات العظيم فجف ماؤه ليمر الملوك الآتين من الشرق».

---

(١) ابن ماجة فتن ٣٤، الروياني ص ١٢٣ وملاحم ابن المنادي، ص ٤٤، الداني، ص ٩٣، ودلائل النبوة، ٦/ ٥١٥. وبيان الشافعي، ص ٤٨٩ و٥٢٠، وعقد الدرر، ص ٥٧ و١٢٦، وتذكرة القرطبي، ص ٦٩٩، وفتن ابن كثير، ١/ ٤٢، وعرف السيوطي الحاوي، ٢/ ٦٠، والخصائص الكبرى، ٢/ ١٠١٩، والدر المنثور، ٦/ ٥٨، ومجمع الجوامع، ١/ ١٠٠٦، والبحار، ٥١/ ٨٣.

(٢) ابن حماد، ص ٩٢، وعقد الدرر، ص ٥٨.

الجراد: ورد عن علي عليه السلام حديث حول ظهور الجراد يقول: «بين يدي القائم موت... وجراد في غير حينه»[1] وقد ورد في التوراة أخبار كثيرة عن الجراد فقد جاء في سفر يوئيل / ١: «اسمعوا أيها الشيوخ واصغوا يا جميع سكان الأرض... فضلة القمص أكلها الزحّاف وفضلة الزحاف أكلها الغوغاء وفضلة الغوغاء أكلها الطيار (وهذه كلها أنواع من الجراد)»، كما جاء في الإصحاح الثاني من السفر نفسه (رقم ٢٥ وما بعده): «السنين التي أكل الجراد والغوغاء والطيار والقمّص، جيشي العظيم الذي أرسلته».

وقد تحدث سفر الرؤيا عن الجراد فقال أنه لما فتح بئر الهاوية صعد دخان ومن الدخان خرج جراد... «وشكل الجراد شبه خيل مهيأة للحرب وعلى رؤوسها كأكاليل شبه الذهب ووجوهها كوجوه الناس وكان لها شعر كشعر النساء وكانت أسنانها كأسنان الأسود، وكان لها دروع كدروع من حديد وصوت أجنحتها كصوت مركبات خيل كثيرة تجري إلى قتال، ولها أذناب شبه العقارب وكانت في أذنابها حمات وسلطانها أن تؤذي الناس خمسة أشهر» الرؤيا ٩/ ١٠٠١ (قارن مع الطيران اليوم).

الموت المتمادي:

ينتشر الموت قبل قيام القائم سواء في الحرب أو نتيجة للأمراض، فيقتل أغلب الناس، وهذا ليس غريباً في زمن أسلحة الدمار الشامل. أما موضوع الأمراض التي نرى اليوم أنها أصبحت قليلة الآثار خصوصاً الأمراض السارية، فإن الأسلحة الجرثومية وربما الذرية والنووية كفيلة بنشرها. وهكذا يقول علي عليه السلام: «بين يدي القائم موت أحمر وموت أبيض وجراد في حينه وجراد في غير حينه أحمر كالدم. فأما الموت الأحمر فبالسيف وأما الموت الأبيض

(١) النعماني، ص ٢٧٧ و٢٧٨ والإرشاد، ص ٣٥٩، وغيبة الطوسي، ص ٢٦٧، والخرائج، ٣/ ١١٥٢، وعقدالدرر ص ١٥، وكشف الغمة، ٣/ ٢٤٩، والفصول المهمة، ص ٣٠١، والصراط المستقيم، ٢/ ٢٤٩، وكشف النوري، ص ١٧٥.

فبالطاعون»[1]. كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «قدام القائم موتان: موت أحمر وموت أبيض. حتى يذهب من كل سبعة خمسة، الموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون»[2].

وقد تفاوتت نسب القتلى، ففي حديث لأمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث الناس ويموت ثلث ويبقى ثلث»[3]. وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلث الناس»[4] وقد ورد: ثلثا الناس ولعل الخطأ من النساخ، لأن سائر الأحاديث تحدد نسبة أعلى، كما ورد أعلاه وفي أحاديث أخرى حيث يقول الإمام الصادق في مكان آخر.. «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب تسعة أعشار الناس»[5]. وإذا صحت الأحاديث جميعاً، فيمكن أن تكون مشيرة إلى نسب متفاوتة بين قطر وقطر، ولعل أكثر الناس تأثراً أهل العراق حيث ورد عن الصادق عليه السلام: «يزجر الناس قبل قيام القائم عن معاصيهم بنار تظهر في السماء وحمرة تجلّل السماء، وخسف ببغداد وخسف ببلدة البصرة ودماء تسفك بها وخراب دورها وفناء يقع في أهلها وشمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار»[6].

ولعل ما يحصل في العراق اليوم شيء مما ورد.

ومن بين الحروب قتال «من صفر إلى صفر»[7] حتى تطال الحرب

(١) النعماني، ص ٢٧٧، والإرشاد، ص ٣٥٩، وغيبة الطوسي، ص ٢٦٧، وعقد الدرر، ص ٦٥، والخرائج، ٣/ ١١٥٢.
(٢) كمال الدين، ٢/ ٦٥٥، العدد القوية، ص ٦٦، وحلية الأبرار، ٢/ ٦٨٢.
(٣) ابن حماد، ص ٩١، والداني ص ٩٤، وعقد الدرر ص ٦٣، وعرف السيوطي الحاوي، ٢/ ٦٨، وفرائد الفكر، ص ٧، وملاحم ابن طاووس، ص ٥٨، ومنتخب الأثر، ص ٤٥٣.
(٤) كمال الدين، ٢/ ٦٥٥، وغيبة الطوسي، ص ٢٠٦، والعدد القوية، ص ٦٦.
(٥) النعماني، ص ٢٧٤، حلية الأبرار، ٢/ ٦٨٢.
(٦) الإرشاد، ص ٣٦١، أعلام الورى، ص ٤٢٩، إثبات الهداة، ٣/ ٧٣٣، و٧٤٢.
(٧) الصراط المستقيم، ٢/ ٢٥٨، وإثبات الهداة، ٣/ ٥٧٨.

الحرم[1] ويسلب الحاج[2]. وذلك بعد تحارب القبائل «فتكون ملحمة بمنى فيكثر فيها القتلى وتسفك فيها الدماء، حتى تسيل دماؤهم على عقبة الجمرة حتى يهرب صاحبهم فيؤتى بين الركن والمقام فيبايع وهو كاره»[3] (وهو المهدي). كما جاء عن رسول الله ﷺ أيضاً: «يحج الناس معاً ويعرّفون معاً على غير إمام، فبيناهم نزول بمنى إذ أخذهم كالكلب، فثارت القبائل بعضها إلى بعض واقتتلوا حتى تسيل العقبة دماء، فيفزعون إلى خيرهم فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي، كأني أنظر، إلى دموعه، فيقولون: هلم فلنبايعك»[4].

ياجوج وماجوج

تنسب بعض المصادر إلى رسول الله أنه عدّ خروج يأجوج ومأجوج من الآيات الدالة على ظهور المهدي إذ يقول: «يأجوج ومأجوج أمم، كل أمة أربعمائة ألف، لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه وهم ولد آدم فيسيرون إلى خراب الدنيا، يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق، فيمرون بأنهار الدنيا فيشربون الفرات ودجلة وبحيرة طبرية، حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون: قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من في السماء، فيرمون بالنشاب إلى السماء فترجع نشابهم مخضبة بالدم. فيقولون: قد قتلنا من في السماء، وعيسى والمسلمون بجبل طور سينين، فيوحي الله جل جلاله إلى

---

(١) النعماني، ص ٢٦٧، والبحار، ٥٢/ ٢٩٦ و٢٩٧، وبشارة الإسلام، ص ١٣٩.

(٢) ابن حماد، ٥٩ ـ ٦٠، الطبراني الأوسط، ١/ ٣١٣، الحاكم، ٤/ ٥١٧، أمالي الشجري، ٢/ ١٥ و١٦ و٢٧ وعقد الدرر، ص ١٠١ ـ ١٠٤، المنار المنيف، ص ١١٠، عرف السيوطي الحاوي ٢/ ٨٢، ملاحم ابن طاوس، ص ٤٥ و٦٢ و١٤٠، ومنتخب الأثر، ص ٤٥٠.

(٣) ابن حماد، ص ٣٩، وملاحم ابن المنادي، ص ٣٩ و٦٦، والحاكم، ٤/ ٥٠٣، والداني، ص ٨٥، وعقد الدرر، ص ١٠٣ وعرف السيوطي الحاوي، ٢/ ٦٦، وكنز العمال، ١٤/ ٢٦٩، والإذاعة ص ١٣٤، والعطر الوردي ص ٦٣، والمغربي، ص ٥٦٦.

(٤) الحاكم، ٤/ ٥٠٣ وابن طاووس، ص ٦٢، وعقد الدرر، ص ١٠٩، وعرف السيوطي الحاوي، ٢/ ٧٦، القول المختصر، ص ١٨، وبرهان المتقي، ص ١٤٣، والعطر الوردي، ص ٦٣، وفراد الفكر، ص ٨.

عيسى أن أحرز عبادي بالطور وما يلي أيلة. ثم أن عيسى يرفع رأسه إلى السماء ويؤمّن المسلمون، فيبعث الله عليهم دابة يقال لها النغف، تدخل من مناخرهم فيصبحون موتى من حاق الشام إلى حاق العراق حتى تنتن الأرض من جيفهم، ويأمر الله السماء فتمطر كأفواه القرب. فتغسل الأرض من جيفهم ونتنهم، فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها»[1].

وجاء من طريق آخر أن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كان شعاع الشمس، قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرون غداً، فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدّتهم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم على الناس، حفروا حتى إذا كانوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، إن شاء الله، ويستثني، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس...»[2].

ولكن الطبري يروي حديثاً مشابهاً عن أبي الصيف عن كعب الأحبار[3] وكل هذه الأحاديث تربط خروج يأجوج ومأجوج بظهور عيسى بن مريم.

ولكن اليوم وبعد أن انفتح العالم بعضه على بعض ولم يعد أي مكان مغلقاً، لا يعرف الناس شعباً بالمواصفات المذكورة ولا سداً يحجزه. فيبقى أن مسألة يأجوج ومأجوج مسألة مضت في التاريخ، وسوف نحدّد متى.

جاء في التوراة في سفر أشعياء ٢٤/ ٢١ «ويكون في ذلك اليوم أن الرب يطالب (يعاقب) جند العلاء (السماء) في العلاء وملوك الأرض على الأرض ويجمعون جميعاً كأسارى في حبس». ولعل هذا هو أصل محاربة يأجوج ومأجوج أهل الأرض وأهل السماء. ونحن نشك في كل هذه الرواية.

---

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان، ١٧/ ٦٩، راجع كذلك مسند أحمد، ٢/ ٥١٠، والترمذي.
(٢) مسند أحمد، ٢/ ٥١٠، عن أبي هريرة وابن ماجه، ٢/ ١٣١٤، عن أبي هريرة والترمذي، ٥/ ٣١٣، عن أبي هريرة.
(٣) الطبري، جامع البيان، ١٧/ ٧١.

وقد جاء في حزقيال ٣٨/ ٣ حول يأجوج: «ها أنذا عليك ياجوج (يأجوج) رئيس ما شك وتوبال... أخرج أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً كلهم لابسين أفخر الثياب، جماعة عظيمة مع أتراس ومجانّ كلهم ممسكين السيف فارس وكوش وفوط معهم كلهم بمجن وخوذة. وجو مر وكل جيوشه وبيت توجرمة من أقاصي الشمال».

كما جاء في نفس السفر إصحاح ٣٩/ ١: «وأنت يا ابن آدم تنبّأ على جوج وقل: هكذا قال السيد الرب: ها أنذا عليك ياجوج رئيس روش وماشك وتوبال وأردّك وأقودك وأصعدك من أقاصي الشمال وآتي بك على جبال إسرائيل واضرب قوسك من يدك اليسرى وأسقط سهامك من يدك اليمنى...» فليس من ذكر للمسيح عليه السلام.

إذاً فيأجوج ومأجوج يقيمون خلف سد في منطقة قريبة من بلاد فارس. وقد حدّدهم صاحب الميزان[1] بعد بحث وتحقيق بالمغول بعد استنفاد القرائن التاريخية من جهة وبعد مقارنة الأسماء، إذ أن المغول باللغة يسمون «المنكوك أو المنجوك وهي في التراجم اليونانية للعهد القديم (توك ومأكوك) والشبه واضح مع جوج أو يأجوج ومأجوج. وقد روّع المغول بلاد المسلمين سابقاً، فتكون هذه الإمارة قد مرت.

والملاحظة التي يجب سوقها أن المفسرين المسلمين وحتى الرواة نقلوا التفاصيل عن كعب الأحبار لا عن الرسول صلى الله عليه وآله. وقد كان ديدن بعض الرواة عن الرسول، أن يسمع الخبر من غيره فيدّعي أنه من الرسول مباشرة سمعه، وأنه قد يخلط أحاديث الرسول بأحاديث غيره[2].

أما السدّ فكان قائماً في مضيق في جبال القوقاز يسمّى مضيق «داريال» ويسمى باللغة المحلية «دميرقابو» أي باب الحديد.

---

(١) راجع محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن.

(٢) راجع محمود أبو رية، أبو هريرة، دار المعارف بمصر، ط ٣.

دابة الأرض:

يقول الله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾.

وقد جاء على لسان الرسول ﷺ أن هذه الدابة هي من علامات الساعة إذ ورد: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة»[1]. كما ورد: «أن الساعة لا تقوم حتى يكون عشر آيات: الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها وثلاثة خسوف... ونزول عيسى بن مريم وفتح يأجوج ومأجوج ونار تخرج من قعر عدن..»[2].

أما عن أوصاف هذه الدابة وأفعالها فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «ألا ويُنشر الصف وتخرج منه الدابة أول رأسها، ذات وبر وريش فيها من كل الألوان، معها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام، تسم المؤمن مؤمناً، وتسم الكافر كافراً، تنكت وجه المؤمن بالعصا فتتركه أبيض وتنكت وجه الكافر بالخاتم، فتتركه أسود، فلا يبقى أحد في سوق ولا برية إلا وسمت وجهه»[3].

وقد جاء في التوراة: «وصرخ (الرب) في سمعي بصوتٍ عالٍ قائلاً: قرّب وكلاء المدينة (أو المركلون بمعاقبة المدينة) كل واحد وعدته المهلكة بيده وإذا بستة رجال مقبلين من طريق الباب الأعلى الذي هو من جهة الشمال، وكل واحد عدته الساحقة بيده، وفي وسطهم رجل لابس الكتان (لباس

---

(١) صحيح مسلم، إيمان ٢٤٩ ومسند أحمد، ٢/١٦٤ و٢٠١ و٣٢٤ و٣٣٧ و٤٠٧ و٤٤٥ و٥/٣٥٧ والترمذي تفسير سورة ٦١، ٩ - ٢٧، وابن أبي شيبة، ١٥/١٧٨، وتفسير الطبري ٨/٧٦، والطبراني الكبير ٩/١٩٧، ومنتخب الأثر، ص ٤٦٢.

(٢) مسلم فتن ٣٩ و٤٠ و١١٨ و١٢٩، ومسند أحمد ٦/٤ و٧، وابن ماجة، فتن ٢٨ و٣١، والترمذي فتن ٢١، وغيبة الطوسي، ص ٢٦٧.

(٣) مسند أحمد، ٢/٢٩٥ و٤٩١ و٥/٢٦٨، وعقد الدرر، ص ٣١٧، ومختصر بصائر الدرجات، ص ١٠٦ و٢٠٧، وتأويل الآيات الظاهرة ١/٤٠٤، والإيقاظ من الهجمة ص ٢٨٣، والبحار ٣٩/٢٤٣ و٥٣/١١٠، والدر المنثور ٥/١١٧.

الكهان) وعلى جانبه دواة كاتب. فدخلوا ووقفوا جانب مذبح النحاس. ومجد إله إسرائيل صعد عن الكروب الذي كان عليه، إلى عتبة البيت. فدعا الرجل اللابس الكتان الذي دواة الكاتب على جانبه، وقال له الرب: أعبر في وسط المدينة في وسط أورشليم وسم سمة على جباه الرجال الذين يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة في وسطها. وقال لأولئك في سمعي: اعبروا في المدينة وراءه واضربوا، لا تشفق أعينكم ولا تعفوا: الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك، ولا تقربوا من إنسان عليه السمة وابتدئوا من مقدسي. فابتدأوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت. وقال لهم نجِّسوا البيت املأوا الدور قتلى. اخرجوا فخرجوا وقتلوا في المدينة» (حزقيال/ ٨).

وقد جاء في سفر الرؤيا: «ورأيت ملاكاً آخر طالعاً من مشرق الشمس معه ختم الله الحي، فنادى بصوت عظيم إلى الملائكة الأربعة الذين أعطوا أن يضربوا الأرض والبحر قائلاً: لا تضربوا الأرض ولا البحر ولا الأشجار حتى نختم عبيد إلهنا على جباههم» (الإصحاح ٧/ ١ ـ ٣).

معركة قرقيسيا:

ويذكر الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام معركة ستنشب في قرقيسيا بين العباسيين والمروانيين فيقول: «إن لولد العباس والمرواني لوقعة بقرقيسيا، يشيب فيها الغلام الحزور، يرفع الله عنهم النصر، ويوصي إلى طير السماء وسباع الأرض: اشبعي من لحوم الجبارين، ثم يخرج السفياني»[1]. والواقع أن الإمام الباقر توفي في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١١٤هـ حوالي سنة ٧٣٢ أو ٧٣٣م أي قبل هزيمة الأمويين وزوال ملكهم. ولكن المصادر تنسب إلى الإمام الصادق حديثاً بنفس الموضوع يقول: «إن لله مائدة (أو مأدبة) بقرقيسيا، يطلع مطلع من السماء فيناديه: يا طير السماء ويا سباع الأرض، هلمّوا إلى الشبع من لحوم الجبارين»[2]. والإمام الصادق عاش إلى عهد أبي

(١) النعماني، ص ٢٦٧، والبحار ٥٢/ ٢٥١، وبشارة الإسلام، ص ٢٠.

(٢) غيبة النعماني، ص ٢٧٨، وعقد الدرر، ص ٨٧، وإثبات الهداة ٣/ ٧٣٩، والبحار ٥٢/ ٢٤٦.

جعفر المنصور، أي إلى ما بعد استيلاء العباسيين على الحكم بـ ١٦ سنة، فإذا صحت نسبة الحديث إليه يكون مستقبلياً ولم يحصل مضمونه بعد.

إلا أن هناك حديثاً منسوباً إلى الإمام علي عليه السلام يرى أن السفياني سيكون له وقعة عظيمة بقرقيسيا، إلا أن الحديث ورد مرسلاً في عقد الدرر ص ٩٠ ـ ٩٩. فلا يمكن الركون إليه لجهة ما يختص به من كون السفياني هو الذي سيجتاز إلى هذا المكان.

وقد ورد في العهد الجديد في رؤيا القديس يوحنا، وهي الرؤيا التنبؤية الأساسية في هذا العهد: «ورأيت ملاكاً واحداً واقفاً في الشمس فصرخ بصوت عظيم، قائلاً لجميع الطيور الطائرة وسط السماء، هلمّ اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم لكي تأكلي لحوم ملوك ولحوم قواد ولحوم أقوياء ولحوم خيل والجالسين عليها ولحوم الكل حراً وعبداً صغيراً وكبيراً» (١٨/١٩).

قتل أهل مصر أميرهم: ورد من علامات الظهور أيضاً قتل أهل مصر أميرهم، وقد أتى به المفيد في الإرشاد مرسلاً وأخذ عنه في بشارة الإسلام[١]، فهل هو قتل أنور السادات أم أنه مقتل أمير أو رئيس آخر، هذا ما لا يستطيع أحد الجزم به.

قتل خليفة بالعراق: جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله في عقد الدرر من حديث أبي الحسن الربعي المالكي بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال أنه يبعث الله من دمشق بعثاً... «فإذا قتل الخليفة بالعراق خرج عليهم رجل مربوع القامة، كث اللحية، أسود الشعر، براق الثنايا، فويل لأهل العراق من أتباعه المراق... ثم يخرج المهدي من أهل البيت...»[٢].

وورد على لسان الإمام الصادق عليه السلام: «بينا الناس وقوف بعرفات إذ أتاهم راكب على ناقة ذعلبة يخبرهم بموت خليفة يكون عند موته فرج آل محمد صلى الله عليه وآله وفرج الناس جميعاً»[٣].

---

(١) الإرشاد، ص ٣٥٧، وبشارة الإسلام، ص ١٧٥.

(٢) عقد الدرر، ص ٤٥.

(٣) النعماني، ص ٢٦٧. وعقد الدرر، ص ١٠٦، وبرهان المتقي، ص ١٠٩، وإثبات الهداة=

وجاء عن لسان علي عليه السلام بهذا المعنى: «بعد خراب البصرة» يولى عليكم خليفة فظ غليظ، يسمّى في السماء القتّال وفي الأرض الجبّار، فيسفك الدماء ثم يمزج الدماء بالماء، فلا يقدر على شربه، ويهجم عليهم الأعراب، وعند هجوم الأعراب يقتل الخليفة فيفشو الجور والفجور بين الناس وتجيئكم رايات متتابعات...»[1].

أما ما يحدث بعد موت الخليفة فيحدده الحديث الشريف القائل: «علامة المهدي إذا انساب عليكم الترك ومات خليفتكم الذي يجمع الأموال ويستخلف بعده (رجل) ضعيف (أو صحيح) فيخلع بعد سنتين من بيعته...»[2].

الحروب: يعم الاقتتال مختلف بلاد المسلمين وتنشب الحروب بينهم وبين غيرهم لكن تلتبس الأمور لدى قراءة المصادر وهذا ما سيتبين من تناولها، ومن أهم الحروب:

المغرب ضد مصر والشام: جاء في المصادر أنه من علامات المهدي «خروج أهل المغرب إلى مصر»[3] كما جاء: «علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة»[4]. وهذه الألوية تدخل أوائلها مسجد دمشق[5]. فهل هذه الأحاديث تشير إلى حكم الفاطميين الذين انطلقت

= ٣/٧٣٧، والبحار ٥٢/ ٢٤٠، ومنتخب الأثر، ص ٤٤٤.

(١) ملاحم ابن طاووس، ص ١٢٤.

(٢) ابن حماد، ص ٩٢، ملاحم ابن المنادي، ص ٤٤. الداني، ص ٧٨، وعقد الدرر، ص ٤٦ و٥٢ و٦٤، وعرف السيوطي الحاوي ٢/ ٦٨ و٧٦ وبرهان المتقي، ص ٧٥، وغيبة الطوسي، ص ٢٦٨ و٢٧٨، وملاحمابن طاوس، ص ٥٨، والبحار ٥٢/ ٢٠٧، ومنتخب الأثر، ص ٤٥١.

(٣) ملاحم ابن المنادي، ص ٤٤، والداني ص ٧٨، وعقد الدرر، ص ٤٦ و٥٢ و٦٦ وعرف السيوطي الحاوي ٢/ ٦٨ و٧٦، وبرهان المتقي، ص ٧٥، وغيبة الطوسي، ص ٢٦٨ و٢٧٨، وملاحم ابن طاوس، ص ٥٨، ومنتخب الأثر، ص ٤٥١.

(٤) ابن حماد، ص ٩١، وملاحم ابن المنادي، ص ٤٤، والداني، ص ٧٣، وعقد الدرر، ص ٥١، وابن طاوس، ص ٧٧، وعرف السيوطي، الحاوي ٢/ ٧١، والفتاوى الحديثية، ص ٣١، والقول المختصر، ص ٢٣، وبرهان المتقي، ص ١٥٠ وفرائد فوائد الفكر، ص ١٤.

(٥) ابن حماد، ص ٧١، وعقد الدرر، ص ٥٣، والعطر الوردي، ص ٦١.

جيوشهم من المغرب وصولاً إلى مصر فالشام، أم هي موضوعة لخدمة مخططات الفاطميين في ذلك الوقت، أم هي تشير إلى أمور مستقبلية، الله وحده أعلم.

ولعل ما يشككنا بعلاقة هذا الأمر بالظهور ويكونه من علاماته القريبة هو أن أئمة أهل البيت لم يشيروا إليه باستثناء حديثين نسبا إلى علي عليه السلام الأول يجعل «الرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام» وذلك قبل خسف حرستا وقبل ظهور السفياني[1].

أما الحديث الثاني فقد أتى مرسلاً عن علي عليه السلام في عقد الدرر (ص ٩٠ ـ ٩١)، الأمر الذي يشككنا في كون هذه الأحداث قريبة الحصول من عهد القائم عليه السلام.

الترك: حول الترك ورد نوعان من النشاط الأول: اختلاف الترك والروم، والثاني نزولهم في الجزيرة: فحول اختلافهم مع الروم ورد: «إذا انسابت عليكم الترك وجهزت الجيوش إليكم... وتخالف الروم والترك ويظهر الحروب في الأرض..»[2].

وقد حصل تخالف الترك مع الروم في العهد السلجوقي والسلجوقيون أتراك وكذلك في عهد العثمانيين وصولاً إلى الحرب العالمية الأولى، لذلك فإننا نعتقد أن هذه الأمور قد انتهت، وما يرجح هذا الاعتقاد هو أن أئمة أهل البيت لم يشيروا إليها.

أما نزول الترك في الجزيرة فقد ورد في المصادر الإسلامية عن الرسول صلى الله عليه وآله: عدة أحاديث حول ارتباط نزول الترك إلى الجزيرة وقتال السفياني إياهم ثم المهدي، يقول صلى الله عليه وآله: «إذا ظهر الترك والخزر بالجزيرة

(١) النعماني، ص ٣٠٥، وغيبة الطوسي، ص ٢٧٧، والبحار ٥٢/ ٢١٦. والبدء والتاريخ ٢/ ١٧٧، والخرائج ٣/ ١٥١، والعدد القوية، ص ٧٦، ومنتخب الأنوار المضيئة، ص ٣٩، وفرائد فوائد الفكر، ص ١٤، وإثبات الهداة، ٣/ ٧٣٠، وبشارة الإسلام، ص ٥٣.

(٢) الداني، ص ٧٨، وغيبة الطوسي، ص ٢٧٨، والبحار ٥٢/ ٢٠٧.

وآذربيجان. . .»[1] «ويقاتل السفياني الترك ثم يكون استئصالهم على يدي المهدي، وهو أول لواء يعقده المهدي يبعثه إلى الترك»[2]، كما ورد: «الملاحم خمس مضى منها اثنتان وبقي ثلاث: فأولاهن ملحمة الترك بالجزيرة، وملحمة الأعماق (لعلها ملحمة الروم في داخل الشام) وملاحم الدجال ليس بعدها ملحمة»[3].

هذا وقد فسّر بعضهم الترك، بأنهم الترك غير المسلمين في شرق آسيا وأوروبا، يقول الشيخ علي الكوراني: «. . . الترك أو أخوان الترك كما تسميهم الأحاديث والذين يظهر أنهم الروس»[4].

إلا أننا لا نرى ضرورة لهذا التفسير، على ضوء المعاهدة المعقودة بين تركيا نفسها والصهاينة، فتركيا لم تعد دولة مسلمة في حكمها ولا جيشها الأمر الذي يضعها في صف آخر غير الصف الإسلامي ويستدعي عند إعادة نشر الإسلام أن تسلم من جديد.

وفي مطلق الأحوال وفي ضوء الظروف الحاضرة، فإنه ليس مستبعداً أن يفكر الأتراك بالتقدم باتجاه سوريا إذا استطاعوا ذلك. وهم الذين هدّدوا بمهاجمتها في الآونة الأخيرة.

نزول الروم في عمق الشام:

ورد في الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ أن الروم ينزلون الشام ويجبون الأموال لصالحهم لا لصالح أهل الشام، ففي فتن ابن حماد: «إذا ظهر

---

(١) ابن حماد، ص ٥٩.

(٢) ابن حماد، ص ٥٨، ومصابيح البغوي فقد أثمن عقد الدرر، ص ١٧٠ و٢٢١، وعرف السيوطي، الحاوي ٢/ ٧٨، وبرهان المتقي، ص ٨٨، وملاحم ابن طاووس، ص ٤١.

(٣) ابن حماد، ص ١٣٢ و١٤١ و١٤٨ و١٥٤ و١٦٧ و١٦٨ و١٩١ و١٩٢، وتهذيب ابن عساكر، ١/ ٥٢، وأمالي الشجري ٢/ ٢٦٦.

(٤) عصر الظهور، مؤسسة الشهيد سنة ١٤٠٨، ص ٢٢٠، راجع كذلك معجم أحاديث المهدي، ج٢، ص ٥٠٢.

الترك والخزر بالجزيرة وآذربيجان والروم بالعمق وأطرافها، قاتل الروم رجل من قيس من قنسرين»[1] والعمق: اسم كان في جهات حلب، أو هو عمق الشام كما سيظهر بعد قليل. وورد في سنن الداني: «... وينزل الترك الجزيرة وينزل الروم فلسطين»[2] كما ورد: «يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مد. قلنا: ومن أين ذاك؟ قال: من قبل الروم يمنعون ذلك»[3].

هذا وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن السفياني يقاتل الترك والروم[4].

اقتتال فئتين من العجم دعواهما واحدة:

جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة»[5].

ولكننا لم نجد تأكيداً واضحاً لهذا الحديث فيما نقله أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله.

تقارب الزمان:

ورد بين الإشارات السابقة للظهور «تطاول البنيان» و «تقارب الزمان»، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة أو الخوصة»[6].

---

(١) ص ٥٩.

(٢) ص ٧٨، وعقد الدرر، ص ٤٦، وغيبة الطوسي، ص ٢٧٨، والبحار ٥٢/ ٢٠٧، ومنتخب الأثر، ص ٤٥١.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٣١٧، والحاكم ٤/ ٤٥٤، ودلائل النبوة ٦/ ٣٣٠، الداني، ص ٩٨. وعقد الدرر، ص ١٦١ و١٦٢.

(٤) ابن حماد، ص ٥٩ و٨٢.

(٥) مسند أحمد، ٢/ ٣١٣ و٥٣٠، وصحيح مسلم فتن، باب نزول الفتن كواقع المطر، والبخاري فتن ٢٦.

(٦) مسند أحمد ٢/ ٢٣٣، ٣١٣ و٥١٩ و٥٢٥ و٥٣٠ و٥٣٨، وسنن الترمذي زهد ٢٤، والخطابي، معالم السنن ٤/ ٣٤١، وأبو يعلى ١٢/ ٣٢، وحلية الأولياء ٩/ ٥٩، وأمالي الشجري ٢/ ٢٦٥، =

ويلاحظ على هذا الحديث ظاهراً التهافت وذلك لأن نسبة تقارب الزمن ليست واحدة، فإذا أصبحت السنة كالشهر يعني أن الزمن تقلّص فأصبح بنسبة ١/ ١٢ وإذا أصبح الشهر كالجمعة فيعني أنه أصبح ١/ ٤ تقريباً وإذا أصبحت الجمعة كاليوم يعني أنه أصبح بنسبة ١/ ٧ وإذا أصبح اليوم كالساعة يعني أنه أصبح أكثر قصراً.

ولعل المقصود به ما يشعر به الإنسان من تسارع الوقت مع تسارع الوسائل التي اخترعت في الانتقال والحساب والحصول على المعلومات وقضاء الحاجات. وقد أثبتت النظرية النسبية أن الزمن يتفاوت بنسب مختلفة حسب السرعة، فيكون الحديث مشيراً إلى هذا الأمر.

وقد رأى إنجيل متى أن تقارب الزمان يحصل رحمة للناس الذين يقاسون العذاب فقال: «سيكون إذ ذاك ضيق شديد لم يسبق له مثيل منذ بدء العالم حتى الآن ولن يكون مثله من بعده، ولو لم تقصّر تلك الأيام، لما كان ينجو حي، لكنها ستقصر تلك الأيام من أجل المختارين» متى ٢٤/ ٢١ و٢٢.

تطاول البنيان:

ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث تشير إلى تطاول البنيان في آخر الزمان[1]. وهذا أمر حصل خصوصاً في هذا القرن حيث أقيمت الأبراج السكنية وناطحات السحاب بشكل لم يعرف في التاريخ.

الفتن:

تركّز الأحاديث الشريفة على انفجار الفتن منذ عهد مبكر، ومن يراجع التاريخ الإسلامي لا تعوزه المصاديق منذ خلافة عثمان حتى اليوم، وما زلنا موعودين بفتن أكثر تمادياً مع توفر الأسلحة الأكثر تطوراً.

= والفردوس ١/ ٣٢٩، ومصابيح البغوي ٣/ ٤٩٠، وكنز العمال ١٤/ ٣٢٧، والبخاري فتن ٢٦، وأبو داود فتن، وابن ماجة فتن ٢٦.

(١) البخاري فتن ٢٦، وأحمد ٢/ ٥٣، ومسلم إيمان ١ و٧.

فقد جاء في الحديث أنه بعد فتح الشام تقوم الفتن: «قلت: وهل يفتح الشام؟ قال: نعم وشيكاً، ثم تقع الفتن بعد فتحها»[1]. والفتن الكبرى بعد فتح الشام بدأت بمقتل عمر بن الخطاب ثم الثورة على عثمان ثم خروج معاوية على علي عليه السلام ثم قتل الحسن والحسين عليهما السلام وقتل كبار أصحاب علي عليه السلام. «ثم يتبع الفتن بعضها بعضاً»[2].

وهذه الفتن تعم مختلف الأقطار الإسلامية، «فتنة تقبل من المدينة، وفتنة بمكة وفتنة تقبل من اليمن، وفتنة تقبل من الشام، وفتنة تقبل من المشرق وفتنة من المغرب، وفتنة من بطن الشام وهي فتنة السفياني»[3]. وهذه الفتن تتمادى مع الزمان في استحلال المحارم، فهناك أربع فتن يذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأولى يستحل فيها الدم، والثانية يستحل فيها الدم والمال، والثالثة يستحل فيها الدم والمال والفرج، والرابعة الدجال»[4] ولعل آخر الفتن أكثرها تمادياً وانتشاراً فهي «كلما قيل انقطعت تمادت، حتى لا يبقى بيت إلاّ دخلته ولا مسلم إلاّ قتلته حتى يخرج رجل من عترتي»[5] وهذه الفتنة لا يبقى فيها «الله محرم إلا استحل»[6].

ولعل هذه الفتنة بأخطر مظاهرها تكون في الشام، وهي تبدأ لأسباب تافهة ولكنها ما تلبث أن يشتد أوارها، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «تكون فتنة بالشام، كأن أولها لعب الصبيان تطفو من جانب وتسكن من جانب فلا تتناهى حتى ينادي مناد أن الأمير فلان»[7].

---

(١) الطبراني ١٨/ ٥١، ومجمع الزوائد ٧/ ٣٢٣، وكنز العمال ١١/ ١٨٣، ومنتخب الأثر، ص١٤٦.
(٢) المراجع نفسها.
(٣) ابن حماد، ص ٨ و٩، والحاكم ٤/ ٤٦٨، وعقد الدرر، ص ٧١، والدر المنثور ٥/ ٢٤١، وكنز العمال ١١/ ١١٦.
(٤) ابن حماد، ص ٨، والطبراني الكبير ١٨/ ١٨٠، وحلية الأولياء ٦/ ٢٣، وكنز العمال ١١/ ١٦٣.
(٥) ابن حماد، ص ٩ و١٠، ومعالم السنن ٤/ ٣٣٦، والحاكم ٤/ ٤٦٦، وحلية الأولياء ٥/ ١٥٨، ومنتخب الأثر، ص ٤٤٢، ومسند أحمد ٢/ ١٣٣، وأبو داود فتن ١.
(٦) عبد الرزاق ١١/ ٣٧٢، ابن حماد، ص ١٠، ابن أبي شيبة ١٥/ ٢٤٦، وعقد الدرر، ص ٦١، والدر المنثور ٦/ ٥٩، وعرف السيوطي، الحاوي ٢/ ٦٥، والمغربي، ص ٥٨٢.
(٧) عبد الرزاق ١١/ ٣٦١، ابن حماد، ص ٦٣ و٩٢ و٩٣، وعرف السيوطي، الحاوي ٢/ ٧٥، =

وهذه الفتنة ربما كانت ما يحصل في لبنان منذ أربعينات القرن الماضي، حيث انفجرت الفتن بين الدروز والموارنة بسبب لعب الأولاد وما زالت حتى اليوم تنفجر بين الحين والحين وهي تكبر وتتعاظم عند كل انفجار، ولعل أهم ما يسهلها هو تفتت بلاد الشام إلى دويلات واحتلال الصهاينة جزءاً ثميناً منها. فقد قال رسول الله ﷺ: «يرسل الله على أهل الشام من يفرق جماعتهم، حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم، وعند ذلك يخرج رجل من أهل بيتي»[1].

الدجال:

الدجال هو صاحب آخر الفتن التي ستحل بالمسلمين حيث ورد عن رسول الله ﷺ: «تكون أربع فتن: الأولى يستحل فيها الدم، والثانية يستحل فيها الدم الفرج، والثالثة يستحل فيها الدم والمال والفرج، والرابعة الدجال»[2]. كما جاء عنه ﷺ: «الملاحم خمس مضى منها ثنتان وبقي ثلاث، فأولاهن ملحمة الترك بالجزيرة وملحمة الأعماق وملاحم الدجال ليس بعدها ملحمة»[3].

خروجه: عد خروجه كما رأينا من علامات ظهور القائم عليه السلام، ولكن هناك عدداً من الأحاديث بذكر أن خروجه بعد ظهور القائم وحربه في بلاد الروم. فقد جاء عن رسول الله ﷺ: «يحكم رجل من بني هاشم في بيت المقدس وتكون هزيمة الروم «وفتح القسطنطينية على يديه ثم يسير إلى رومية فيفتحها ويستخرج كنوزها ومائدة سيمان بن داود عليه السلام، ثم يرجع إلى بيت

= وبرهان المتقي، ص ٣، وفرائد فوائد الفكر، ص ٨.

(١) ابن حماد، ص ٩٦ و٩٧، والطبراني الأسود ١/ ٢٠٣، والحاكم ٤/ ٥٥٣، وتهذيب ابن عساكر ١/ ٧٢، وعقد الدرر، ص ٤٤، ومقدمة ابن خلدون، ص ٢٥٢، ومجمع الزوائد ٧/ ٣١٧، وعرف السيوطي الحاوي ٢/ ٦٢، والدر المنثور ٦/ ٥٧، وكنز العمال، ١٤/ ٥٨٦، والإذاعة ١٢٧ و١٢٨ والعطر الوردي، ص ٦٩ والمغربي، ص ٥٣٦.

(٢) ابن حماد، ص ٨ وص ١٥٥ و١٩٣، ومجمع الجوامع ١/ ٤٨١ و٥٤٥، وكنز العمال ١١/ ١٦٣، والطبراني الكبير ١٨/ ١٨٠، وحلية الأولياء، ٦/ ٢٣.

(٣) ابن حماد، ص ١٣٢ و١٤١ و١٤٨ و١٥٤ و١٦٧ و١٦٨ و١٩١ و١٩٢، تهذيب ابن عساكر ١/ ٥٢، وأمالي الشجري، ٢/ ٢٦٦.

المقدس فينزلها، ويخرج الدجال في زمانه...»[1] وقد حددت بعض الأحاديث أوان خروج الدجال، فقال أحدها: «الملحمة العظمى وخراب القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر أو ما شاء الله من ذلك». وقيل «سبع سنوات»[2].

مخرجه: اختلفت بالآثار في مخرج الدجال، فقيل من المشرق[3]، وقيل من العراق[4]، وقيل من «خلة» بين الشام والعراق[5]، وقيل من خراسان[6]، وقيل من مرو[7]، وقيل من أصفهان ولعل هذا هو الأكثر تواتراً[8]. وما يجمع بين كل الأحاديث خروجه من الشرق، ويبدو أن ما تبقّى وهم باستثناء خروجه من أصفهان نظراً لكثرة الأحاديث عن الرسول ﷺ وعن علي عليه السلام عن

---

(١) ابن حماد، ص ١١٠، ابن طاووس، ص ٨٠، وعقد الدرر، ص ٢٤١.

(٢) راجع مسند أحمد ٤/ ١٨٩ و٥/ وأبو داود ٤، وابن ماجة فتن ٣٥، وابن حماد، ص ١٣٠ و١٣٩ و١٤٧ و١٤٨ و١٩٤، وابن أبي شيبة ١٥/ ٤٠، وتاريخ البخاري، ٨/ ٤٣١، والترمذي فتن ٥٨/ وملاحم ابن المنادي، ص ٣٣، والحاكم ٤/ ٤٢٦ و٤٦٢، والبدء والتاريخ ٢/ ١٨٥، ومصابيح البغوي ٣/ ٤٨٣، وجامع الأصول ١١/ ٩١، وعقد الدرر، ص ٢١٢ و٢١٣ و٢٢١، وفتن ابن كثير، ١/ ٨١، والدر المنثور ٦/ ٥٩ و٦٠، والجامع الصغير ١/ ٤٨٩ و٢/ ٦٧١، وجمع الجوامع ١/ ٤٤٨، وكنز العمال ١٤/ ٣٠٠، وفيض الغدير ٣/ ٢١٠، و٦/ ٢٧٦.

(٣) راجع الطبراني الصغير ١/ ٢٦٠، والحاكم ٤/ ٥٢٨، وتهذيب ابن عساكر ١/ ١٩٥، وكشف الهيثمي ٤/ ١٣٦، ومجمع الزوائد ٧/ ٣٤٨.

(٤) راجع عبد الرزاق ١١/ ٣٩٥ و٣٩٦، وابن حماد، ص ١٤٩، وابن أبي شيبة ١٥/ ١٥٠ و١٦٢، والمطالب العالية ٤/ ٣٥٧.

(٥) راجع مسند أحمد ٤/ ١٨١، الترمذي فتن ٥٩، والحاكم ٤/ ٤٩٢، وتهذيب ابن عساكر ١/ ١٨٨، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٩٤، وكنز العمال ١٤/ ٢٨٥، وتصريح الكشميري، ص ١٠٢.

(٦) ابن حماد، ص ١٤٩، ابن أبي شيبة ١٥/ ١٤٥، أحمد ١/ ٤، ابن ماجة فتن ٣٣ و٣٥، الترمذي فتن ٥٧، الحاكم ٤/ ٥٢٧، وبصائر الدرجات، ص ١٤١، والبحار ٢٦/ ١٨٩ و٥٢/ ١٩٠.

(٧) ابن حماد، ص ١٤٩، وكنز العمال ١٤/ ٥٩٩.

(٨) ابن حماد، ص ١٥٤ و١٥٦ و١٥٠، ومسند أحمد ٣/ ٢٢٤، وابن حماد، ص ١٥٠، وأبو يعلى ٦/ ٣١٧، والبدء والتاريخ ٤/ ٣٥ والحاكم ٤/ ٥٢٨، وفتن ابن كثير ١/ ١٢٢، ومجمع الزوائد ٧/ ٣٣٨، وجمع الجوامع ١/ ٩٩٦، وكنز العمال ١٤/ ٣٢٦، و٣٢٧، وتصريح الكشميري، ص ٢٢١، وابن حبان ٨/ ٢٨٢، وحلية الأولياء ٦/ ٧٧، وابن عساكر ٢/ ١٠٠، وكمال الدين ٢/ ٥٢٥، والخرائج ٣/ ١٣٣، ومنتخب الأثر، ص ٤٢٧، والبحار ٥٢/ ١٩٢.

الرسول ﷺ وللأوصاف اللاحقة والتي تقول إن عامة أتباعه من يهود أصفهان، وقيل أن عدد أتباعه ثمانماية ألف.

حركته، أتباعه: يتحرك الدجال في ثمانين ألف كأن وجوههم المجانّ المطرّقة يلبسون الطيالسة وينتعلون الشعر»[1] ولعل هنا أوصافاً متعلقة بجماعة يأجوج ومأجوج أو غيرهم من الترك، وقيل أن معه سبعين ألفاً من الحاكة[2] أو سبعين ألفاً من المسلمين عليهم السيجان»[3] *، كما جاء أن أول من يتبعه النساء[4] وأنه يتجاوب معه أناس في قبورهم[5].

يهبط الدجال في خور كرمان ثم يتجه صوب البصرة فينزل جبلاً مشرفاً عليها وما إلى جانب ذلك الجبل[6]. ثم يتوجه إلى الشام حيث يصل إلى عقبة أفيق[7] ويتابع سيره إلى بيت المقدس ويحاصرها ثم يتوجه إلى الحجاز فتستعصي عليه المدينة المنورة ومكة المكرمة[8] فيعود من المدينة إلى باب لد[9].

---

(١) ابن حماد، ص ١٩١، وابن أبي شيبة ١٥/ ١٤٦، ومسند أحمد ٢/ ٣٣٧، وأبو يعلى ١٠/ ٣٨٠، وفتن ابن كثير ١/ ١٤٣، ومجمع الزوائد ٧/ ٣٤٥، وكشف الهيثمي ٤/ ١٣٩.

(٢) الفردوس ٥/ ٥١٣، وزهر الفردوس ٤/ ٣٩٣، وجمع الجوامع ١/ ٩٩٦، وكنز العمال ١٤/ ٣٢٦.

(٣) عبد الرزاق ١١/ ٣٩٣، وابن حماد، ص ١٥٦، ومصابيح البغوي ٣/ ٥٠٩، وشرح المقاصد ١/ ٣٠٨.

* السيجان: جمع ساج وهو الطيلسان الضخم الغليظ (راجع لسان العرب).

(٤) الطبراني، الأوسط عن مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٩، وإقامة البرهان للغماري، ص ٣٧، وعقيدة أهل الإسلام، ص ٩٢.

(٥) ابن أبي شيبة ١٥/ ١٤٣، والدر المنثور ٥/ ٣٥٥، وكنز العمال ١٤/ ٦٠٢.
ابن حماد، ص ١٩١، وابن أبي شيبة، ١٥/ ١٤٦، ومسند أحمد ٢/ ٣٣٧، وأبو يعلى ١٠/ ٣٨٠، وفتن ابن كثير، ١/ ١٤٣.

(٦) ابن حماد، ص ١٥٠، وحلية الأولياء ٦/ ١٣، والزمخشري، الفائق ٢/ ١٨٥.

(٧) ابن حماد، ص ١٦١ و١٦٢، وابن أبي شيبة ١٥/ ١٣٦، وأحمد ٤/ ٢١٦، والطبراني، الكبير ٩/ ٥١ و٥٢، والحاكم ٤/ ٤٧٨.

(٨) راجع معجم أحاديث المهدية أحاديث رقم: ٣٩٤ و٤٠٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٣٩، و١١٤٤.

(٩) ابن أبي شيبة ١٥/ ١٣٤، أحمد ٦/ ٧٥، مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٨، إقامة البرهان، ص ٥٥، الدر المنثور ٢/ ٢٤٢. =

ويكون عيسى بن مريم قد ظهر بالشام فيجتمع إليه جند من المسلمين، فيسير بهم مطارداً الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله، وقيل يذوب الدجال أمام عيسى عليه السلام [1]، وربما كان الذوبان بمعنى تلاشي أمره، لا الذوبان المادي. هذا وورد عن لسان علي عليه السلام أنه يقتل «بعقبة أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه...»[2] كما ورد عن السجاد عليه السلام قوله: «... والمهدي الذي يقتل الدجال»[3]، إلاّ أنه ورد عن لسان الإمام الحسن أن المسيح «هو الذي يقتل الدجال»[4].

وللتوفيق بين الروايات يمكن القول أنه لما كانت القيادة للمهدي عليه السلام فيمكن نسبة القتل إليه حتى ولو قام به المسيح عليه السلام. وورد أخيراً عن الإمام الصادق عليه السلام أن القائم عليه السلام سوف «يظفره الله بالدجال فيصلبه على كناسة الكوفة»[5]. فهل يتناقض هذا مع قتله في باب لد أو عقبة أفيق؟ إنه في الواقع لا يتناقض، لأنه يمكن قتله هنا وحمله إلى الكوفة مقتولاً لصلبه، ويبقى السؤال: هل يجوز صلب الميت؟

حركة الدجال في العهد الجديد:

هناك إشارات حملها سفر الرؤيا تشير إلى وحش يطلع من البحر ووحش يطلع من الأرض يسانده، ولعل الوحشين يرمزان إلى حركة الدجال.

فقد جاء في الإصحاح الثالث عشر (١ ـ ٣): «ثم وقفت على رمل البحر فرأيت وحشاً طالعاً من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى قرونه عشرة

(١) ابن حماد، ص ١٦٣، وابن أبي شيبة ١٥/ ١٤٤.

(٢) راجع كمال الدين ٢/ ٥٢٥، و٥٢٦، والخرائج ٣/ ١١٣٣، ومختصر بصائر الدرجات، ص ٣٠ ـ ٣٢، وإثبات الهداة ٣/ ٥٢٢، الإيقاظ من الهجعة، ص ٣٢٢، والبحار ٥٢/ ١٩٢ ـ ١٩٥، ونور الثقلين ١/ ٧٨١، ومنتخب الأثر، ص ٤٢٧.

(٣) عماد الدين الطبري، الكامل في السقيفة ومنتخب الأثر، ص ١٧٢.

(٤) القمي ٢/ ٢٦٨ ـ ٢٧٢، والبحار ١٤/ ٢٤٧.

(٥) المهلب البارع ١/ ١٩٤ و١٩٥، ووسائل الشيعة ٥/ ٢٨٨ و٢٨٩، وإثبات الهداة ٣/ ٥٧١، والبحار ٥٢/ ٢٧٦ و٥٩/ ٩١.

تيجان وعلى رؤوسه اسم تجديف (قارن مع كلمة كافر على جبهة الدجال)، والوحش الذي رأيته كان شبه نمر وقوائمه كقوائم دب، وفمه كفم أسد وأعطاه التنين قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً، ورأيت واحداً من رؤوسه كان مذبوح للموت وجرحه المميت قد شفي» «وهذا الوحش كان وليس بكائن وسيظهر مجدّداً». وهذا يدل على دولة العدو الصهيوني، لأن اليهود جرحوا وشفوا في المانيا من بين أماكن تواجدهم وأعطوا عرشاً وسلطاناً وقوة، والرؤوس السبعة تدل على رؤساء أما العشرة القرون فهم قادة عسكريون أصبحوا رؤساء.

أما كونه كان وليس بكائن وسيظهر، فيدل على أنه كان قبل زمن الرؤيا (سنة ٩٥) فقد قامت دولتان لبني إسرائيل وزالتا سنة ٧٠ ميلادية أي قبل الرؤيا بـ ٢٥ سنة، وفي أيام الرؤيا لم تكن قائمة وستقوم بعد الرؤيا سنة ١٩٤٨ (أي بعد ١٨٥٣ سنة).

أما الوحش الثاني فيتحدث عنه السفر نفسه (١١ و١٢) «ثم رأيت وحشاً آخر طالعاً من الأرض وكان له قرنان شبه خروف وكان يتكلم كتنين. ويعمل بكل سلطان الوحش الأول أمامه ويجعل الأرض والساكنين فيها يسجدون للوحش الأول الذي شفي جرحه المميت..».

وهذا الوحش هو اليوم أميركا الحاضنة للعدو الصهيوني، فيتكون حلف من الوحشين، إذ أن السفر نفسه يعود فيذكرهما بالقول: «فقبض على الوحش وعلى النبي الكذاب الذي معه.. الذي صنع الآيات أمامه فأضل بها...».

فهل يشكل الوحشان والدجال جهة واحدة؟

إن أوصاف الوحش تجعل منه جهة معينة، كما أن أوصاف الدجال تجعل منه هي الأخرى جهة لا شخصاً، فالأحاديث المقبولة لم تحدد منشأه، بل تبدأ من حيث تعتبره هبط، من خوركرمان، إذاً فهو يمكن أن يكون أتى من أي مكان. ثم أن أسماء الأمكنة يمكن أن تكون رموزاً، كما يمكن أن تدل على مصادر مجيء جماعات تحمل الاتجاه العالمي المعروف بالدجال.

وهذا الاتجاه السياسي العالمي يدعمه أساساً اليهود، فلا بد أن يكون دولة العدو الصهيوني، نظراً للخوارق التي ستتحقق على يديه بمساعدة أميركا من جهة، ولما له من قدرة على اجتذاب الأمم والشعوب من جهة أخرى.

ولعل ما يعزز رمزية اسم الدجال هو الأوصاف التي تتحدث عنه؛ فهو يركب حماراً «عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً وخطوته مسيرة ثلاثة أيام» «وهو أعور» مكتوب بين عينيه (ك ف ر)[1] وأن له قرناً بجبهته.

وعن علي عليه السلام: «يخرج من بلدة يقال لها أصبهان من قرية تعرف باليهودية» (رئيس أركان الجيش الصهيوني اليوم يهودي إيراني الأصل) عينه اليمنى ممسوحة، والعين الأخرى في جبهته تضيء كأنها كوكب الصبح فيها علقة كأنها ممزوجة بالدم (قارن مع مصابيح الآليات اليوم) بين عينيه مكتوب كافر، يقرؤه كل كاتب وامي»[2] وهذا لا يتنافى مع ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله من أنه قصير افحج جعد[3] وعينه زجاجة خضراء[4].

وهكذا فهو ليس بإنسان حقيقي وحماره ليس بحمار. ولعل العور المنسوب إليه تعبير عن نظرة أميركا في مساندتها للعدو الصهيوني بعين واحدة أو ما يسمى الكيل بمكيالين.

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٣٦٧، والحاكم ٤/ ٥٣٠، وعقد الدرر، ص ٢٣٢، ومجمع الزوائد ٧/ ٣٤٣، وكنز العمال ١٤/ ٣٢٥، وجمع الجوامع ١/ ٩٩٥. راجع كذلك أحمد ١/ ١٧٦ و٢/ ٣٣ و١٢٤ و١٣١ و١٤٩ و٣/ ٧٩ و٥/ ٤٣٣، والبخاري فتن ٢٦ و٣٦، ومسلم فتن ٩٥ و١٠٠، وأبو داود ملاحم ١٤، والترمذي فتن ٥٩ و٦٢، وابن ماجة فتن ٣٣.

(٢) كمال الدين ٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٨، والخرائج ٣/ ١١٣٣، وإثبات الهداة ٣/ ٥٢٢، والبحار ٥٢/ ١٩٢، ومنتخب الأثر، ص ٤٢٧.

(٣) أحمد ٥/ ٣٢٤ و٣٩٧، وكذلك هامش أعلاه.

(٤) أحمد ٣/ ١١٥ و٢٠١ و٢١١ و٢٤٩، وتاريخ البخاري ٢/ ٣٩، ومسلم فتن ١٠١ وما بعدها، وفتن ابن كثير ١/ ١٢٠. وابن حماد، ص ١٤٦، والطيالسي، ص ٧٣، وابن أبي شيبة ١٥/ ١٣٢، وأبو يعلى ٦/ ٣٧٦٨، وحلية الأولياء ٤/ ٣٦٣.

خوارقه:

ورد عن رسول الله ﷺ أن الدجال يبرئ الأكمه والأبرص[1] ويحيي الموتى[2] وهو يقتل رجلاً ثم يحييه[3] ومعه جنة ونار[4] أو نهر من ماء أبيض ونهر من نار[5]. ودعوته مستجابة يأمر السماء فتمطر والأرض فتخرج نباتاً، وأنه يدعو الناس فإن أبوا لحقت به أموالهم، ويمر بالخربة فيدعوها أن تخرج كنوزها فتخرجها[6]. وأنه يخوض البحر على حماره كما الساقية، أو يخوضه فيبلغ ركبتيه ويتناول السحاب ويسبق الشمس إلى مغربها بل ويحبسها ويطلقها فتطول الأيام وتقصر[7].

وإذا كانت هذه الأمور مجالاً للأخذ والرد، فقد أكّد علي عليه السلام عن لسان الرسول ﷺ بعض الخوارق وذلك بقوله إن الدجال «يخوض البحار وتسير معه الشمس بين يديه جبل من دخان وخلفه جبل أبيض يري الناس أنه

---

(١) أحمد ٥/ ١٣، والطبراني الكبير ٧/ ٢٦٧، وتهذيب ابن عساكر ١/ ١٩٦، ومجمع الزوائد ٧/ ٣٣٥ و٣٣٦، وفتن ابن كثير ١/ ١٢٦، وكشف الهيثمي ٤/ ١٤٣، والدر المنثور ٢/ ٢٤٢، وكنز العمال ١٤/ ٣١٨.

(٢) راجع المصادر نفسها أعلاه، وأحمد ٤/ ١٨١، والحاكم ٤/ ٤٩٢، وتهذيب ابن عساكر ١/ ١٨٨، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٩٤، وكنز العمال ١٤/ ٣٨٥، ومسلم فتن ١١٠، والترمذي فتن ٥٩ وابن ماجة فتن ٣٣.

(٣) المصادر أعلاه، وكذلك عبد الرزاق ١١/ ٣٩٣، وابن حماد ص ١٥٦، وأبو يعلى ٢/ ٥٣٤، والطبراني، الكبير ٧/ ٤٠، والحاكم ٤/ ٥٣٧، والبخاري فتن ٢٧، ومسلم فتن ١١٢، وأحمد ٣/ ٣٦ و٣٦٨ و٥/ ٣٦٤ و٤٣٤ و٤٣٥.

(٤) ابن حماد، ص ١٥٥، وابن أبي شيبة ١٥/ ١٤٠، وفتن ابن كثير ١/ ٩١، ومسلم فتن ١٠٤، وابن ماجة فتن ٣٣.

(٥) أبو داود فتن ١، ومسلم فتن ١٠٥ و١٠٨، والبخاري فتن ٢٦، وابن حنبل ٥/ ٣٩٣ و٣٩٥ و٣٩٩ و٤٠٤، والحاكم ٤/ ٤٩٠، وفتن ابن كثير ١/ ٩٠، والدر المنثور ٤/ ٢٥٢، وكنز العمال، ١٤/ ٣٠١.

(٦) أحمد ٤/ ١٨١، والحاكم ٤/ ٤٩٢، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٩٤، وكنز العمال ١٤/ ٢٨٥، وكذلك مصادر الهامش.

(٧) ابن أبي شيبة ١٥/ ١٤٦ و١٥٢ و١٥٣، والدر المنثر ٣/ ٦١ و٥/ ٣٥٥، وابن حماد، ص ١٥٢ و١٥٣ و١٥٤، والحاوي ٢/ ٨٩، وبرهان المتقي، ص ١٩٤.

طعام.. تطوى له الأرض منهلاً منهلاً، لا يمر بماء إلاّ غار إلى يوم القيامة، ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين»[1].

وهكذا فإن الدجال يتمتع بقوى خارقة تمكنه من إغراء الناس وتخويفهم. وقد وردت خوارقه في سفر الرؤيا الملحق بالأناجيل بالقول عن الوحش الأول: «وتعجبت كل الأرض وراء الوحش وسجدوا للتنين الذي أعطى السلطان للوحش وسجدوا للوحش قائلين: من هو مثل الوحش ومن يستطيع أن يحاربه، وأعطي فماً يتكلم بعظائم وتجاديف وأعطى سلطاناً أن يفعل اثنين وأربعين شهراً، ففتح فمه بالتجديف على الله ليجدف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين في السماء، وأعطي أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم وأعطي سلطاناً على كل قبيلة ولسان وأمة، فيسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة الخروف الذي ذبح (الرؤيا ١٣/ ٣ ـ ٨).

وعن المساعد للوحش الأول والحاضن له: «ثم رأيت وحشاً آخر طالعاً من الأرض وكان له قرنان شبه خروف وكان يتكلم كتنين ويعمل بكل سلطان الوحش الأول أمامه، ويجعل الأرض والساكنين فيها يسجدون للوحش الأول الذي شفي جرحه المميت، يصنع آيات عظيمة، حتى أنه يجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض قدام الناس، ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التي أعطي أن يصنعها أمام الوحش قائلاً للساكنين على الأرض أن يصنعوا صورة للوحش الذي كان به جرح السيف وعاش. وأعطي أن يعطي روحاً لصورة الوحش حتى تتكلم صورة الوحش ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش يقتلون، ويجعل الجميع الصغار والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبد تصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو جبهتهم وأن لا يقدر أحد أن يشتري ويبيع (الحصار الاقتصادي) إلاّ من له السمة أو اسم الوحش أو عدد السمة» (الرؤيا ١٣/ ١١ ـ ١٨).

---

(١) راجع مصادر الهامش (٢).

حقيقة الدجال:

إذاً يتبين مما سبق أن الدجال لا يمكن أن يكون شخصاً بعينه، بل هو قوة عالمية، بدليل الأوصاف وبدليل الخوارق، إذ أن القوى المادية الهائلة التي تتمتع بها أميركا اليوم، بعد أن أصبحت الزعيمة الوحيدة للعالم، قادرة على القيام بهذه المعجزات من شفاء أمراض كانت مستعصية، ومن إسقاط أنظمة سياسية وإعادة إحيائها (ما يشار إليها بقتل شخص وإحيائه) ومن إقامتها جنة وناراً وما إلى ذلك. ويؤكد كونها اتجاهاً سياسياً ما ورد من طرق للقضاء على الدجال، حيث ورد أن المسيح يذيبه وأن المهدي يقتله، ومكان القتل في فلسطين أو في جوارها، مما يوحي أن القضاء على الصهيونية هو مقدمة القضاء على التسلط الأميركي، أو هو جزء من القضاء على هذا التسلط الذي استحكم اليوم.

السفياني:

وردت أحاديث في بعض كتب الحديث والملاحم كابن حماد وابن المنادي وابن طاووس والسيوطي والمتقي... تتناول موضوع السفياني ولكنها جميعاً من المرسلات، لهذا عمدنا إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، وقد تناولت موضوع السفياني.

فالسفياني يخرج بعد أن يحل جيش من المغرب في الشام، والمغرب في الأحاديث هو الجهة الغربية للبلاد الإسلامية، أي أنها تشمل مصر، وبعدها يحصل خسف في حرستا قرب دمشق ثم يخرج السفياني، فقد قال علي عليه السلام: «... رجفة تكون بالشام، يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك، فانظروا إلى أصحاب البراذين (نوع من الخيل غير الأصيلة) الشهب المحذوفة، والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإن كان ذلك، فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا، فإن

كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، حتى يستوي على منبر دمشق، فإذا كان ذلك، فانتظروا خروج المهدي عليه السلام [1].

أما اسمه فهو عثمان بن عنبسة من نسل يزيد بن أبي سفيان، يخرج من ناحية الوادي اليابس[2] في شهر رجب ويستمر خمسة عشر شهراً، منها ستة في القتال وتسعة في الحكم[3]، فهو يقاتل الأبقع والمنصور اليماني والكندي ويظهر عليهم ثم يقاتل الترك والروم وينتصر عليهم، كما رأينا سابقاً، ثم يتوجه إلى العراق.

فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام: «إذا ظهر الأبقع مع قوم ذوي أجسام، فتكون بينهم ملحمة عظيمة، ثم يظهر الأخوص السفياني الملعون فيقاتلهما جميعاً فيظهر عليهما جميعاً. ثم يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده وله فورة شديدة يستقبل الناس قبل الجاهلية، فيلتقي هو والأخوص ورواياتهم صفر وثيابهم ملوّنة، فيكون بينهما قتال شديد، ثم يظهر الأخوص السفياني عليه، ثم يظهر الروم ويدخلون إلى الشام، ثم يظهر الأخوص، ثم يظهر الكندي في شارة حسنة، فإذا بلغ تل سما فأقبل ثم يسير إلى العراق، وترفع قبل ذلك ثنتا عشرة راية بالكوفة معروفة منسوبة، ويُقتل بالكوفة رجل من ولد الحسن أو الحسين عليهما السلام يدعو إلى أبيه، ويظهر رجل من الموالي، فإذا استبان أمره وأسرف في القتل قتله السفياني»[4].

إذاً يصل جيش السفياني الكوفة وعلى رأسه رجل من بني حارثة يقال له: نمر (أو قمر) بن عباد، يجعل على مقدمته رجلاً من قومه أصلع عريض

---

(1) راجع النعماني، مذكور سابقاً، ص ٣٠٥ و٣٠٦، وابن كثير ٢/ ١٧٧، والطوسي، ص ٢٧٧، والخرائج ٣/ ١١٥١، والعدد القوية ص ٧٦، والبحار ٥٢/ ٢١٦.

(2) منتخب الأثر، ص ٤٥٨، وابن حماد، ص ٧٥، وعقد الدرر، ص ٧٢ و٧٣، وبرهان المتقي، ص ١١٢ و١١٣، وفرائد فوائد الفكر، ص ١٥، ولوائح السفاريني ٢/ ٩.

(3) راجع النعماني، ص ٢٩٩، وأعلام الورى، ص ٤٢٨، وكمال الدين ٢/ ٦٥١، ومنتخب الأنوار المضيئة، ص ١٧٧، ومنتخب الأثر، ص ٤٥٧.

(4) ابن حماد، ص ٥٩، ٧٦، ٧٨، ٨٢. راجع كذلك نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد، م٢، ص ١٩٣ وما بعدها.

المنكبين، يقاتل أولاً من في الشام من أهل المشرق في موضع يقال له البنية (أو الثنية)، ثم يسير إلى موضع يقال له «مدين» شرق حمص يقاتل فيه بجيش من دمشق وحمص، أهل المشرق الذين وصلوا إلى هناك، فينتصر عليهم، ثم يتوجه إلى الكوفة فيحتلها ويمعن في القتل[1]. ويخرب بغداد والكوفة وبابل[2]، وعندما يبلغ السفياني خبر ظهور المهدي عليه السلام في الحجاز يأمر قائده في الكوفة أن يتوجه إلى المدينة فيصلها ويحتلها فيقتل من قريش والأنصار أربعماية رجل ويبقر البطون ويقتل الولدان، ومن بين قتلاه رجل وأخته يقال لهما محمد وفاطمة ويصلبهما على باب المسجد في المدينة[3].

يتبين من الأوصاف المعطاة للسفياني أنه رجل متعصب ضد أهل البيت وأتباعهم، وهو ظالم متجبّر، ومن هنا فإنه يمكننا حمل نسبه على محمل الواقعية فيكون من نسل خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أو فهم ذلك بشكل رمزي فيكون متابعاً سياسة يزيد، وما أكثر اليوم من يحمل أخلاقيات هذا الرجل ممن يمارسون القمع والظلم واغتصاب الأموال العامة والخاصة. وإذا كان عد من سلالة خالد بن يزيد بن أبي سفيان، فكيلا يكون من سلالة معاوية بن يزيد الذي اعتزل الخلافة دون أن يرتكب المظالم. إذاً هو سليل للظالمين حتى أنه يقتل في الشام كل من يحمل اسم حسن وحسين وعلي، كما يقتل قريشاً في المدينة وخاصة بني هاشم[4].

(١) المصدر نفسه، ص ٨١ و٨٢.

(٢) ملاحم ابن طاووس، ص ١٣٧، وابن حماد، ص ٨٢، والطوسي، ص ٢٦٩، وتفسير الطبري، ٢٢/ ٧٢، والداني ص ١٠٤، والكشاف، ٣/ ٤٦٧ و٤٦٨، وتذكرة القرطبي ٢/ ٦٩٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣١٤، وعقد الدرر، ص ٧٤، وعرف السيوطي، الحاوي ٢/ ٨١، ومجمع البيان ٤/ ٣٩٨، ومنتخب الأثر، ص ٤٥٦.

(٣) ابن حماد، ص ٢٨٨، وابن طاووس، ص ٥٦.

(٤) ابن حماد، ص ٨٨، وعرف السيوطي الحاوي ٢/ ٧٠، وملاحم ابن طاووس، ص ٥٧.

الفصل السادس: الظهور

بعد احتلال جيش السفياني المدينة المنوّرة ونتيجة المجازر التي يرتكبها فيها، يهرب ثلاثة أشخاص فيمن يهرب إلى مكة، وهم أشخاص منظور إليهم منهم المهدي عليه السلام والمبيّض[1].

ويلوذ المهدي بالحرم، ويُقتل غلام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين الركن والمقام اسمه محمد بن الحسن ولقبه النفس الزكية. ويرى بعض المشككين أن محمد بن الحسن (النفس الزكية) قد ظهر سنة ١٤٥هـ، وقتل على يد أبي جعفر المنصور العباسي. ولكن الثابت أن ذلك الشخص، لعلمه وعلم الناس بالحديث، ولكون اسمه محمد بن عبدالله بن الحسن، وهو قريب من الاسم الوارد في الحديث لقب بالنفس الزكية، تماماً كما لقب محمد بن أبي جعفر المنصور العباسي بالمهدي، ليوحي بأنه الإمام المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً. في هذه الظروف تسمع صيحة من السماء بأن الحق مع علي وشيعته، فعندها يخرج القائم[2]، وذلك بعد خمسة عشر يوماً من مقتل النفس الزكية.

وقد ورد أن الله يصلح أمر المهدي في ليلة واحدة[3]، وناقش بعض

---

(١) ابن حماد، ص ٨٨ و٩٥، وبشارة الإسلام، ص ٧٧، ومنتخب الأثر، ص ٤٥٧، وبرهان المتقي، ص ١٢٢.

(٢) مختصر إثبات الرجعة، ص ١١٧ و٢١٦ و٢١٧، وإثبات الهداة ٣/ ٥٧٠، مستدرك الوسائل ١٢/ ٣٣٥ و١٤/ ٣٤٥، وكشف النوري، ص ٢٢٢.

(٣) ابن أبي شيبة ١٥/ ١٩٧، وابن حماد، ص ١٠٠ و١٠٣، وتاريخ البخاري ١/ ٣١٧، وابن ماجة ٢/ ١٣٦٧، وحلية الأولياء ٣/ ١٧٧، وأخبار أصبهان ١/ ١٧٠، والداني، ص ١٠٠. وابن عدي، الكامل ٧/ ٢٦٤٣، وبيان الشافعي، ص ٤٨٧، وتذكرة القرطبي، ٢/ ٧٠٠، وفتن ابن كثير ١/ ٣٨، وأسنى المطالب، ص ١٢٩، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٧٢، والدر المنثور ٦/ ٥٨، والجامع الصغير ٢/ ٦٧٢، وتمييز الطيب، ص ١٩٦، وصواعق ابن حجر، ص ١٦٣، ومناقب أهل البيت، ص ٢٣٧، وكنز العمال ١٤/ ٢٦٤، ومرقاة المفاتيح ٥/ ١٨٠، وكنوز الحقائق، ص ١٦٤، والإذاعة، ص ١١٧، والمغربي، ص ٥٣٣، وكمال الدين ١/ ١٥٢، ودلائل الإمامة، ص=

مشايخ المسلمين في هذا الأمر، فقال الشيخ عبدالله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعية في دولة قطر معلقاً: «والعجيب أن يكون المهدي بعيداً عن التوفيق والفهم والرشد، ثم يهبط عليه الصلاح في ليلة ليكون في صبيحتها داعية هداية ومنقذ أمة». وقد وافقه الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد على أن الوارد عبارة يصلحه أي يرده من حالة عدم التوفيق والفهم والرشد إلى الصلاح، وعد ذلك ممكناً بدليل أن عمر بن الخطاب «كان من أشد الناس على المسلمين ثم تحوّل بقدرة الله وتوفيقه فصارت شدته على أعداء الإسلام والمسلمين»[1].

ولعل ما فات الرجلين هو تقصي الحقيقة على نطاق أوسع، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن الله يصلح له أمره في ليلة، ومن هنا فإن المعنى يصبح أن يهيأه الله ويجعله مستعداً للتحرك المباشر، وذلك في ليلة واحدة بدلاً من عملية استعداد تستغرق وقتاً طويلاً.

في هذا الوقت يتوجه جيش السفياني من المدينة إلى مكة، ولكن يخسف به في الطريق فلا ينجو إلاّ شخصان يحملان الخبر إلى الناس[2].

ويجتمع أنصار المهدي عليه السلام إليه وعدتهم كعدة أهل بدر، يحمل بعضهم في السحاب نهاراً، وبعضهم يفقد من فراشه في بيته، وإذا هو في أصحاب المهدي عليه السلام[3].

وقد أشار العهد القديم إلى تجمع أنصار المخلّص (أشعياء ٦٠/ ٨) بقوله: «من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها؟» وهذا شبيه بما ورد في مستدرك الحاكم عن علي عليه السلام: «ذاك يخرج في آخر الزمان، فيجمع

= ٢٤٧، وغاية المرام، ص ٦٩٤ و٦٩٨، ومنتخب الأثر، ص ١٤٤، والفتح الكبير، ٣/ ٢٥٩.

(١) مجلة «الجامعة الإسلامية» العدد ٤٥، سنة ١٤٠٠، عدد خاص صادر بمناسبة أحداث الحرم الشريف التي حصلت في تلك السنة، حيث ادعى بعضهم المهدوية ولاذ وجماعته بالحرم وجرت معركة دامية لإخراجهم وقتلهم.

(٢) ابن حماد، ص ٩٠، الكافي ٨/ ٢٢٤ و٢٢٥، النعماني ٢٧٠ و٢٧١.

(٣) راجع الفتاوى الحديثية، ص ٣١، النعماني، ص ٣١٥، الحاكم ٤/ ٥٥٤، عقد الدرر، ص ٥٩ و١٣١، وبرهان المتقي، ص ١٤٤، والمغربي، ص ٥٣٨، ومنتخب الأثر، ص ١٦٦.

الله تعالى قوماً قزع كقزع السحاب» وما ورد عن أبي عبدالله: «منهم من يفقد عن فراشه ليلاً فيصبح في مكة ومنهم من يُرى يسير في السحاب نهاراً يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه».

وقد كان السير في السحاب في العصور الماضية ضرباً من المعجزات، أما اليوم فأصبح أمراً عادياً.

ويتحرك الإمام المهدي بأنصاره من مكة ونواتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيهم «النجباء من أهل مصر والأبدال من أهل الشام الأخيار من أهل العراق»[1] وبعد أن يتكاثر عديده إلى بضعة آلاف يتحرك باتجاه الشام، حيث برد في العهد القديم: «الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران وجلاله غطّى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه» (حبقوق ٣/ ٣ ـ ٥)، فإذا استعبدنا لفظة «الله» التي يمكن أن تكون عائدة إلى التحريف أو الخطأ في النقل أو الترجمة، وإذا عرفنا أن تيمان هي تيماء الواقعة شمال الحجاز وأن باران هي مكة بدليل أن التوراة تقول أن إبراهيم أسكن سارة في باران[2]، فإن القادم يصبح المهدي، ذلك أنه إن كان الكلام ينطبق على الرسول ﷺ، إلا أن الرسول لم يأتِ إلى فلسطين فاتحاً.

ويقصد المهدي عليه السلام بجيشه السفياني، فيحرر الحجاز ويتجه إلى الشام[3].

هزيمة السفياني في العراق:

في هذه الأثناء يكون أصحاب الرايات السود قد تحركوا من المشرق بقيادة هاشمي على مقدمته شعيب بن صالح التميمي، فيسألون الحق فلا

(١) غيبة الطوسي، ص ٢٨٤، تاج المواليد، ص ١٥١، منتخب الأثر، ص ٤٦٨.

(٢) راجع، محمد عوض الخطيب، في مجلة الغدير، بيروت عدد ذي الحجة ١٤١١، حزيران ١٩٩١، ص ٢٠٩.

(٣) ابن حماد، ص ٩٥، عرف السيوطي، الحاوي ٢/ ٧٧، ولوائح السفاريني ٢/ ١١، والصراط المستقيم ٢/ ٢٦٢، وإثبات الهداة ٣/ ٦١٤، ومنتخب الأثر، ص ٤٩٠.

يعطونه، ويكررون المسألة ثم يجعلون سلاحهم على عواتقهم ويتحركون لقتال السفياني في العراق، بعد أن يكون قد خرّب ونكل وذبح، فيلاقيهم جيش السفياني في باب اصطخر، وبعد ملحمة كبرى ينهزم جيش السفياني[1] ويبعث الهاشمي، وهو من نسل الحسين، بالبيعة إلى المهدي عليه السلام.

وقد اختلطت الرايات السود على بعضهم، فرأى أنها الرايات التي حملها العباسيون القادمون من خراسان لقتال الأمويين، والحقيقة أن العباسيين يمكن أن يكونوا قد حاولوا الإيحاء بأنهم هم المقصودون بالأحاديث، ولكن الأحاديث الشريفة توضح الأمر، فقد ورد من حديث سعيد بن المسيب عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس. ثم يمكثون ما شاء الله.

ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلاً من ولد أبي سفيان وأصحابه، من قبل المشرق يؤدون الطاعة إلى المهدي»[2]. ويتوجه المهدي إلى الكوفة حيث يقيم عاصمته، ومنها يتحرك جيشه لفتح العالم، وتكون معركة بينه وبين السفياني في الشام عند بحيرة طبرية أو عند الرحبة فيقتل السفياني[3] وتنتهي حركته ثم يفتح العالم للمهدي.

فتح العالم

جاء أن المهدي يتحرك باتجاه العالم الغربي فيفتح القسطنطينية ثم رومية، في زمن يكون فيه الروم (الغرب) أكثر الناس وأقوى الناس. فقد جاء

---

(١) ابن حماد، ص ٨٤ و٨٦، ابن أبي شيبة ١٥/٢٣٥، ابن ماجة ٢/١٣٦٦، العقيلي ٤/٣٨١، الهيثم بن كليب، مسند الصحابة، ص ٤١. ملاحم ابن المنادي، ص ٤٤، والحاكم ٤/٤٦٤، والداني، ص ٩٢، وبيان الشافعي، ص ٤٩١، وصواعق ابن حجر، ص ١٦٤، الإذاعة، ص ١٣١، والمغربي، ص ٤٨٦، ٥٣٢، ٤٩٥، عرف السيوطي، ٢/٥٩، كنز العمال ١٤/٥٨٨، أبو داود ٤/١٠٨.

(٢) ابن حماد، ص ٥٢ و٨٥، وعقد الدرر، ص ١٢٦، وعرف السيوطي، الحاوي ٢/٦٩، وجمع الجوامع ١/٤٦٧، وملاحم ابن طاووس، ص ٥٥.

(٣) ابن حماد، ٩٦، مسند أحمد ٢/٣٥٦، الحاكم ٤/٤٣١، عرف السيوطي، الحاوي ٢/٧٢، الإذاعة، ص ١٢٤.

عن رسول الله ﷺ: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»[1] وهم أكثر الناس عداوة للمسلمين حيث يقول ﷺ: «أشدّ الناس عليكم الروم وإنما هلكتهم مع الساعة»[2].

وهذا الأمر متحقق فعلاً منذ ظهور الإسلام حتى اليوم بدليل الموقف الثابت الذي تجلى في الحروب الصليبية وفي الاستعمار الحديث، ثم في الموقف من الإسلام بعد انهيار الاتحاد السوفياتي بشكل خاص.

أما المرحلة الأولى فتشير المصادر أنها ستكون بفتح القسطنطينية، وهنا يحتمل الأمر تفسيرين:

ـ فالقسطنطينية بما هي عاصمة المسيحية الشرقية كما كانت في زمن الدعوة، فاليوم ربما تكون موسكو، باعتبارها القلعة الأقوى للمسيحية الأرثوذكسية، وربما يعضد هذا الرأي أنه لم يرد لهذه العاصمة ذكر في فتوحات المهدي عليه السلام.

ـ وقد تكون هي نفسها أي إسلامبول، التي وإن كان أهاليها من المسلمين، إلاّ أن حكومتها تحارب الإسلام بضراوة، الأمر الذي يقتضي تحرير مسلميها ومسلمي تركيا، من هذه الحكومة.

وأياً يكن الأمر فإن جيش المهدي سوف يزحف إلى القسطنطينية فاتحاً سائر المدن التي تعترضه بنداء الله أكبر الذي يزلزل الحصون، فقد جاء عن علي عليه السلام «ثم يسير (المهدي) ومن معه من المسلمين، لا يمرون على حصن ببلد الروم إلا قالوا عليه: «لا إله إلا الله» فتتساقط حيطانه، ثم ينزل من (في) القسطنطينية، فيكبّرون تكبيرات (تكبيرة)، فينشق خليجها ويسقط سورها»[3].

(١) راجع أحمد ٤/ ٢٣٠، وتاريخ البخاري ٨/ ١٦، وصحيح مسلم ٤/ ٢٢٢، والداني، ص ١١٥، والفردوس ٢/ ١٠٢، وكنز العمال ١٤/ ٢١٧.

(٢) أحمد ٤/ ٢٣٠، ومجمع الزوائد ٦/ ٢١٢، وجمع الجوامع ١/ ١١٢، والجامع الصغير ١/ ١٦٠، وفيض القدير ١/ ٥٢١.

(٣) عقد الدرر، ص ١٣٩.

وبعد فتح القسطنطينية يتوجه المهدي عليه السلام إلى رومية فيصلها «فيكبّر المسلمون ثلاث تكبيرات، فتكون كالرملة على نشاز» (أي كالرملة على صخر مرتفع)[1].

فما المقصود برومية؟ إن رومية يمكن أن تكون روما، وقد كانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية الواسعة وهي اليوم لم تعد عاصمة أساسية، إلا أنه من الممكن أن تتجمع فيها جيوش الغرب لصد المهدي عنها. وإما أن تكون أي عاصمة أوروبية، كبرلين مثلاً، أو أن تكون نيويورك أو واشنطن.

هذا وتتوقف المصادر بالزحف هنا، على أن هذا ما يكفي وينفتح العالم.

والحقيقة أنه يمكن التصور أن انتصارات المهدي في بلاد الإسلام بعد ظهور عيسى بن مريم عليه السلام سوف تقنع قطاعات واسعة من المسيحيين في أوروبا وأميركا بأن هذا هو يومهم الموعود، الأمر الذي يحدث ارتباكاً في قواهم العسكرية ويجعلها عرضة للتفكك لدى أول مواجهة وربما قبلها. ذلك أن المعارك لا تتجاوز الثمانية الأشهر في أكبر التقديرات[2].

دولة المهدي عليه السلام

في دولة الإمام المهدي عليه السلام ستملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً في حياتها السابقة، وسوف يعم الرخاء والسلام بعد استتباب الأمور لهذا القائد الكبير. وقد تضافرت التأكيدات لهذا الأمر سواءاً أفي الفلسفة والفكر الإنساني، أم في ما بين أيدينا من التوراة أو في المصادر الإسلامية.

الرخاء: تلخّص الماركسية في هذا المجال النتائج التي توصلت إليها الفلسفة وتحددها بشكل عملي، على أساس أنها ستتجسد في الدولة الشيوعية، وذلك بعد «زوال تبعية الأفراد الاستعبادية لتقسيم العمل، وتبعاً لها المواجهة بين العمل الفكري والعمل اليدوي، وعندما يصبح العمل لا وسيلة

(١) عقد الدرر، ص ١٨٩ ـ ١٩١.

(٢) عن الحسين بن علي عليه السلام، راجع كمال الدين ١/ ٣١٨، وإثبات الهداة ٣/ ٤٦٦، والبحار ١٥/ ١٣٣.

للعيش فقط، بل يتحول إلى كونه أول حاجة حيوية، وعندما يصاحب التطور المتنوع للأفراد ازدياد في القوى المنتجة، وعندما تتدفق كل مصادر الثروة بغزارة، فعندها فقط[1] ستتحقق أهداف المجتمع المنشود.

في هذه الحالة سيحل الرخاء ويختفي العوز بفضل تطور العلوم والتقنية في ظل تحرّر الإنسان من القيود التي كانت تعيق تطوره وتفتح شخصيته[2].

هذا وتفصّل التوراة هذا الواقع فتقول أن الرب يرسل في ذلك اليوم إلى شعبه قمحاً وعصير عنب وزيتاً (يوئيل ٢/ ١٩) كما أن «مراعي البرية تنبت لأن الأشجار تحمل ثمرها، التينة والكرمة تعطيان قوتهما»، ويعطيكم الإله «المطر المبكر وعلى حقه، وينزل عليكم مطراً ميكراً ومتأخراً في آخر الوقت فتملأ البيادر حنطة وتفيض حياض المعاصر خمراً وزيتاً، وأعوض لكم عن السنين التي أكلها الجراد والغوغاء والطيار والقمص، جيشي العظيم الذي أرسلته عليكم» (يوئيل ٢/ ٢٢ ـ ٢٥).

ويساعد على كل هذا ري القفار إذ يرد: «أجعل في البرية طريقاً في القفر أنهاراً، يمجّدني حيوان الصحراء: الذئاب وبنات النعام لأني جعلت في البرية ماءً أنهاراً في القفر لأسقي شعبي، مختاريّ» (أشعياء ٤٣/ ١٩ ـ ٢١).

أما المصادر الإسلامية فتصور الوفرة بشكل أوضح وأكثر واقعية فإذا الزراعة مزدهرة والكنوز مكشوفة والأموال متوفرة حتى تغني الناس. فبلاد العرب خضراء ريانة إذ ورد عن رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف (إلاّ؟) ضلال الطريق»[3] والملفت في هذه النبؤة عبارة (تعود) الأمر الذي يعني

(١) كارل ماركس وفريدريك أنغلز، نقد برنامج غوته وارمزت، ص ٢٥ و٧٠١.

(٢) راجع مبادىء الماركسية اللينينية، مطبوعات التقدم موسكو، ص ٧٠٢ ـ ٧٠٥.

(٣) راجع أحمد ٢/ ٣٧٠، ومسلم ٢/ ٧٠١، والحاكم ٤/ ٤٧٧، ومصابيح البغوي ٣/ ٤٨٨، ومشكاة المصابيح ٣/ ٢١، ومجمع الزوائد ٧/ ٣٣١، والدر المنثور ٦/ ٥١، وجمع الجوامع ١/ ٩٠٣، وكنز العمال ١٤/ ٢٣٨، والأحاديث الصحيحة، ص ١٠، والعمدة، ص ٤٢٦.

أنهـا كـانت كذلك، فمتى كانت؟ يقول العلم إن بلاد العرب الصحراوية كانت منطقـة مطريـة كما سائر المناطق الصحراوية، ولم يكن هذا الأمر معروفاً أيام الرسول ﷺ بل كشفه العلم الحديث.

ولعـل مـا يـؤدي إلى ظهور الأنهار هو كثرة المطر التي يشير إليها رسول الله ﷺ بقوله: «تنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، ترسل السمـاء عليهـم مـدراراً ولا تدع الأرض شيئاً من النبات إلا أخرجته»[1]. وورد الوصـف نفسـه عـن الإمـام الحسـن بـن علـي عليه السلام وهو بالطبع عن رسول الله ﷺ إذ يقـول: «... وتخرج الأرض نبتها وتنزل السماء بركتها وتظهر له (المهدي عليه السلام) الكنوز»[2].

وإلـى الـزراعـة تظهـر الكنـوز وهـي ذات قيمة بذاتها، أو هي مواد أولية للصنـاعـة إذ يـرد عـن رسـول الله ﷺ: «تـقيء الأرض أفلاذ كبدها، أمثال الأسطـوان مـن الذهب والفضة». كما يرد عن الإمام الحسن عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «وتظهر له الكنوز»[3].

ونظـراً لهـذه الـوفـرة فـإن الناس يكتفون حتى لا يطمعون بمال، ذلك أن الله تعـالـى «يـلـقـي... الغنـى فـي قلـوب العبـاد»[4] لأن المهـدي «يعطي

---

(١) بيان الشافعي، ص ٥١٩، وابن حماد، ص ٩٩ و١٠٤، وعقد الدرر، ص ١٤٤، والفصول المهمة، ص ٢٩٨، والقول المختصر، ص ٥ و٧، وفرائد فوائد الفكر، ص ١١، ونور الأبصار، ص ١٨٩، والإذاعة، ص ١٢٥، وملاحم ابن طاووس، ص ٦٩. وكشف الغمة ٣/ ٢٦٣، والبحار ٥١/ ٨٣، ومنتخب الأثر، ص ٤٧٢. وابن ماجة ٢/ ١٣٦٦، وأبو داود والترمذي ٤/ ٥٠٦، والحاكم ٤/ ٥٥٨، والداني، ص ٩٤، ومصابيح البغوي ٣/ ٤٩٣، وتذكرة القرطبي ٢/ ٧٠٠.

(٢) الاحتجاج ٢/ ٢٩٠، وإثبات الهداة ٣/ ٥٢٤، والبحار ٤٤/ ٢٠، ومنن الرحمن ٢/ ٤٢، ومنتخب الأثر، ص ٤٨٧، والعوالم ١٦/ ١٧٥.

(٣) نفس المصادر.

(٤) ابن حماد، ص ١٠٠، والقول المختصر، ص ٥، وملاحم ابن طاووس، ص ٧١، والنعماني، ص ١٥٠، وعقد الدرر، ص ١٧١، وإثبات الهداة ٣/ ٣٣، والبحار ٥١/ ١٤٦ و١٤٧، وبشارة الإسلام، ص ١٤٧ و١٤٨.

المال بغير عدد» بل يحثوه حثواً [1] حتى أن الرجل يخرج «بصدقته فلا يجد من يقبلها»[2].

وهذا ما تعبر عنه الماركسية بقولها أنه يعم مبدأ: «من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته، الذي يعني أن الإنسان يقوم بالعمل الذي يرتاح إليه وينال حاجته المادية كاملة[3].

السلام:

في هذا العصر يعم العدل والسلام ويزول التحاسد والتباغض، وهذه نتيجة طبيعية للوفرة واستغناء الناس عن الحاجات المادية، وهذا ما يؤكده الفكر الوضعي، حيث يقول كارل ماركس «أن مجتمعاً جديداً هو في طور الولادة، ستكون قاعدته الدولية السلام، لأنه سيسود في كل أمة المبدأ نفسه: «العمل[4]».

أما التوراة المتداولة فتصف حالة السلام القائمة وتراها سائدة على الصعيد الكوني، حتى بين الحيوانات المتعادية بالغريزة فتقول: «وأقطع لهم عهداً في ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء ودبابات الأرض، وأكسر السيف والقوس والحرب من الأرض، وأجعلهم يضطجعون آمنين»

---

(١) ابن حماد، ص ٩٨ و١٠٠، وابن أبي شيبة ١٥/ ١٩٦، وأحمد ٣/ ٥ و٣٨ و٤٨ و٦٠ و٩٨ و٣١٧ و٣٣٣، ومسلم ٤/ ٢٢٣٤ و٢٢٣٥، وأبو يعلى ٢/ ٤٢١ و٤٧٠، وابن حيان ٨/ ٢٤٠، والحاكم ٤/ ٤٥٤، ودلائل النبوة ٦/ ٣٣٠، والداني ٩٨، والفردوس ٥/ ٥١٠، ومصابيح البغوي ٣/ ٤٨٨، وابن عساكر ١/ ١٨٧، وجامع الأصول ١١/ ٨٤، وبيان الشافعي، ص ٥٠٣ و٥٠٤، وعقد الدرر، ص ١٦١، وتذكر القرطبي ٢/ ٦٩١، مشكاة المصابيح ٣/ ٢٢، ومقدمة ابن خلدون، ص ٢٥٠، وعرف السيوطي، الحاوي ٢/ ٦٠، والجامع الصغير ٢/ ٥٤٤، وكنز العمال ١٤/ ٢٦٣، والإذاعة ص ١٢٢، وعبد الرزاق ١١/ ٣٧٢.

(٢) البخاري ٢/ ١٣٥ و١٣ و٩/ ٧٣ و٧٤، ومسلم ٢/ ٧٠٠ و٧٠١، والنسائي ٥/ ٧٧، وأبو يعلى ٣/ ٥٢، والجامع الصغير، ١/ ٥٠٧، وفيض القدير ٣/ ٣٤٧، وكنز العمال ١٤/ ٢٠٤، وجامع الجوامع ١/ ٩٠١.

(٣) راجع انجلز، وضع الطبقة العاملة في انكلترا، المطبوعات الاجتماعية، باريس ١٩٦١، ص ١٦٥، ولينين الأعمال الكاملة، م٣٠، ص ٤٨٢ (الطبعة الروسية).

(٤) كارل ماركس، الحرب الأهلية في فرنسا، المطبوعات الاجتماعية، باريس ١٩٨٢، ص ٢٣.

(هوشع/١٧) «فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والشبل والمسمّن (الحيوان المعلّف) معاً وصبي صغير يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان، تربض أولادهما معاً، والأسد كالبقرة يأكل تبناً، ويلعب الرضيع على سرب الصل (حية خبيثة جداً) ويمد الفطيم يده على حجر الأفعوان» (أشعياء ١١/٦ ـ ٨).

وكما ورد عن رسول الله ﷺ قوله «ولا يسعى الذئب على شاة ويرفع الشحناء والتباغض وينزع جمة كل دابة حتى يدخل الوليد يده في فم الحنش فلا يضره، وتلقى الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون في الإبل كأنه كلبها والذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من الإسلام ويسلب الكفار ملكهم ولا يكون ملك إلا للإسلام»[1] كما جاء عنه ﷺ: «ويقول الرجل لغنمه ولدوابّه اذهبوا فارعوا في مكان كذا وكذا، وتعالوا في ساعة كذا وكذا، وترعى الماشية بين الزرعين ولا تأكل منه سنبلة ولا تكسر بظلفها عوداً، والحيات والعقارب ظاهرة لا تؤذي أحداً ولا يؤذيها أحد، والسبع على أبواب الدور يستطعم ولا يؤذي أحداً»[2].

وورد على لسان الإمام الحسن بن علي عليه السلام عن النبي ﷺ أنه «لا يبقى كافر إلاّ آمن ولا طالح إلا صلح، وتصطلح في ملكه السباع»[3].

(١) ابن طاووس، الملاحم والفتن، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ١٩٧٨، ص ٨٣.
(٢) المرجع نفسه، ص ٩٦.
(٣) راجع مصادر الهامش، رقم ٢.

الخلاصة

وهكذا فإنه يمكننا الاستنتاج أن فكرة المخلّص المنتظر هي فكرة واقعية وهي حاجة بشرية وضرورة إلٰهية، هي حاجة بشرية لما يتطلع إليه الإنسان بفطرته من قضاء على الظلم الذي يراه منافياً لسنن الانسجام في الطبيعة. وهي ضرورة إلٰهية، لإقامة الحجة على البشر بأن إمكانية إقامة دولة العدل والسلام والرخاء ليست مستحيلة، وبالتالي فإنه لا عذر لمن رفضوا إقامتها بعد المكنة من ذلك.

ولقد تبين معنا أن المخلّص الذي تتحدث عن الأديان هو المهدي المنتظر الذي يتخذ تسميات رمزية أو حقيقية في الآثار، وكل حسب اللغة التي يتحدث بها والتي قد تكون الترجمات شوّهتها.

وتبيّن معنا أن المهدي المنتظر هو ابن الحسن العسكري عليه السلام، وأنه طال به العمر، وهو أمر لا يعجز الله تعالى.

أما متى يظهر، فهذا أمر موكول إلى علم الله تعالى وكذب الوقّاتون، إلاّ أن ظهوره لا بد أن يلي عدداً من الإشارات والدلائل.

غير أن المنطق والنص أيضاً يقتضيان أن يتم ذلك عندما تستحقه البشرية، وهي تستحقه بعد أن تجرّب كل أنواع أنظمة الحكم التي لا بد أن تفشل، وتقتنع بهذا الفشل، فيبرز من يمتلك الاستعداد لنصرة الإمام المخلّص، وعندها ينتظر الظهور.

فالبشرية خذلت كل المحاولات التي قامت في السابق، وكانت تتنكر بغالبية شعوبها وشرائح هذه الشعوب لحكم الله في الأرض على أيدي الأنبياء والرسل، وعلى أيدي الأولياء الصالحين. وكانت آخر مظاهر هذا التنكّر المقاومة التي واجهها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فأدّت إلى استشهاده قبل أن يتمكن من إنجاز مشروعه، ثم واجهها الحسن بن علي عليه السلام، وتمثّلت بخيانة أركان من قادته وبمحاولات لتسليمه إلى عدوه، ثم واجهها

أخيراً الإمام الحسين الذي دفع ثمناً لمحاولته دمه ودماء أبنائه وأبناء أخوته وأعمامه وخيرة أصحابه.

وهكذا ألّف المسلمون الضياع واستمرت البشرية تتخبّط وتحاول الوصول إلى الخلاص من طريق التجربة والخطأ، إلاّ أن المصالح هي التي كانت العامل الأساسي، لا الأفكار ولا المبادىء. إلى أن وصلنا إلى ما نحن فيه من تراجع لدين الله وسيادة للمظالم وتنكّر للقيم الروحية، الأمر الذي يدفع أعداداً متزايدة من الناس إلى اليأس فإما أن تنتحر أو تستسلم للهوس والجنون، في نحلٍ غريبة مستهجنة من العقل السليم، وكل ذلك في ظل توازن رعب نووي لا يعلم إلاّ الله متى يفلت زمامه ويقضي على البشرية إن بقي الأمر على حاله.

ومن هنا فلم يبق من مخرج إلاّ بظهور الإمام المهدي لينقذ البشرية مما تتردى فيه، فلنرفع أصواتنا بالدعاء لخروجه.

الفهرس

كلمة المركز ٥
المقدّمة ٧
الفصل الأول: فكرة المهدي المنتظر ـ المخلّص ١١
دور العقل ١١
عمليات الاستنباط ١٢
عمليات الاستقراء ١٢
دور الكشف (المعرفة الفاعلة) ١٣
الموقف الرافض للمعرفة الفاعلة ١٤
بين الإمامة وإعادة إنتاج الدين ١٥
ضرورة الإمام ٢٠
فكرة المخلّص المنتظر ٢٠
موقف المتجاهلين، نموذج د. عبد الرحمن بدوي ٢١
موقف ابن خلدون ٢٣
موقف أحمد أمين ٢٦
موقف رشيد رضا ٢٩
ضروب الثورة العالمية ٣١
ماركس، أنجلز، الماركسية ـ اللينينية ٣٧
المخلّص في التوراة ٣٩
المخلّص في الإنجيل ٤٢
المخلّص في الإسلام ٤٤
في القرآن ٤٤
في نصرة الدين الحق ٤٤
في هزيمة الظالمين ٤٤
في نصر الأنبياء والمستضعفين ٤٥
في السنّة المطهّرة ٤٥
أحاديث أئمة أهل البيت والصحابة ٤٨

المهدي عند المتصوّفة ٥١
خلاصة ٥٢
الفصل الثاني: من هو المخلّص المنتظر؟ ٥٥
المخلّص الماركسي: البروليتاريا ٥٥
المخلّص في التوراة ٥٧
المخلّص في العهد الجديد ٦١
المهدي المنتظر في الإسلام ٦٢
النظريات التي تعلّقت بشخصيات مضت ٦٣
النظرية القائلة بأن المهدي هو عيسى بن مريم ٦٤
النظرية القائلة بأن المهدي من ولد العباس ٦٥
النظرية التي تجعل المهدي من نسل الحسن بن علي (ع) ٦٩
المهدي من ولد الحسين (ع) ٧١
اسم المهدي ٧٢
أحمد بن عبدالله ٧٢
محمد بن عبدالله ٧٣
المهدي اسمه اسم رسول الله (ص) ٧٤
نظرية ولادة المهدي في آخر الزمان ٧٥
المهدي ولد فعلاً ٧٦
متابعة المهدي في ولد الحسين (ع) ٧٧
المهدي هو التاسع من ولد الحسين (ع) ٧٧
المهدي من ولد علي بن الحسين (ع) ٧٨
المهدي من ولد الباقر (ع) ٧٨
المهدي من ولد الصادق (ع) ٧٩
المهدي من ولد الكاظم (ع) ٨٠
المهدي من ولد الرضا (ع) ٨١
المهدي من ولد الجواد (ع) ٨١
المهدي من ولد الهادي (ع) ٨٢
المهدي بن الحسن العسكري (ع) ٨٢
المصنّفات حول تعيين شخص الإمام المهدي (ع) ٨٤
إنكار وجود الإمام المهدي (ع) ٨٨
إدعاء عدم ولادة ابن الإمام العسكري (ع) ٨٨

إدعاء موت ابن الإمام العسكري ٨٩
قول فرق منشقّة عن الشيعة بإمامة بعض أبناء الأئمة
غير الذين تدين الشيعة بإمامتهم ٨٩
التشكيك بالأئمة بعد الرضا ٩٠
الفصل الثالث: ولادة الإمام المهدي وحياته ٩٧
غيبة الإمام بعد الولادة ٩٩
الأحاديث في الغيبة على وجه عام ١٠٠
جدوى الإمام الغائب ١٠٤
الغيبتان ١٠٦
طفولة الإمام في ظل أبيه ١٠٧
الغيبة الصغرى ١٠٨
الشيخ أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري ١٠٨
الشيخ أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري ١٠٩
الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي ١١٠
الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري ١١١
الوكلاء ١١٢
قيادة الإمام في زمن الغيبة ١١٣
الفصل الرابع: الظروف التي تهيء للظهور ـ للثورة ١٢٧
النظرية الماركسية ١٢٧
المصادر الدينية ١٣٠
الظلم الشامل وسائر المفاسد الاجتماعية ١٣٤
السلطة السياسية ١٣٤
السلطة الدينية ١٣٧
الانحرافات الاجتماعية ١٣٩
المفاسد الأخرى ١٤٠
القلّة المؤمنة ١٤١
غضب الله ١٤٣
بلاد الإسلام وعلاقتها بالشعوب الأخرى ١٤٤
الروم ١٤٤
اليهود ١٤٥
الترك ١٤٥

الفصل الخامس: شرائط قيام الإمام ١٤٧
الإمارات الطبيعية ١٤٧
الزلازل ١٤٧
الظواهر السماوية ١٤٨
النار ١٥٠
مشاكل البصرة ١٥٢
فيضان الفرات ١٥٢
جفاف الفرات وانحساره عن كنز ١٥٣
الجراد ١٥٥
الموت المتمادي ١٥٥
يأجوج ومأجوج ١٥٧
دابّة الأرض ١٦٠
معركة فرقيسيا ١٦١
قتل أهل مصر أميرهم ١٦٢
قتل خليفة في العراق ١٦٢
الحروب ١٦٣
المغرب ضدّ مصر والشام ١٦٣
الترك ١٦٤
نزول الروم في عمق الشام ١٦٥
اقتتال فئتين من العجم ١٦٦
تقارب الزمان ١٦٦
تطاول البنيان ١٦٧
الفتن ١٦٧
الدّجال ١٦٩
خروجه ١٦٩
مخرجه ١٧٠
حركته، أتباعه ١٧١
حركة الدجّال في العهد الجديد ١٧٢
خوارقه ١٧٥
حقيقة الدّجال ١٧٧
السفياني ١٧٧

الفصل السادس: الظهور ١٨١
هزيمة السفياني في العراق ١٨٣
فتح العالم ١٨٤
دولة المهدي (ع) ١٨٦
السلام ١٨٩
الخلاصة ١٩٠
الفهرس ١٩٣

* * *

كتب صدرت عن دار الغدير
للدراسات والنشر

بحث حول المهدي (عجل الله فرجه)

الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)

* * *

الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)

وأدعياء البابية والمهدوية

السيد عدنان البكاء

* * *

الطريق إلى المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)

الأستاذ سعيد أيوب

* * *

يصدر قريباً:

الإمام المنتظر عجل الله فرجه وشبهات المرجفين

السيد أمير محمد الكاظمي القزويني

الغدير
للدراسات والنشر